رسائل مغربية

(٢)

شرح

الصلاة المشيشية

للعالم العلامة الفهامة فريد عصره الشيخ

الطيب بن عبد المجيد بن كيران

ت ١٢٢٧هـ

قدس الله روحه في فسيح الجنان ، ونفعنا به وببركاته ، آمين .

تحقيق

بسام محمد بارود

٢٢٩,٣
ك ي ش ر
ابن كيران، محمد الطيب بن عبد المجيد، ١١٧٢ - ١٢٢٧هـ.
شرح الصلاة المشيشية / للطيب بن عبد المجيد بن كيران؛ تحقيق
بسام محمد بارود. - ط ١. - أبوظبي : المجمع الثقافي،
١٩٩٩م.
٢٧٤ص. - (رسائل مغربية؛٢).
١- الصلاة على النبي (ﷺ).
٢- الوعظ والإرشاد.
٣- الأدعية والأوراد.
أ- عبد السلام بن بشيش، ... - ٦٢٢هـ - الصلاة المشيشية.
ب- بسام محمد بارود، محقق.
ج- العنوان.
د- عنوان: الصلاة المشيشية.
هـ- السلسلة.

أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة
ص.ب ٢٣٨٠ - هاتف : ٢١٥٣٠٠
Email:nlibrary@ns1.cultural.org.ae
http:/www.cultural.org.ae

شرح

الصلاة المشيشية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ، ويكافيء مزيده ، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد بعد الرضا .

" اللهم صل على من منه انشقت الأسرار ، وانفلقت الأنوار ، وفيه ارتقت الحقائق ، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق ، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق ، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة ، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ، ولا شيء إلا وهو به منوط ، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط ، صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله ، اللهم إنه سرك الجامع الدال عليك ، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك ، اللهم ألحقني بنسبه ، وحققني بحسبه، وعرِّفني إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل ، وأكرع بها من موارد الفضل ، واحملني على سبيله إلى حضرتك ، حملاً محفوفاً بنصرتك ، واقذف بي على الباطل فأدمغه ، وزُجَّ بي في بحار الأحدية ، وانشلني من أوحال التوحيد ، وأغرقني في عين بحر الوحدة ، حتى لا أرى ، ولا أسمع ، ولا أحس إلا بها ، واجعل اللهم الحجاب الأعظم حياة روحي ، وروحه سر حقيقتي ، وحقيقته جامع عوالمي ، بتحقيق الحق الأول ، يا أول ، يا آخر ، يا ظاهر ، يا باطن ، اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك

زكريا عليه السلام ، وأيدني بك لك ، واجمع بيني وبينك ، وحل بيني وبين غيرك ، الله ، الله ، الله ، { إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد } ، { ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا } ، { إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما } .

صلوات الله وسلامه ، وتحياته ، ورحماته ، وبركاته ، على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه عدد الشفع والوتر ، وعدد كلمات الله التامات المباركات .

{ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين } .

أخي المسلم الحبيب ....

تلك هي صلاة العارف بالله تعالى والدال عليه سيدي ومولاي عبد السلام بن مشيش قدس الله سره العزيز ، ونفعنا بمحبته ومحبة الصالحين في الدارين آمين .

قال عنها العلامة الفقيه الحنفي السيد محمد عابدين صاحب " حاشية الدر " في ثبته :

" صلاة الشيخ الإمام القطب العارف بالله تعالى والدال عليه ، ذي الطريقة السُّنِّية المستقيمة ، والأحوال السَّنِيَّة العظيمة ، شريف النسب ، وأصيل الحسب ، سيدنا ومولانا السيد الشريف عبد السلام بن بشيش - يقال بالباء في أوله ، وبالميم- الحسني المغربي ، التي أولها : " اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار ...إلخ " ، قد أوردها الشهاب أحمد النخلي ، وتلميذه الشهاب المنيني في ثبتيهما ،

وذكر النخلي أنه أخذها عن الشيخ أحمد البابلي ، والشيخ عيسى الثعالبي ، قال : وأمراني أن أقرأها بعد صلاة الصبح مرة ، وبعد صلاة المغرب مرة ، قال : ورأيت في بعض التعاليق : تقرأ ثلاث مرات بعد الصبح ، وبعد المغرب ، وبعد العشاء . وفي قراءتها من الأسرار ومن الأنوار ما لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى ، وبقراءتها المدد الإلهي، والفتح الرباني ، و لم يزل قارئها بصدق وإخلاص مشروح الصدر ، ميسر الأمر ، محفوظاً بحفظ الله تعالى من جميع الآفات والبليات ، والأمراض الظاهرة والباطنة ، منصوراً على جميع الأعداء ، مؤيداً بتأييد الله العظيم في جميع أموره ، ملحوظاً بعين عناية الله تعالى الكريم الوهاب ، وعناية رسوله صلى الله عليه وعلى الآل والأصحاب، وتظهر فائدتها بالمداومة عليها مع الصدق والإخلاص ، والتقوى ، {ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون } .

وقد زاد بعض أكابر العارفين من مشايخ الطريقة الشاذلية المرضية فيها زيادات شريفة مزجها ، وجعلها وظيفة يقرؤها أهل طريقته العلية صباحاً ومساء ، نفعنا الله بهم .

ولا شك أن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من أهم ما يتقرب به العبد إلى الله ورسوله ، امتثالاً لأمر الله تعالى أولاً ، الذي قال في محكم تنزيله : { إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً } .

وهي بلا ريب سبب للوصول إلى رضا رب العالمين ، بالصلاة على حبيبه ومختاره ومصطفاه ومجتباه من خلقه ، والذي لأجله خلق الخلق ، وقال في حديثه القدسي

الشريف : " وعزتي وجلالي لو سلكوا إلي كل طريق ، واستفتحوا علي كل باب ، ما فتحت لهم حتى يأتوا خلفك يا محمد " .

كيف وقد رغب صلى الله عليه وسلم في كثرة الصلاة عليه ، وبين لنا ثواب من صلى عليه ، كما جاء في الصحيحين : (من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا) ، وفي حديث آخر : (من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ، ومن صلى علي عشرا صلى الله عليه مائة ، ومن صلى علي مائة صلى الله عليه ألفا، ومن صلى علي ألفاً حرّم الله جسده على النار) .

ومعلوم أن الصلاة من الله تعالى رحمة ، فأين صلاتنا نحن العبيد من صلاة خالقنا وبارئنا سبحانه ، والتي تتجلى هذه الرحمة بمغفرة ذنوبنا ، وستر عيوبنا ، وقضاء حاجاتنا ، وتقريبنا من حضرته العلية القدسية ، فما وصل من وصل من الواصلين والعارفين ، والمحبين ، والمحبوبين ، ما وصل من وصل منهم إلى مقام إلا بكثرة الصلاة على سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، والتفاني في حبه ، وتعظيم قدره المنيف ، وهو باب الله الذي لا يأتيه منه لا يدخل إلى حضرته .

والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تزيل الهموم ، والغموم ، وتفرج الكروب ، وتزيد في الخيرات والبركات والأرزاق الحسية والمعنوية ، وتقضى بها الحوائج ، وتنال بها الرغائب ، وتكون سبباً لحسن الخواتيم ، وبها يستسقى الغمام ، ويزول عن القلوب الظلام ، فأي ربح أعظم من هذا ؟ ، وأي تجارة أفضل من هذه التجارة ؟ ، وفقنا الله للمداومة عليها ليلنا ونهارنا على الحقيقة ، لا قلقلة باللسان ، وإنما تكون صلاتنا عليه صلى الله عليه وسلم عن وَلَهٍ وذوق ووجدان ، إذ كلما ازدادت المعرفة به صلى الله عليه وسلم زادت محبته في القلب ، والتعلق به ، واللوذ بجنابه الرفيع .

ولهذه المزايا وغيرها للصلاة على سيدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما لا يحصره عد ، تقرَّب العارفون بالله تعالى بها إلى الله ورسوله ، فصاغوا من صيغ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الكثير الكثير ، كلٌّ على حسب حاله ومقداره ومقامه ، ومن بين هؤلاء العارفين سيدي ومولاي القطب عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه، في تصليته التي قدمتها في أول هذا التقديم ، وهي مدار الحديث ، وقطب الرحى ، وموضوع هذا الكتاب المبارك النفيس الذي بين يديك - أخي المسلم الحبيب - والذي هو شرح لهذه الصلاة المباركة ، ألفه علامة زمانه وبركة عصره وأوانه سيدي الطيب ابن عبد المجيد بن كيران رضي الله عنه ، جمع فيه من العلوم ما فك أغلاق عباراتها لمن أراد الفهم ، وكان صاحب عقيدة سليمة ، ومحبة خالصة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وتسليم لأهل الله فيما منح الله به عليهم من علوم وأسرار ، صاغوا بعضها في عبارات ربما أشكل على البعض فهمها ، ففتحوا الباب بذلك لأهل العلم والذوق ليدلوا بدلوهم في بيان بعض مراداتهم ، بما يوفقهم به مولاهم من معاني تشرح تلك العبارات ، وتفهم تلك الإشارات ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وكل ذلك مؤيد بشواهده من الكتاب والسنة - كما سنرى في هذا الكتاب المبارك - مما يزيده نوراً على نور ، والأنوار كما يقولون لا تتزاحم .

وإن مما أكرمني الله تعالى به - وله الحمد على ذلك - أن تشرفت بالحصول على نسخة مخطوطة نفيسة من هذا الكتاب المبارك كتبت بالخط المغربي الدقيق ، قدم بها شيخنا الجليل المحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمتفاني بمحبة آل بيته الطيبين الطاهرين ، فضيلة الشيخ العلامة محمد الرطل بناني المغربي الفاسي ، قدم بها من مكتبة جامعة القرويين ، لتقرأ في مجلسه المبارك في أبوظبي ، مع زيادات وتقريرات نافعة مما

أعطاه الله سبحانه وتعالى من علم وذوق وحال ، مما دفعني لما وجدت فيها من الخير الكبير الكثير إلى القيام بخدمتها قدر طاقتي البشرية الضعيفة، مع خلوي عن العلم والذوق والحال ، وكثرة الذنوب ، وسقم القلب ، وكثرة الآفات ، لكني جعلت هذا العمل تقرباً لسيدي الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم استشفاعاً واستشفاءً ببركة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، ورجاء دعوات المحبين من سادتي أهل الله العارفين، وعاشقي هذا الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم ، عساهم يذكروني بدعوة صالحة في ظهر الغيب تصلح حالي في الحال والمآل .

هذا .... ويحتفظ قسم المخطوطات ومصورها بنسخة مصورة من هذه المخطوطة .

أما عملي في خدمة هذا الكتاب الشريف فينحصر فيما يلي :-

أولاً : ضبط النص حسب الإمكان والطاقة .

ثانياً : ضبط الآيات القرآنية ، وعزوها إلى سورها ، وترقيمها .

ثالثاً : تخريج الأحاديث النبوية الشريفة - على كثرتها - وردِّها إلى مظانها من كتب الحديث ، وضبط نصوصها ما أمكن .

رابعا: ترجمة بعض الأعلام الواردة في هذا الكتاب ، خاصة أعلام المغرب من العارفين والصالحين رجاء حصول بركتهم عند ذكرهم نفعنا الله بهم وبالصالحين .

خامساً : توثيق الشواهد الشعرية ، وضبطها ، وردها إلى أصحابها ، ونسبتها إلى دواوينهم المطبوعة والمحققة .

سادساً : تفسير بعض غريب الألفاظ الواردة في المتن بالرجوع إلى معاجم اللغة .

ختاماً : أسأل الله الكريم ، رب العرش العظيم ، أن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، ويكون سبباً لنيل رضاه ، ومحبة نبيه الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ونيل ثمرات محبته صلى الله عليه وسلم مما علم ومما لا نعلمه ، وأن يمنَّ علينا بزيادة محبته ، ورؤيته في الدنيا والآخرة يقظة ومناماً ، وأن يجعل هذا العمل نوراً لنا بين أيدينا وأيماننا في قبورنا وحشرنا ونشرنا وعلى الصراط حتى نلقى نبينا صلى الله عليه وسلم وهو راض عنا ، ورحم الله عبداً قال : آمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون .

وكتبه

بسام محمد بارود

عفا عنه الجواد الكريم الودود

أبو ظبي :

١٥ رجب الأصب /١٤٢٠هجرية.

موافق لـ ٢٤/١٠/١٩٩٩ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

العلامة المحقق المدقق الشيخ الطيب بن عبد المجيد بن كيران رحمه الله تعالى

هو الشيخ العلامة المشارك المطلع الحافظ ، محمد الطيب بن عبد المجيد بن كـيران ، له اطلاع واسع ومعرفة جيدة ، وإتقان ، وقلم سيال ، وفهم غزير ، وإدراك ثـاقب ، تخرج عليه عدة من العلماء ، وألف تآليف عديدة مفيدة أخذت من الشهرة بمكـان لتحقيقها وحسن أسلوبها :

منها : التفسير من سورة النساء {شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة } ، الآيـة ، إلى سورة غافر : { إنما هذه الحياة الدنيا متاع } ، الآية . واخترمته المنية .

ومنها : تفسير الفاتحة .

ومنها : شرحه على الحكم العطائية ، ألفه بأمر من السلطان سيدي محمد ابن عبد الله .

ومنها : شرح ألفية العراقي في السيرة .

ومنها : شرح الخريدة للشيخ حمدون بن الحاج في المنطق .

ومنها : شرح توحيد ابن عاشر ، بإشارة من المولى سليمان .

ومنها : شرحه لتوحيد الرسالة ــ لم يتم ــ .

ومنها : شرحه للعشرة الأخيرة من الأربعين حديثاً للإمام النووي .

ومنها : حاشية على محاذي الألفية لابن هشام ، لم يؤلف مثله في كتب النحو ، لم يتم ، أوصلها إلى الإعراب .

ومنها : تقييده في الاستعارة وأقسامها نثراً .

ومنها : تقييد على قول صاحب التلخيص : فإنْ وذا للشرط في الاستقلال .

ومنها : تقييد في حقائق تحتاج إلى معرفة الفرق بينها لاشتباه بعضها ببعض، وهي النكرة واسم الجنس ، والمعرَّف بلام الحقيقة ولام العهد الذهني ولام الاستغراق ولام العهد الخارجي .

ومنها : تقييد على قول الغزالي "ليس في الامكان أبدع مما كان " .

ومنها : شرحه لكتابي العلم والإيمان من الإحياء للغزالي .

ومنها : تقييد على قول التلخيص : الجامع الخيالي .

ومنها : شرح على الصلاة المشيشية ، اختصره من شرح ابن زكري — وهو موضوع مخطوطتنا هذه — .

ومنها : تقييد على جواز حذف كلمة قال بين رجال سند الحديث لفظاً كما تحذف اختصاراً .

ومنها : تقييد في حذف الهمزة المسهلة وحقيقة التسهيل .

ومنها : تأليف سماه عقد نفائس الآلي في تحريك الهمم العوالي .

ومنها : تقييد تزاور أهل الجنة وتحسرهم .

ومنها : تقييد في قول النبي صلى الله عليه وسلم " لايدخل الجنة ولد زنى ولا ولد ولده".

ومنها : تقييد في الرد على الوهابي القائم في ناحية الشرق .

ومنها : تقييد في حكم السترة نظماً ونثراً .

ومنها : تقييد في توجيه رفع اسم الجلالة ونصب العلماء في قراءة من قرأ {إنما يخشى الله من عباده العلماءُ} .

ومنها : شرحه لرسالة مولانا سليمان في الكسب .

ومنها : شرحه لنصيحة الشيخ أحمد الهلالي .

ومنها : أرجوزة في الشرفاء القادرين ، إلى غير ذلك من التآليف والتقاييد .

كانت ولادته رضي الله عنه عام اثنين وسبعين ومائة وألف ، وتوفي سابع عشر محرم عام سبعة وعشرين ومائتين وألف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم ، ودفن بروضة العلماء بالقباب ، قرب ضريح الشيخ الوزير الغساني ، وهو من أشياخ المولى سليمان رحمه الله .

ترجمة
مولاي القطب عبد السلام بن مشيش
رضي الله عنه

الحمد لله : المصنف هو الشيخ الإمام العارف بالله القطب الواصل أبو محمد مولانا عبد السلام بن مشيش [١] بن بكر بن علي بن حرمة بن عيسى ابن سلام ابن مزوار [٢] بن حيدرة بن علي بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عن جميعهم [٣].

١ : بالميم ، وربما قيل بالباء وإبدال الباء من الميم لغة مازنية ، ومعناه : الخادم الخفيف الحاذق اللبيب.

٢: مزوار معناه بلغة البربر بكر أبيه ، ويستعمل في رئيس القوم .

٣: قال العلامة المرحوم خير الدين الزركلي في كتابه العظيم " الأعلام " مانصه: في اسم أبيه خلاف؛ قيل: هو بشيش بالباء الموحدة ـ واشتهر بمشيش ، وفي سنة وفاته روايات : سنة ٦٢٢ ، ٦٢٥ ، والأول أشهر ، وفي فهرس دار الكتب المصرية ١٦٥/٨ ذكر رسالة منسوبة إليه " شجرة الشرف ـ خ " ٥٥ ورقة، في السلالة النبوية جاء خطأ أنه فرغ من تأليفها سنة ١١٣٦ ، فإن صح أنها له فالتاريخ لكتابتها لا لتأليفها . وقال الخروبي في "شرح تصلية ابن مشيش" : هو ابن محمد ، عبد السلام بن مشيش، ويقال : بشيش بالموحدة ، وكان بعض من لقينا من الأشياخ يقول : مشّيش بتشديد الشين. وقال صاحب "الإشراق ـ خ " : ابن مشيش ، هو الجد الجامع للأشراف العلميين كلهم . وفيه : هو عبد السلام ابن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى " انتهى ـ انظر: الأعلام ٩/٤ .

توفي رحمه الله شهيداً سنة اثنين وعشرين ، أو أربع وعشرين ، أو ست وعشرين وستمائة ، قال ابن خلدون : قتله بـ "العَلَم" [1]، قوم بعثهم لقتله ابن أبي الطواجين الكتامي الساحر المدعي النبوة [2]. وضريحه ـ أي : الشيخ رضي الله عنه وأرضاه ـ هناك معروف [3].

---

١ : أي جبل العلم بثغر تطوان .

٢ : وبسبب هذه الدعوى زحفت إليه عساكر سبتة ، وكان عند بني سعيد فقتل .

٣ : أي : بقنة الجبل المذكور ، وآثاره هناك كثيرة : من مغارة للخلوة والعبادة ، ومسجده جدرانه قصيرة، وموضع لارتقاب الفجر ، وتحت ضريحه بنحو الميل عين كان يتوضأ فيها ، ومقتله فوقها بقريب ، يقال: إنه توضأ فيها عند الفجر، وقصد الصعود لمحل عبادته وارتقاب الفجر فقتلوه هناك، ومن الشائع أنه ألقي عليهم الضباب الكثيف، ودفعوا إلى شواهق الجبال فردوا منها في مها وسحيقة، فمزقوا كل ممزق، ولم يرجع منهم مخبر، وتحت هذه العين بمسافة أخرى رسوم داره التي كان يسكنها ، قال سيدي ابن عجيبة : وقد زرتها وصليت في أثر مسجده قرب العين ، التي يسمونها عين القشور عن يمينها ولا ساكن هناك اليوم ، وإنما العمران في سفح الجبل دائراً به في مداشر وعمران سكنها أهل هذا النسب الشريف ومعهم غيرهم .

وكان له رضي الله عنه من الأولاد أربعة : محمد، وأحمد ، وعبد الصمد، وعلال . ومن بني ولده محمد بنو عبد الوهاب، وطائفة يسمون الرحمونيين بقرب شفشاون ، ومن ولده علال أولاد الفجفج ، منهم فرقة بمراكش ، وله أخوان : موسى ويملاح ، ومن بني موسى الشفشاويون القاطنون بفاس ، ومن بني يملح سيدي عبد الله بن ابراهيم ، نزيل وزان ، وله من الأعمام ستة ؛ يونس ، وعلي ، وملهى ، وميمون ، والفتوح ، والحاج . ومن أولاد يونس أولاد بن ريسون ، وأولاد ابن رحمون ، وأولاد مرصو ، ومن المنقول عن سيدي عبد الله العزواني رضي الله عنه أن روة مولانا عبد السلام مشتملة على ثلاثة قبور : الأوسط منهم هو قبر الشيخ . والذي خلف ظهره قبر ولده سيدي محمد ، والذي بين يديه قبر خديمه ابن خدامة رضي الله عن الجميع ونفعنا بمحبتهم ومحبة الصالحين آمين . ولأبي محمد عبد الله بن محمد الوراق رسالة في مناقب ابن مشيش مازالت مخطوطة في خزانة الرباط، وللمرحوم العارف بالله الشيخ عبد الحليم محمود كتيب لطيف في سيرة ابن مشيش ـ مطبوع .

ويروى أن الشيخ رضي الله عنه كان يوماً بإزاء خلوته جالساً يتلو القرآن ومعه تلميذه الشيخ أبو الحسن [1] حتى وصل إلى قوله تعالى في سورة الأنعام:{وإن تعدل كل عدل لايؤخذ منها }[2] فورد عليه وارد الهي ، اقتطعه عن حسه ، فلما أفاق رفع يديه إلى السماء داعياً ، فكان من دعائه : "اللهم من سبق له الشقاء منك والحرمان فلايصل إلي ، ومن وصل إلي أكون له شفيعاً يوم القيامة ، اللهم لاتبعث لنا من

١: شيخ الطائفة الشاذلية الإمام العارف بالله تعالى سيدي أبو الحسن الشاذلي ، علي بن عبد الله بن عبد الجبار ، والشاذلي نسبة إلى شاذلة إحدى قرى تونس التي هاجر إليها بعد أن غادر قريته غمارة في المغرب ، ولد رضي الله عنه سنة ٥٩٣هجرية ، واتخذ الاسكندرية مقراً ، وفيها تزوج واقتنى الضياع ، وكان له الولد والأهل والأحباب ، ومات سنة ٦٥٦هجرية في طريقه إلى الحج بالصحراء، بين قنا والقصير ، ودفن حيث مات ، وقد استخلف من بعده أبا العباس المرسي رضي الله عنه ونفعنا ببركته وبركة الصالحين في الدارين ، وقد تلقى الشاذلي رضي الله عنه علومه في الطريقة على سيدي عبد السلام بن مشيش والذي كما هو معروف مقامه في المغرب كمقام الشافعي في مصر، وفي ذلك يقول سيدي أبو الحسن: لما دخلت العراق اجتمعت بالشيخ الصالح أبي الفتح الموصلي ، فما رأيت بالعراق مثله وكان مطلبي على القطب ، فقال لي بعض الأولياء : أنت تطلب القطب وهو ببلادك ؟!! ، ارجع إلى بلادك تجده!! .

فرجع إلى بلاده إلى أن اجتمع بسيدي عبد السلام بن مشيش وتربى على يديه ، وكان يقول له في تربيته له : الزم الطهارة من الشرك ، كلما أحدثت تطهر من دنس حب الدنيا ، وكلما ملت إلى شهوة أصلحت بالتوبة ماأفسدت بالهوى أو كدت ، وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة ، وأدمن الشرب بكأسها مع السكر والصحو ، كلما أفقت أو تيقظت شربت ، حيث يكون سكرك وصحوك به ، وحيث تغيب بجماله عن المحبة والشراب، والشرب والكأس، بما يبدو لك من نور جماله ، وقدس جلاله .

١: سورة الأنعام ـ الآية ٧٠ .

حكمت بشقائه " . ويشهد لهذا إسلام بعض الكفرة لما قرب من الضريح، ورجوع بعض الفسقة الذاهبين بقصد الزيارة لأسباب اتفقت لهم منعتهم الوصول.

وتغلغله رضي الله عنه في علوم القوم التي مدارها على التخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان خلقه القرآن لما ورد عن عائشة [1] رضي الله عنها أشهر من أن يذكر .

وقد قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه : كنت في ابتدائي حصل لي تردد هل ألزم البراري والقفار للتفرغ والطاعة والأذكار أو أرجع إلى المدائن والديار لصحبة العلماء والأخيار ؟ فوصف لي ولي هناك وكان برأس جبل ؛ فصعدت إليه ليلاً ؛ فقلت في نفسي : لاأدخل عليه في هذا الوقت . فسمعته يقول وهو يدخل المغارة:"اللّهم إن قوماً سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك ، فرضوا منك بذلك ، اللهم وإني أسألك اعوجاج الخلق علي حتى لايكون لي ملجأ إلا إليك . قال: فالتفت لنفسي وقلت : انظري من أي بحر يغترف هذا الشيخ ؟ فلما أصبحت دخلت عليه ؛ فقلت: ياسيدي كيف حالك ؟ فقال : أشكوا إلى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار !!! .

[1]: أخرج النسائي في سننه الكبرى ــ كتاب التفسير ؛ بسنده عن يزيد بن بابنوس عن عائشة رضي الله عنها : قلنا :" يأم المؤمنين ! كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . قالت: كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن"، انظر : تحفة الأشراف ــ المزي ٣٣٦/١٢ وعنه نقل ابن كثير ٦/٣ ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣٩٢/٢ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

فقلت : أما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه ، وأما شكواك من برد الرضا والتسليم فلم أفهمه !!! . فقال : أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله تعالى . قلت : ياسيدي سمعتك البارحة تقول : (اللهم إن قوماً ...إلخ) ؟ ؛ فتبسم وقال : يابني عوض ماتقول : سخر لي خلقك . قل : يارب كن لي . أترى إذا كان لك أيفوتك شيء ؟ فما هذه الجبانة؟ [1] .

[1]: ومن كراماته رضي الله عنه ماذكره سيدي أبو الحسن الشاذلي قال : " كنت يوماً جالساً بين يديه ، وفي حجري ابن له صغير ، يلعب ، فخطر لي أن أسأله عن اسم الله العظيم الأعظم ؟، قال : فقام إلى الولد وأمسك بيده في طوقي وهزني ، وقال : ياأبا الحسن ... إنك أردت أن تسأل الشيخ عن اسم الله الأعظم، إنما الشأن أن تكون أنت هو اسم الله الأعظم . يعني : أن سر الله مودع في قلبك " قال: فابتسم الشيخ وقال لي : جاوبك فلان عني ، وكان إذ ذاك قطب الزمان " .

وأما كلامه رضي الله عنه في الحقائق والوصايا :

قال في بعض كلامه : " الزم الطهارة من الشكوك كلما أحدثت تطهرت ، ومن تدنس الدنيا كلما ملت إلى شهوة أصلحت بالتوجه ماأفسدت بالهوى أو كدت ، وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة، وأد من الشرب بكأسها مع السكر كلما أفقت أو تيقظت شربت ، حتى يكون سكرك وصحوك به ، وحتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشراب والشرب ، والكأس، بما يبدو لك من نور جماله ، وقدس كمال جلاله ، ولعلي أحدث من لايعرف المحبة ولا الشرب ولا الكأس ولا السكر ولا الصحو ، قال له قائل : أجل ، وكم من غريق في الشيء لايعرف بغرقه، فغرقني ونبهني ، على ماأنا به جاهل ، أو مامر علي وأنا عنه غافل، قلت لك : نعم ، المحبة أخذة من الله . قلت : من أحب بما يكشف له من نور جماله وقدس كمال جلاله وشرب المحبة، مزج الأوصاف بالأوصاف ، والأخلاق بالأخلاق ، والأنوار بالأنوار، والأسماء بالأسماء ، والنعوت بالنعوت ، والأفعال بالأفعال ، ويتسع فيه النظر ، لمن شاء الله عز وجل ، والشرب سقي القلوب والأوصال والعروق من هذا الشراب ، ويكون الشرب بالتدريب بعد التدريب ، والتهذيب بعد التهذيب ، فيسقى كل على قدره ، فمنهم من يسقى بغير واسطة والله يتولى ذلك ، ومنهم من يسقى من جهة الوسائط، كالملائكة والعلماء والأكابر من المقربين ، فمنهم من يسكر بشهود الكاس ، ولو لم يذق بعد شيئاً ، فما ظنك بعد الذوق ، وبعد الشرب ، وبعد الري ، وبعد السكر ، وبعد بالمشروب ، ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى كالسكر أيضاً كذلك ، والكأس مغرفة الحق يغرف بها من ذلك الشراب الطهور المحض الصافي ، لمن شاء من عباده المخصوصين من خلقه ، فتارة يشهد الشراب بذلك الكأس صورة ، وتارة يشهدها

معنوية ، وتارة يشهدها علمية ، فالصورة حظ الأبدان والنفوس ، والمعنوية حظ القلوب والعقول ، والعلمية حظ الأرواح والأسرار فياله من شراب ما أعذبه ، فطوبى لمن شرب منه ودام و لم ينقطع عنه، نسأل الله من فضله، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وقد تجتمع جماعة من المحبين فيسقون من كأس واحدة، وقد يسقون من كؤوس كثيرة ، وقد تختلف الأشربة بحسب الكؤوس ، وقد يختلف الشرب من كأس واحدة ، وإن شرب منه الجم الغفير من الأحبة، انتهى " نقلاً عن مقدمة سيدي ابن عجيبة لشرح المشيشية ، وقد شرح هذا الكلام في شرحه لخمرية ابن الفارض.

ومن وصايا سيدي عبد السلام ابن مشيش لتلميذه أبي الحسن رضي الله عنهما : قال له:" الله الله والناس ، نزه لسانك عن ذكرهم ، وقلبك عن التماثيل من قبلهم ، وقل : اللهم ارحمني من ذكرهم ، ونجني من شرهم ، وأغنني بخيرك عن خيرهم ، وتولني بالخصوصية من بينهم ، إنك على كل شيء قدير .

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه : أوصاني حبيبي – أي أستاذه مولانا عبد السلام بن مشيش – فقال : يا أبا الحسن ؛ لاتنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله ، ولاتجلس إلا حيث تأمن غالباً من معصية الله ، ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله ، ولاتصطفي لنفسك إلا من تزداد به يقيناً، وقليل ماهم ، انتهى .

وقال أيضاً : أوصاني أستاذي فقال : لاتصحب من يؤثر نفسه عليك ، فإنه سقيم ، ولا من يؤثرك على نفسه فإنه قل مايدوم ، واصحب من ذكر الله ، فإنه يغني به إذا شهد وينوب عنه إذا فقد ، ذكره نور القلب ، ومشاهدته مفاتيح الغيوب.

وقال أيضاً : " ياأبا الحسن اهرب من خير الناس أكثر من أن تهرب من شرهم ، فإن خيرهم يصيبك في قلبك ، وشرهم يصيبك في بدنك ، ولأن تصاب في بدنك خير من أن تصاب في قلبك ، ولعدو تصل به إلى ربك خير من حبيب يقطعك عن ربك ، انتهى " .

وقال أيضاً : " سألت أستاذي رضي الله عنه عن قوله عليه الصلاة والسلام " يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا " فقال رضي الله عنه : دلوهم على الله ، و لا تدلوهم على غيره، فإن من دلك على الدنيا فقد غشك ، ومن دلك على العمل فقد أتعبك ، ومن دلك على الله فقد نصحك ، انتهى.

وقال أيضاً رضي الله عنه : سألني أستاذي فقال : ياأبا الحسن ، بماذا تلقى الله ؟ فقلت : بفقري، فقال الله لئن لقيت الله بفقرك لتلقينه بالصنم الأعظم ، وإنما يلقى الله به سبحانه ، لابشيء سواه. وقال له رجل : ياسيدي وظف لي وظائف وأوراداً أعمل بها . فقال له : أرسول أنا ؟ . الفرائض مشهورة ، والمحرمات معلومة ، فكن للفرائض حافظاً ، وللمعاصي رافضا . واحفظ نفسك من حب الدنيا ، وحب النساء ، وحب الجاه ، وإيثار الشهوات ، واقنع بما قسم الله لك، إذا أخرج لك مخرج الرضا فكن فيه شاكرا ، وإذا أخرج لك مخرج السخط فكن عليه صابرا، وحب الله قطب تدور عليه الخيرات ، وأصل جامع لأنواع

الكرامات، وحصر ذلك كله في أربع : الورع ، وحسن النية ، وإخلاص العمل ، ومحبة العلم. ولاتتم له هذه الجملة إلا بصحبة أخ صالح ، أو شيخ ناصح .

شيوخه رضي الله عنه :

أخذ رضي الله عنه عن شيخه أبي محمد سيدي عبد الرحمن المدني ، الملقب بالزيات ، لسكناه بحارة الزياتين ، وكان الشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش في صغره انقطع للعبادة في مغارة بجبل العلم ، بعد أن أدركه الجذب وهو ابن سبع سنين ، فدخل عليه بعد مدة رجل عليه سيما أهل الخير والصلاح فقال : أنا شيخك الذي كنت أمدك من وقت الجذب إلى الآن . ووصف له ماوصل له على يديه من المنازلات والمعارف ، وفصل له ذلك ، مقاماً مقاماً ، وحالاً حالا ، وعين لكل حال زمنه ، ثم سئل رضي الله عنه بعد ذلك : هل كان يأتيك أو كنت تأتيه ؟ فقال: كل قد كان ، فقيل له : أطياً بمسافة المكان ؟ أو سفراً ؟ قال : طياً .

سلسلته رضي الله عنه إلى سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وأخذ شيخه المذكور عن عارف وقته القطب تقي الدين الفقير فيهما وهو من أرض العراق ، وهو عن القطب فخر الدين ، عن القطب نور الدين أبي الحسن ، عن القطب تاج الدين ، عن القطب شمس الدين بأرض الترك ، عن القطب زين الدين القزويني ، عن القطب أبي إسحق ابراهيم البصري ، عن القطب محمد أبي القاسم أحمد المرواني ، عن القطب أبي محمد سعيد ، عن القطب سعد ، عن القطب محمد فتح السعود ، عن القطب سعيد الغزواني ، عن القطب أبي محمد جابر ، عن أول الأقطاب سيدنا الحسن ، عن أبيه سيدنا علي بن أبي طالب ، عن سيد الأولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ووالى عليه وأنعم .

بحمد الله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح الصلاة المشيشية للإمام العلامة
العارف بالله الشيخ الطيب بن
كيران قدس الله روحه ونور ضريحه
[illegible] ونفعنا به وبركاته آمين والحمد
لله [illegible] الشيخ الإمام العارف بالله القطب الواصل
أبو محمد مولانا عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام
ابن مزوار بن علي بن محمد بن ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر بن عبد الله الكامل
ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عن جميعهم
[illegible] شهيدا سنة اثنين وعشرين وأربع وعشرين أو ست
وعشرين وستمائة قاله ابن خلدون قتله [illegible] ابن أبي الطواجن
الكتامي الساحر المدعي النبوة وضريحه هناك معروف ويروى أن الشيخ
رضي الله عنه كان يوما بإزاء خلوته جالسا يتلو القرآن ومعه تلميذه الشيخ
أبو الحسن الشاذلي حتى وصل إلى قوله تعالى في سورة الأنعام وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ
منها فغرق عليه وأدرك الشيخ [illegible] عن حسه فلما أفاق رفع برأسه
إلى السماء داعيا فكان من دعائه اللهم من سبق له الشقاء منهم وأجرمان
فلا تبطل [illegible] وصل [illegible] أن تكون له شفيعا يوم القيامة [illegible]
[illegible] بشفاعته [illegible] الإسلام بعض
[illegible] ورجوع بعض العصفة الزاهبين [illegible]
لأسباب اتفقت لهم [illegible] الوصول [illegible] رضي الله عنه في علوم
القوم التي [illegible] التخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان
خلقه القرآن [illegible] أحمد [illegible] الشيخ

الورقة الأولى من المخطوطة ابو

اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله

سطر الأول

فيه دلالة والبراءة في الخمس لا إله إلا الله الثاني محمد رسول
الله الثالث إن الدين عند الله الإسلام وسلموا قال ابن
الرضا وقولوا السلام عليك او انقادوا والأول تسليم الحال جميع
لتنبيه الخبر أي صلوا عليه صلاة وسلموا عليه تسليما أي بحق ذلك ومنه
لا يحل فاك على تسهيل الاختصار والا حاجة صلى الله عليه وسلم اللهم
صل عليه وعلى آله الذين جاهدوا فيهم كهم الله بنسب أو دين
وهذا الثاني ينبغي أن يراد هنا وقد روي هذا أخرجه الطبراني
في الأوسط وابن مردويه عن أنس قيل يا نبي الله صلى الله عليه وسلم
من آل محمد فقال كل تقي وذكر له [illegible] وصحبه هو اسم
جمع صاحب بمعنى الصحابي وهو من اجتمع مؤمنا بالنبي صلى
الله عليه وسلم وإن لم يره وإن لم يرو عنه وإن لم تطل صحبته
له بشرط عدم الارتداد بعد ذلك وعطفه على الأول الشامل للجميع
لتشمل الصلاة رافضيهم وصل تسليما سبحان ربك أي
تنزيها له عما لا يليق به من الشركاء رب العزة الموصوف
بالغلبة والقهر عما يصفون من النقص كقولهم الملائكة
بنات الله كما حكاه عنهم سبحانه بقوله فاستفتهم ألربك
البنات ولهم البنون ونحوه وقيل لما ذكر في هذه السورة جماعة من
الأنبياء [illegible] مع التسليم عليهم ختمت بالتسليم
على جميع المرسلين عموما قال وسلام على المرسلين
على المرسلين المبلغين للشرائع الواصفين له تعالى بما هو أهله
والحمد لله على كل ثناء جميل المستحق على الحقيقة رب العالمين
مالكهم وخالقهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم لأن أقول
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت
عليه الشمس أخرجه مسلم والترمذي عن [illegible] أنه
صلى الله عليه وسلم قال التسبيح نصف الإيمان والحمد لله تملأ
الميزان ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه
وعن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان

ثقيلتان

الورقة قبل الأخيرة من المخطوط

اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى

ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان
الله العظيم أخرجه الشيخان والترمذي هذا آخر ما يسر الله وحده من عونه
وتوفيقه بجميل منه وكرمه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين (...)

الورقة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله رضي الله عنه :

اللَّهُمَّ صَلِّ

اسم الجلالة عَلَمٌ على الذات الأقدس الواجب الوجود ، المستحق لكل كمال وجمال ، الدالّ عليه تعالى دلالة جامعة لمعاني أسمائه الحسنى كلها ماعلم منها ومالم يعلم ، ولذلك يقال في كل منها إنه من أسماء الله تعالى ولاعكس . فهذا الإسم هو الذي تضاف إليه سائر الأسماء ، ولايضاف هو إلى غيره .

وإذا عُدَّت أسماء الله تعالى أو ذُكرت ، ذُكِر أولها ، كما قال تعالى:{ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها } [١] ، وقال : {هو الله الذي لاإله إلا هو عالم الغيب والشهادة...} إلى آخر السورة [٢]. وقال صلى الله عليه وسلم : (إن لله تسعة وتسعين إسماً)[٣].

وأيضاً فهذا الاسم اسم ، وسائرها صفات ، فلذا جعلت تابعة له .

١: سورة الأعراف ـ الآية ١٨٠ .

٢: قوله تعالى في آخر سورة الحشر :{ هو الله الذي لاإله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم، هو الله الذي لاإله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق الباريء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له مافي السموات والأرض وهو العزيز الحكيم } الآيات ٢٢، ٢٣، ٢٤ .

٣: في الحديث الشريف (إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) ....إلخ الحديث، رواه الترمذي في سننه ، والحاكم في المستدرك ، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه " الجامع الصغير ٣١٨/١" .

ومن خصائص هذا الاسم أنه ورد في الكتاب والسنة ، وأجمعت عليه الأمم ، فلم تنكره أمة من بني آدم ، بل هو جار على ألسنتهم من عهد آدم عليه السلام إلى انقضاء الدنيا .

أما الكتاب ؛ فقد افتتحه سبحانه { بسم الله } و{ الحمد لله } ، وكثر كثرة لاتخفى على تال ، لاسيما في سورة المجادلة ، حتى قيل : لم تخل عنه آية من آياتها [١] ، بل قد يكرر في الآية الواحدة منها ، وقد تكرر في القرآن ألفي مرة وخمسمائة وستين مرة [٢] .

وأما السنة ؛ فقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يفتتح كتبه باسم الله، وخطبه بـ {الحمد لله} يعلّم ذلك أمته ، فاقتفى أثره العلماء ، فما من مؤلف ولامدرّس ، ولاواعظ ، ولاكاتب رسالة ، ولاخطيب إلا وهم يفتتحون كلامهم باسم {الله} .

وأما إجماع الأمم ؛ فقد جاء في القرآن ذكر هذا الاسم عن المكذبين من قوم نوح وعاد وغيرهم ، قال تعالى :{ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله}[٣]، { ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله }[٤] وقال تعالى:{فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده }[٥] .

١: وآياتها ثنتان وعشرون آية ، تكرر فيها اسم الجلالة {الله} إحدى وأربعون مرة .

٢: وبلغ عددها كما في معجم ألفاظ القرآن الكريم للمرحوم محمد فؤاد عبد الباقي ٢٦٩٧ مرة.

٣: سورة لقمان ــ الآية ٢٥ .

٤: سورة الزخرف ــ الآية ٨٧ .

٥: سورة غافر ــ الآية ٨٤ .

فدلّ ذلك على أنه مامن أمة قصّ الله تعالى علينا خبرها إلا وهي تذكر هذا الاسم وتعرفه ، ولم ينكره إلا أفراد كنمروذ وفرعون وأشباههما من الدهرية .

وفي جعل هذا الاسم متواتراً في الأمم ، دائراً على ألسنتهم أبلغ حجة عليهم ومعهم، ومع كون الكفار كانوا عارفين بهذا الاسم كانوا لايعرفون مدلوله كما يجب فلذلك أشركوا .

ومن خصائصه : أنه لم يتسمَّ به إلا رب العالمين وخالقهم ، وقد قبض الله تعالى عنه ألسنة المخلوقين وأفئدتهم فلم يجترىء أحد من الجهال على التسمية به مع شدة جرأتهم على اتخاذ الشركاء وأنواع الكفر . قال تعالى : {هل تعلم له سمياً}[١]. بل جعل الله سبحانه على الاسم من الهيبة والجلالة مايقضي أن العارف به إذا سمعه خضع وذلّ وتضاءل ، ولزم قلبه الخوف والخشية . قال تعالى :{ إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ }[٢] . وقال : { إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم}[٣].

ومن خصائصه : أنه لايجزيء بغيره من الأسماء عنه في الأذان والإقامة والإحرام في الصلاة وسائر تكبيراتها ، وفي مقاطع [الحقوق] .

ومنها : أنه إذا ارتفع من الأرض قامت الساعة .

وهو أحد التأويلين في قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول : الله)[٤].

١: سورة مريم ــ الآية ٦٥ .

٢: سورة فاطر ــ الآية ٢٨ .

٣: سورة الأنفال ــ الآية ٢ .

٤: حديث : (لاتقوم الساعة حتى لايقال في الأرض "الله ، الله ") رواه الإمام مسلم في صحيحه، والإمام أحمد في مسنده ، والترمذي في سننه . الجامع الصغير ٦٤١/٢ الحديث رقم ٩٨٤٩ .

ومنها : أن به الدخول في الإسلام والخروج من الدنيا .

أما الأول : فلقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله)[1] .

قال الفخر الرازي : لو أن الكافر قال : أشهد أن لا إله إلا الرحيم ، أو الملك ، أو القدوس ، لم يخرج من الكفر ، ولا يدخل في الإسلام إلا إذا قال : لا إله إلا الله ، أي : مع الإمكان .

وأما الثاني : فلكون الشهادة مطلوبة من العبد عند الاحتضار ، وينبغي أن تكون آخر كلامه لقوله صلى الله عليه وآله وسلم :(من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)[2].

ومنها : صحة كونه قافية لجميع القصيدة كالتي أولها : إن أبطأت ...إلخ .

قال في مرآة المحاسن : وليس ذلك من الإيطاء المعيب في القوافي لأن علة عيبه استثقال المعاد والدلالة على عجز الشاعر ، وذلك منتف هنا ؛ فإن هذه القافية لأطيب ولأحسن ولأخف على اللسان والسمع والقلب منها . وفي التنزيل : {اذكروا الله ذكراً كثيراً }[3] وهذا مما يندرج فيه ، انتهى .

١: قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله وأني رسول الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على الله) رواه الأربعة بسندهم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، والحديث متواتر . " الجامع الصغير ٢١٧/١ الحديث رقم ١٦٣٠ " .

٢: حديث : (من كان آخر كلامه "لاإله إلا الله " دخل الجنة) رواه الإمام أحمد والحاكم وأبو داود عن معاذ رضي الله عنه .الجامع الصغير ٢/٥٥٠ الحديث رقم ٨٩٦٥ .

٣: سورة الأحزاب ــ الآية ٤١ .

ومنها : زيادة ميم مشددة في آخره في النداء كما هنا ، ثم قال الفراء : أصل {اللهم } يا الله أمنا بخير ، فاختصر ، ورُدّ بأنها دعوى لا دليل عليها، وبأنه يستعمل في مواضع لا يصح فيها التقدير .

والصحيح : أن الميم عوض عن حرف النداء ، فلا يجمع بينهما إلا شذوذاً[1].

وكانت مشددة لتكون من حرفين كـ (يا) ، وكانت ميماً وفي آخر لأنها مع كونها عوضاً ، تشعر بالتعظيم فهي كميم الجمع ، ولذا قال النضر ابن شميل : إذا قلت: اللهم ، فكأنما دعوت الله بأسمائه كلها [2].

وقال الحسن البصري :(اللهم) مجمع الدعاء [3]. ولهذه الخصائص ذهب قوم إلى أنه اسم الله الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى . واختاره الفخر الرازي .

١: أي : فيما ندر كقول الشاعر :

إني إذا ماحدثٌ ألَمّا   أقول يا اللهمم يا اللهما

٢: ولهذا لا يستعمل "اللهم " إلا في انطلب ، فلا يقال : اللهم غفور رحيم ، بل يقال : اللهم اغفر لي وارحمني . والميم في آخر اللهم كما قال سيبويه ميم العوض أي أنها زيدت عوضاً عن حرف النداء لذلك لا يجوز الجمع بينهما كما سيأتي إلا في النادر الشاذ . كما لا يجوز عند ذلك أن يوصف هذا الاسم أيضاً ، فلا يقال : يا اللهم ارحم الراحمين ، والضمة التي على الهاء ضمة الإسم المنادى المفرد ، وفتحت الميم لسكونها وسكون التي قبلها ، ويجوز أن يستعمل في موضع لا يكون بعده دعاء كقوله " اللهم لك الحمد وإليك المشتكى " ، وقوله أيضاً :" اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك . . ." وقوله " اللهم مالك الملك " . . إلخ .

٣: وقال أبو رجاء العطاردي : إن الميم في قوله " اللهم " تسعة وتسعون اسماً من أسماء الله تعالى.

وعدم الاستجابة لكثير من الناس الداعين به لعدم استجماع شروط الإجابة التي من جملتها الاستغراق في معناه .

وأما الصلاة ؛ فقال أبو العالية : معنى صلاة الله على نبيه : ثناؤه عليه عند الملائكة، ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء . قال في فتح الباري : وهذا أولى الأقوال.

وعن ابن عباس : هي من الملائكة الدعاء بالبركة . وقيل : صلاة الله رحمته. وقيل: مغفرته [1].

وقال أبو بكر القشيري : صلاة الله على النبي تشريف وزيادة تكرمة ، وعلى من دونه رحمة . وهذا يظهر الفرق بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وبين سائر المؤمنين حيث قال في سورة الأحزاب :{ إن الله وملائكته يصلون على النبي }[2]، وقال قبلُ ذلك في السورة المذكورة :{هو الذي يصلي عليكم وملائكته } ، ومعلوم أن القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك أرفع مما يليق بغيره .

وقال الحليمي في الشعب : معنى صلاة الله تعظيمه ، وتعظيمه صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا بإعلاء ذكره ، وإظهار دينه ، وإبقاء شريعته ، وفي الآخرة بإجزال مثوبته ، وتشفيعه في أمته ، وإبداء فضله بالمقام المحمود ، وعلى هذا فالمراد بقوله {صلوا عليه } : ادعوا ربكم بالصلاة عليه .

---

١ : وقد فصل الأئمة الأعلام هذه المعاني بكثير من القول في كتبهم كابن حجر وابن القيم والإمام السخاوي والسيوطي والإمام القسطلاني صاحب المواهب في كتابه مسالك الحنفا ــ تحت الطبع ــ والعلامة النبهاني في سعادة الدارين وغيرهم من الأئمة في القديم والحديث رضي الله عن الجميع ونفعنا ببركة الصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم آمين .

٢ : سورة الأحزاب ــ الآية ٥٦ .

والذي شاع على الألسنة أن الصلاة من الله رحمة ، ومن الملائكة استغفار ــ أي : دعاء به ــ بدليل : {ويستغفرون للذين آمنوا }[1] . أو بغيره ، بدليل : (الملائكة تصلي على أحدكم مالم يحدث ، تقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه)[2] . ومن العباد: دعاء بعضهم لبعض . واختار ابن هشام في المغني أنها بمعنى واحد ، وهو العطف لأن العطف بالنسبة إلى الله تعالى رحمة، وإلى الملائكة استغفار ، وإلى الآدميين دعاء بعضهم لبعض . ونحوه للسهيلي في كتابه المسمى بنتائج الفكر .

وحكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الوجوب مرة في العمر كالحج ، والحمد ، والنطق بكلمتي الشهادة ، وذلك لأن الله تعالى أمر بالصلاة عليه في قوله :{ صلوا عليه } وأطلق ، فيحصل الامتثال بأقل ما تتحقق فيه الماهية وهو المرة بناء على المختار من أن الأمر في ذاته لايدل على وحدة ولاعلى تكرار بل مطلق، والمرة ضرورية ، ويبقى الطلب بعد ذلك على جهة الاستحباب من غير تحديد إلا **أنها تتأكد في مواضع:**

منها : التشهد الأخير ، وأوجبها الشافعية فيه [3]، وهي عندنا - أي عند السادة المالكية - : سنة أو فضيلة .

---

١ : سورة غافر ــ الآية ٧ .

٢ : حديث : (إذا صلى أحدكم فقضى صلاته ثم قعد في مصلاه وذكر الله فهو في صلاة ، وإن الملائكة يصلون عليه يقولون : اللهم ارحمه واغفر له ، وإن هو دخل مصلاه ينتظر كان مثل ذلك) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الصلاة ، باب انتظار الصلاة والمشي إليها رقم ٥٧ . وورد بألفاظ أخرى متقاربة في مواضع أخر فيه وفي غيره من كتب السنن .

٣ : لحديث : (سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته لم يحمد الله ، ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عجل هذا " !! ، ثم دعاه فقال له : " إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يدعو بعد بما شاء) .

ومنها : إذا ذكر اسمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، حتى أوجبها جماعة عند ذكره[1] ، واختاره ابن العربي لحديث : (من ذكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ ، فمات، فدخل النار ، فأبعده الله)[2] . أخرجه ابن حبان من حديث أبي هريرة .

وحديث : (رغم أنف من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ)[3] رواه الترمذي من حديث أبي هريرة ، وصححه الحاكم .

أخرجه : أبو داود في سننه ١٤٨١ ، والنسائي ٣/٤٤ ، والترمذي في سننه ٣٤٧٦ و ٣٤٧٧ ، وابن حبان ١٩٦٠ ، والحاكم في مستدركه ١/٢٣٠ و ٢٦٨ ، والبيهقي في سننه ٢/١٤٧ ـ ١٤٨ ، واسماعيل القاضي ١٠٦ ، والإمام أحمد في المسند ٦/١٨ ، من حديث فضالة بن عبيد بسند جيد ، صححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، انتهى.

١: فقال أبو جعفر الطحاوي ، وأبو عبيد الله الحليمي : تجب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كلما ذُكِر اسمه ، وقال غيرهما : إن ذلك مستحب وليس بفرض يأثم تاركه .

٢ : عن أبي هريرة رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقى المنبر فقال : " آمين، آمين ، آمين " ، فقيل له: يارسول الله ، ماكنت تصنع هذا ! ، فقال : " قال لي جبريل : رغم أنف رجل دخل عليه رمضان و لم يغفر له، فقلت: آمين ، ثم قال : رغم أنف عبد أدرك أبويه أو أحدهما الكبر لم يدخل الجنة ، فقلت : آمين . ثم قال : رغم أنف عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك ، فقلت : آمين) . ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، فذكره وقال فيه: (من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله ، قل : آمين . فقلت : آمين) .

أخرجه ابن حبان في صحيحه ٩٠٧ ، والبخاري في الأدب المفرد ٦٤٦ ، والبزار ٣١٦٩ ، من حديث أبي هريرة ، وإسناده حسن ، فيه محمد بن عمرو بن علقمة الليثي ، صدوق له أوهام كما في التقريب ، لكن للحديث شواهد يتقوى بها إن شاء الله .

٣: حديث صحيح أخرجه الترمذي ٣٥٤٥ ، وابن حبان في صحيحه ٩٠٨ ، واسماعيل القاضي ١٦ ، والإمام أحمد في المسند ٢/٢٥٤ ، من حديث أبي هريرة ، بإسناد صحيح ، وللحديث شواهد ، ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم

وحديث : (شقي عبد ذكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ) .

أخرجه الطبراني من حديث جابر[1] .

ومنها : عقب إجابة المؤذن ، لحديث :(إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لاتنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجوا أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة)[2] .

أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، ومسلم ، والترمذي ، وأبو داود ، والنسائي من حديث كعب بن علقمة .

ومنها : عند دخول المسجد والخروج منه ، لحديث أحمد عن فاطمة رضي الله عنها : (كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد ثم قال : اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال : اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك)[3] .

يصل علي ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة) .

١: وذكره الحافظ في الفتح ١١/١٦٨ .

٢: أخرجه مسلم ٣٨٤ ، وأبوداود ٥٢٣ ، والنسائي في سننه ٢/٢٥ و ٢٦ ، وابن حبان في صحيحه ١٦٩٠ ، والبيهقي في السنن ١/١٤٠ ، من حديث عبد الله بن عمرو .

٣: وأخرجه الترمذي ٣١٤ ، وابن ماجة ٧٧١ ، والإمام أحمد ٥/٤٢٥ لكن عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين ، عن جدتها فاطمة الكبرى رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم وقال : رب اغفر لي

ومنها : **قبل القيام من المجلس** ، لحديث اسماعيل القاضي عن أبي سعيد:(مامن قوم يقعدون ثم يقومون ولايصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب)[١] .

ومنها : **عند الصباح والمساء** ، لحديث أبي الدرداء مرفوعاً : (من صلى عليَّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة)[٢]رواه الطبراني .

ومنها : **عند الوضوء** ، لحديث سهل بن سعيد مرفوعاً : (لا وضوء لمن لم يصلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم)[٣]رواه ابن ماجة .

ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج صلى على محمد وسلم وقال : رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك) .

١: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله ، ولم يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم ، إلا كان بمجلسهم عليهم ترة يوم القيامة ، إن شاء عفا عنهم ، وإن شاء أخذهم).
أخرجه أبو داود ٤٨٥٥ ، والترمذي ٣٣٨٠ ، والنسائي في السنن الكبرى ١٠٢٣٨ ، وابن حبان ٥٩٠ ، والحاكم في المستدرك ٤٩١/١ .
واسماعيل القاضي في :" فضل الصلاة على النبي " صلى الله عليه وسلم ــ ٥٤ ، وأبو نعيم في الحلية ١٣٠/٨ ، والبيهقي ٢١٠/٣ ، والإمام أحمد في المسند ٤٣٢/٢ و٤٨٤ و ٥٢٧ ، من حديث أبي هريرة من طرق ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وهو على شرط مسلم كما قال الحافظ ابن القيم . وهو عند ابن حبان بلفظ : (وما قعد قوم مقعداً لا يذكرون الله فيه ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة ، وإن دخلوا الجنة للثواب) من حديث شعبة عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : وهذا الإسناد على شرط الشيخين.
٢: أخرجه الطبراني كما في المجمع ١٢٠/١٠ ، من حديث أبي الدرداء ، وقال : رواه الطبراني بإسنادين، وإسناد أحدهما جيد ورجاله ثقات ، انتهى . وللحديث شواهد كثيرة .
٣: رواه الطبراني في الكبير عن سهل بن سعد " كتر العمال ٣٢٢/٩ الحديث رقم ٢٦٢٣٩ " .

ومنها : **عند طنين الأذن** ، لحديث أبي رافع مرفوعاً : (إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصلِّ عليَّ وليقل : ذكر الله من ذكرني بخير) رواه ابن السني[١] .

ومنها : **عند نسيان الشيء** ، لحديث أنس : (إذا نسيتم شيئاً فصلوا عليَّ تذكروه إن شاء الله) رواه المديني[٢] .

ومنها : **عند زيارة قبره الشريف صلى الله عليه وسلم** ، لحديث : (من صلى عليَّ عند قبري سمعته) رواه ابن عساكر[٣] .

وورد الأمر بالإكثار منها يوم الجمعة وليلتها ؛ فعن أوس بن أوس الثقفي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليَّ . قالوا : يارسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد

وأخرج الدارقطني أيضاً من طريق عمرو بن شمر عن جابر قال : قال الشعبي : سمعت مسروق ابن الأجدع يقول : قالت عائشة رضيي الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لايقبل الله صلاة إلا بطهور ، وبالصلاة علي) .
١: في عمل اليوم والليلة ١٦٦ ، وأخرجه ابن عدي في الكامل ١١٣/٦ و٤٥١ ، والطبراني في الثلاثة كما في المجمع ١٣٨/١٠ من حديث أبي رافع ، بلفظ : (إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصلِّ علي) . قال الهيثمي : وإسناد الطبراني في الكبير حسن ، انتهى . وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ٧٦/٣ وطاهر الفتني في تذكرة الموضوعات ١٦١ ، وهو ضعيف في أحسن أحواله .
٢: ذكره الحافظ السخاوي في القول البديع صفحة ٢١٧ ، وقال : أخرجه أبو موسى المديني سند ضعيف ، انتهى .
٣: ذكره السخاوي في القول البديع صفجة ١٤٩ ، وقال : أخرجه أبو الشيخ في " الثواب " له، من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عنه ، ومن طريقه الديلمي ، انتهى .

أرمت؟[1] قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) رواه أحمد وأبوداود، والنسائي وصححه ابن خزيمة، وابن حبان [2] .

وإنما أمرنا بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم لنقوم ببعض حق الواسطة جمعاً بين الحقيقة والشريعة ، فإن كل خير وإن كان في الحقيقة من الله {ومابكم من نعمة فمن الله} لكن الشرع جاء بشكر الوسائط ؛ ففي الحديث : (من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بوجه الله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ماتكافؤونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) أخرجه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن حبان عن ابن عمر رضي الله عنهما [3] .

١: أرمت : بليت وصرت رميماً ، وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك ، وقد حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء كما سيأتي .

٢: أخرجه أبو داود ١٠٤٧ ، والنسائي ٣/٩١–٩٢ ، وابن ماجة ١٠٨٥ ، وابن حبان ٩١٠، والحاكم ١/٢٧٨ ، واسماعيل القاضي ٢٢ ، والدارمي ١/٣٦١ ، والإمام أحمد ٤/٨، من حديث أوس بن أوس ، صححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وله شاهد من حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم والترمذي والنسائي ومالك بلفظ : (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط ، وفيه تيب عليه ، وفيه مات ، وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة – أي مستمعة مصغية – ، من حين تصبح حتى تطلع الشمس ، شفقا من الساعة ، إلا الجن والإنس، وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي ، يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه) فهذا الحديث صحيح مؤيد لحديث أوس ابن أوس ، دال على مثل معناه.

٣: هما حديثان : أما الأول : (من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سألكم بوجه الله فأعطوه) رواه أحمد وأبو داود بسندهما عن ابن عباس ، ورمز السيوطي لحسنه – الجامع الصغير ٢/٤٨٩ الحديث رقم ٨٤١٠ . وأما الحديث الثاني : (من استعاذكم بالله فأعيذوه ، ومن سألكم بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ماتكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي، وابن حبان ، والحاكم ، كلهم عن ابن عمر رضي الله عنهما ، ورمز السيوطي لحسنه " الجامع الصغير ٢/٤٨٩ الحديث رقم ٨٤١١ .

وفي حديث آخر :(من لم يشكر الناس لم يشكر الله) [1] .

ولاشك أنه صلى الله عليه وآله وسلم هو الواسطة للعباد في كل خير ديني أو دنيوي كما يأتي أيضاً إن شاء الله تعالى .

ويحصل لنا ماورد في ذلك من المزايا والأجور ؛ ففي حديث مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً : (من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشرا) [2] .

قال ابن عطاء الله : من صلى الله عليه مرة واحدة كفاه هم الدنيا والآخرة ، فكيف بمن صلى عليه عشرا ؟ .

وعن أنس مرفوعاً : (من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيئات ، ورفعت له عشر درجات) .

أخرجه النسائي [3] .

١: حديث : (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) رواه الإمام أحمد في المسند ، والترمذي في السنن، والضياء ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . " الجامع الصغير ٢/٥٥٨ الحديث رقم ٩٠٢٨.

٢: صحيح : أخرجه مسلم ٤٠٨ ، وأبو داود ١٥٣٠ ، والترمذي ٤٨٥ ، والنسائي في السنن ٣/٥٠ ، وابن حبان ٩٠٦، والدارمي ٢/٣١٧ ، واسماعيل القاضي ٩ ، والإمام أحمد في المسند ٣/٣٧٢ و ٣٧٥ ، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

٣: حديث : (من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ، وحطّ عنه بها عشر سيئات ، ورفعه بها عشر درجات) صحيح : أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٦٤٣ ، والنسائي في السنن الكبرى ٩٨٩٠ ، وفي الصغرى ٣/٥٠ ، وابن حبان ٩٠٤ ، والإمام أحمد في المسند ٣/١٠٢ و ٢٦١، من حديث أنس بإسناد جيد . وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم ٣٨٤ ، والترمذي ٣٦١٤ ، والنسائي ٢/٢٥ .

وورد في أخرى **عن أبي طلحة** : جاء صلى الله عليه وسلم ذات يوم والبشرى في وجهه ، فقلنا أما ترى البشرى في وجهك ؟ فقال : أتاني جبريل فقال : يامحمد إن ربك يقول : أما يرضيك أنه لايصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشراً ، ولايسلم عليك أحد إلا سلَّمت عليه عشراً) [١] .

وعن ابن مسعود مرفوعاً : (إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة) . أخرجه الترمذي [٢] .

١: عن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه ، فقالوا: يارسول الله ! إنا لنرى السرور في وجهك ؟ ، فقال : " إنه أتاني الملك فقال : يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول: إنه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا ، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلّمت عليه عشرا ؟ قال : بلى) .

صحيح : أخرجه النسائي ٥٠٣ ، وابن حبان ٩١٥ ، والحاكم في المستدرك ٤٢٠/٢ ، وأبو نعيم في الحلية ١٣١/٨ ، والدارمي في السنن ٣١٧/٢ ، والإمام أحمد في المسند ٢٩/٢ و ١٥٢، من حديث أبي طلحة ، صححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وللحديث شواهد : انظر القول البديع للسخاوي صفحة ١٠٠ – ١٠٧ ، والحاكم ٥٥٠/١ ، و" فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم " لاسماعيل القاضي ١و٢ .

٢: أخرجه في السنن ٤٨٤ وقال : حديث حسن غريب ، وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير ١٧٧/٥، وابن حبان ٩١١ ، من حديث ابن مسعود ، وفي إسناده موسى بن يعقوب الزمعي سيء الحفظ ، وعبد الله بن كيسان : لم يوثقه غير ابن حبان .

وله شاهد من حديث أبي أمامة أخرجه البيهقي في سننه ٢٤٩/٣ ولفظه : (وصلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة ، فمن كان أكثرهم علي صلاة ، كان أقربهم مني مترلة) ، وذكره الحافظ في الفتح ١٦٧/١١ وقال : لابأس بسنده . وكذا ذكره الحافظ المنذري في الترغيب ٣٠٣/٣ وقال: رواه البيهقي بإسناد حسن .

وورد : (من صلى عليَّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب) ذكره في الشفاء [١] .

وفي رواية : (تصلي عليه) والصلاة في الكتاب بالكتابة وهو أظهر ، أو القراءة وهو أرجى ، قاله سيدي زرُّوق .

وهل منفعة الصلاة والسلام راجعة إلينا فقط لدلالتها على خلوص النية وإظهار المحبة فهما دعاء على وجه التقرب إلى الله لا كسائر الأدعية التي يقصد بها نفع المدعو له ، وبه قال ابن العربي ، والشيخ السنوسي ، أو يزيده الله تعالى رفعة وشرفاً بدعاء أمته له ، لأن العبد لايستغني عن الزيادة من مولاه في وقت من الأوقات ؟ . وبه قال القرطبي والقشيري .

ووفق العارف بالله أبو زيد الفاسي بينهما بأن الأول : تنبيه على الأدب في القصد. والثاني : إخبارٌ عن كرم الله تعالى وعدم تناهي أفضاله .

لكن يعكر على هذا التوفيق حديث الترمذي أن أبي بن كعب قال: (يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : ما شئت ، قلت : الربع؟ قال : ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك . قلت : فالنصف ؟ قال : ما شئت ، وإن

١: حديث : (من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب) ذكره السخاوي في القول البديع صفحة ٢٣٨ وقال : أخرجه أبو القاسم التيمي في ترغيبه ، وفي سنده من اتهم بالكذب ، وقد قال ابن كثير : ليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة ، وقد روي من حديث أبي هريرة ولا يصح أيضاً ، وقال الذهبي : أحسبه موضوعاً ، انتهى .

انظر : جلاء الأفهام – ابن القيم صفحة ٥٩ .

زدت فهو خير لك. قلت : فالثلثين ؟ قال: ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك . قلت : أجعل لك صلاتي كلها؟ قال : إذاً تكفى همك ، ويغفر ذنبك) .

حديث حسن [1] .

وقد ذكروا أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقبولة قطعاً بخلاف سائر الأعمال فلايقطع بقبولها . وممن نصَّ على ذلك أبو اسحق الشاطبي .

ولذا **قال أبو سليمان الداراني** : من أراد أن يسأل الله حاجة فليصلِّ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولاً وآخراً فإن الله تعالى يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما .

وإنما أسندت الصلاة إلى الله تعالى لأنا لما كنا عاجزين عن مكافأته صلى الله عليه وآله وسلم وجب أن نرجع ذلك إلى المولى الكريم القادر الذي بيده خزائن النعم ، فيطلب منه أن يصلي على هذا النبي الكريم . وقد أرشد صلى الله عليه وآله وسلم إلى

١: عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام ، فقال : " يا أيها الناس ، اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه " قال أبي ابن كعب – قلت : يا رسول الله ، إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ ، قال : " ما شئت ، قلت : الربع ؟" قال : " ما شئت ، وإن زدت فهو خير " قلت : النصف ؟ ، قال : " ما شئت وإن زدت فهو خير"، قلت : الثلثين ؟ قال: " ما شئت ، وإن زدت فهو خير " قال : أجعل لك صلاتي كلها ، قال: إذن تكفى همك ، ويغفر ذنبك") .

أخرجه الترمذي ٢٤٥٧ وقال : حديث حسن صحيح . والحاكم ٥١٣/٢ ، وأحمد ١٣٦/٥ من حديث أبي بن كعب ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، انتهى . وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه البزار كما في المجمع ١٦٠/١٠ ، قال الهيثمي : وفيه عمر بن محمد بن صهبان، وهو متروك ، انتهى .

ذلك حين قالوا :(أما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد) كما رواه الشيخان وغيرهما [1] .

١: ولفظه عند الشيخين عن أبي ليلى قال : لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدي لك هدية ؟ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : قد عرفنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال: " قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد" .

أخرجه البخاري ٣٣٧٠ و ٤٧٩٧ ، ومسلم ٤٠٦ ، وأبو داود ٩٧٦ و ٩٧٧ ، والترمذي ٤٨٣، والنسائي ٤٧/٣، وابن ماجة ٩٠٤ ، والشافعي ٩٢/١ ، والإمام أحمد ٢٤١/٤ ، كلهم من حديث كعب بن عجرة .

قوله :

عَلى مَنْ مِنْهُ انْشَقَّتِ الأَسْرار وَانفَلَقَتِ الأَنوار

فيه وجوه :-

أحدها : أن يريد أنه صلى الله عليه وآله وسلم مرآة لمعرفة العارفين ، ومجلى ظهرت فيه أسرار الذات وأنوار الصفات لأهل البصائر واليقين ، كلٌّ على حسب مقامه :-

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

فمداره صلى الله عليه وآله وسلم على التعريف بالله ، قولاً وفعلاً ؛ أما القول فواضح، وأما الفعل فلأنه مقتد بأفعال الله يثيب من استحق الثواب ، ويعاقب من يستحق العقوبة ، وكان دائم البشر ، وأحسن الناس طبعاً ، وأكملهم عشرة ، وأسرعهم رضاً، وأبعدهم غضباً ، وإذا انتهك شيء من محارم الله تعالى لم يقم لغضبه شيء . وأصل ذلك تبعية إرادته لإرادة الله تعالى ؛ بمقتضى الخلافة والتمكن؛ فكان صلى الله عليه وآله وسلم متخلقاً بمعاني الأسماء الحسنى .

قال صاحب المعارف : أخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم لا تنحصر ، ويدل لذلك قول عائشة رضي الله عنها وعن أبيها : (كان - صلى الله عليه وسلم - خلقه

القرآن)[١]، فيه رمز غامض ، وإيماء خفي إلى الأخلاق الربانية ، فاحتشمت أن تعبر بذلك ، وكنَّتْ عن هذا المعنى بقولها : (كان خلقه القرآن) استحياء من سبحات الجلال ، وستراً للحال بلطيف المقال، وهذا من وفور عقلها ، وكمال دينها .

وقال الورتجبي في قوله :{إن الذين يبايعونك ...} الآية [٢]: جعل نبيه صلى الله عليه وآله وسلم مرآة لظهور ذاته وصفاته ، وعلى هذا حمل بعضهم قوله : (من رآني فقد رأى الحق) [٣]. وهو أيضاً معنى قولهم إن النبي صلى الله عليه وسلم هو الإنسان الكامل ، وأنه مخلوق على صورة الله ، وعلى صورة الرحمن .

وقد ورد الخبر بذلك ، ومن هنا سمي صلى الله عليه وآله وسلم بكثير من أسمائه تعالى كالرؤوف ، والرحيم ، والنور .

وقد أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا المعنى في حق غيره بقوله - كما في الصحيح - : (خيار أمتي الذين إذا رؤوا ذكر الله) [٤] .

وعبَّر بـ **(الأسرار)** عما يبدو لخاصة الخاصة من شهود كمال الذات لشدة خفاء ذلك على غيرهم .

١: سبق تخريجه .

٢: قوله تعالى { إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما } سورة الفتح ـ الآية ١٠ .

٣: حديث " من رآني فقد رأى الحق ؛ فإن الشيطان لا يتزايا بي " رواه الشيخان ، والإمام أحمد عن أبي قتادة ـ الجامع الصغير ٢/٥٢٠ الحديث رقم ٨٦٨٩ .

٤: حديث (خيار أمتي الذين إذا رؤوا ذكر الله ، وشرار أمتي المشاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الباغون البرآء العنت) . رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن غنم ، والطبراني عن عبادة بن الصامت " الجامع الصغير ١/٥٤٠ الحديث رقم ٣٩٧٦ .

وأتي بـ (**الانشقاق**) مناسبة له ، وبـ(**الأنوار**) عما يبدو لغيرهم من معاني الصفات لظهورها بالنسبة لأسرار الذات .

وأتى بـ (**الانفلاق**) مناسبة أيضاً لأنه أقوى ، وكل ذلك إنما هو بواسطته صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا يتوصل أحد إلى شيء منه إلا به .

ولابن زكري في هذا المعنى :ـ

محمد مرآة أرباب الشهود ... والعارفون كلهم بذا شهود

وجِّه له الشهود تحظَ بالشهود ... وعند ذا تنظم في سلك الشهود

ثانيها : أن يكون أشار إلى ماتضمنه حديث جابر وعمر رضي الله عنهما من أنه صلى الله عليه وآله وسلم أصل الموجودات ، وعنصرها ، وأساسها .

قال جابر : قلت يارسول الله بأبي أنت وأمي .. أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء ؟ قال : ياجابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جنة ولا نار ، ولا ملك ، ولا سماء ، ولا أرض ، ولا شمس ، ولا قمر، ولا جني ، ولا إنسي ، فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الثاني اللوح ، ومن الثالث العرش ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول حملة العرش ، ومن الثاني الكرسي ، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الأول السموات ، ومن الثاني الأرضين ، ومن الثالث الجنة والنار ، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول

نور أبصار المؤمنين ، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ، ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد : لا إله إلا الله محمد رسول الله)[١].

وهذه القسمة لاتوجب قسمة الماهية المحمدية ، كما لايوجب الاقتباس من السراج قسمته ، ومن ثم جعله الله سراجاً في قوله :{ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً}[٢].

ولم يشبهه في الآية بالشمس والقمر مع عموم إضاءتهما لعدم الاقتباس منهما، أو لغيبة نورهما بأفولهما ، ونوره صلى الله عليه وآله وسلم لا ينقطع أبداً . ولا بنور الشمع ، لأن الشمع للملوك والأغنياء فلا يصل الفقراء إليه غالباً ، ووجوده صلى الله عليه وآله وسلم وإفضاله عام غير مقصور على قوم دون آخرين .

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (يا عمر ! أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله عز وجلّ أول كل شيء نوري ، فسجد لله ، فبقي في سجوده سبعمائة عام، فأول كل شيء سجد لله نوري ولا فخر ، يا عمر! أتدري من أنا ؟ أنا الذي خلق الله العرش من نوري ، والكرسي من نوري، واللوح والقلم من نوري ، والشمس والقمر من نوري ، ونور الأبصار من نوري ، والعقل الذي في رؤوس الخلق من نوري ، ونور المعرفة في قلوب المؤمنين من نوري ولا فخر)[٣].

١: ذكره العلامة القسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٧١/١ بتحقيق من أساء إلى الكتاب ولم يصلح لترعته المعروفة هو وأمثاله ممن يهرفون بما لايعرفون ويقولون مالا يفهمون. كما أخرج الحديث عبد الرزاق في مصنفه ، والبيهقي في سننه بألفاظ مختلفة .

٢: سورة الأحزاب ـ الآية ٤٦ .

٣: لم أجده فيما لدي من مصادر ، والله أعلم بصحته .

وفيه بيان أن أول ما صدر منه ـ صلى الله عليه وسلم – السجود لله ، ومن ثم خرج من بطن أمه على هيئة الساجد .

وبيان أنه أول ساجد ، والسجود أقرب الحالات إلى الله كما ورد : (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)[1] .

وفي سيرة الجيلي نقلاً عن كتاب التشريفات في المناقب والمعجزات قال: و لم أقف على اسم مؤلفه : عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم سأل جبريل عليه السلام فقال : يا جبريل ..كم عُمِّرتَ من السنين ؟ فقال : يا رسول الله لست أعلم غير أن في الحجاب الرابع نجماً يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة ، رأيته اثنين وسبعين ألف مرة !!! فقال صلى الله عليه وسلم : وعزة ربي أنا ذلك الكوكب). رواه البخاري ، هذا كلامه .

والمراد بـ(**الأسرار**) على هذا : كليات الموجودات ، أي : حقائقها لخفائها في طي الجزئيات وبـ(**الأنوار**) : الجزئيات لظهورها ،ولكون نوره صلى الله عليه وآله وسلم أول المخلوقات ، وتفرع جميعها عنه ، فسمي بذرة الوجود ، والتشبيه بالبذرة ليس من كل وجه لأن ماهية نوره لم تنقسم و لم تنقص كما تقدم .

ولابن زكري في هذا المعنى :ـــ

أنت أصل الوجود فالكون من فرش إلى العرش منك ما أزكاكا
لولا جاهك لم يكن له كون ولدام انعدامه لولاكا

١: حديث " أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء " رواه مسلم ، وأبو داود، والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه . الجامع الصغير ١٧٣/١ ـــ الحديث رقم ١٣٤٨ .

ولسيدي أحمد بن وفا في صلاته : (اللهم صلِّ على النور الأول)[1] .

١: هكذا ورد في المخطوطة وهو خطأ نسخي كما يبدو لأن هذه الصلاة لسيدي علي بن محمد وفا الشاذلي رضي الله عنه المتوفى سنة ٨٠٧هجرية . وهي صلاة فاضلة جامعة شاملة ، ذكرها الشيخ النبهاني في كتابه العظيم " سعادة الدارين " ولفضلها ، وزيادة في النفع أتشرف بنقلها بنصها كاملة تامة احتساباً للثواب وزيادة في الأجر لما فيها من الصلاة على سيد الأحباب صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ووالى عليه وأنعم ، وهذه هي:ـــ
" اللهم صل على النور الأول ، والسر الأنوه الأكمل ، عين الرحمة الربانية ، وبهجة الاختراعات الأكوانية ، صاحب الملة الإسلامية ، والحقائق الإيمانية ، نور كل شيء وهداه ، وسر كل سر وسناه ، من فتحت به خزائن الحكمة والرحموت ، ومنحت بظهوره أنور الملك والملكوت ، قطب دائرة الكمال ، وياقوتة تاج محاسن الخلال ، إنسان عين المظاهر الإلهية ، ولطيفة تروحنات الحضرة القدسية، مدد الأمداد ، وجود الجود ، وواحد الآحاد ، وسر الوجود ، واسطة.عقد السلوك ، وشرف الأملاك والملوك ، بدر المعارف في سماء الدقائق ، وشمس العوارف في عروش الحقائق ، بابك الأعظم وصراط المستقيم الأقوم ، برقك اللامع ، ونورك الساطع ، وضياؤك الذي هو بأفق كل قلب سليم طالع ، وسرك المتره الساري في جزئيات العالم وكلياته ، علوياته وسفلياته ، من جوهر وعرض ووسائط ومركبات وبسائط ، مغرب أسرار الذات ، ومشرق أنوار الصفحات ، ومظهر أنوار التجليات ، بأنوار السبحات من سنا السرادقات بأرواح التروحنات ، المصلي في محراب جامع الجمع بأحمد ، والقاري بقرآن الفرق بمحمد ، القائم في الملك بشرعه وجلاله ، والراحم في الملكوت برحمته وجماله ، عين غيبك الكاملة ، وخليفتك على الإطلاق في مملكتك الشاملة ، صل الله عليه صلاة تعرفني بها إياه في مراتبه وعوالمه ، ومواطنه ومعالمه ، حتى أشهده بعين العيان ، لابالدليل والبرهان ، وأعرفه بالتحقيق، في كل موطن وطريق ، وأرى سريان سره في الأكوان، ومعناه المشرق في مجاليه الحسان ، واجعل اللهم مددي من شمس حقيقته ، ومن نور شريعته ، حتى أستضيء في ليل جهلي بأنوار حقائق معارفه ، وآنس في غربة مسراي بإيناس لطائفه ، واحملني إلى حضرته القدسية الأحمدية على كاهل شريعته المحمدية ، وعمر أوطان نقصي بأوطار كماله ، وألبسني من خلع جلاله وجماله ، وأفردني في حبه كما أفردته في حسنه وإحسانه ، وخصصني بخصائص قربه وامتنانه ، حتى أكون وارثاً لديه ، وناظراً منه إليه ، وجامعاً له به عليه ، اللهم وصل عليه صلاتك الأزلية الأحدية ، في مظاهرك الأبدية الواحدية ، ماتوحد تجليك وتكثر الفرد في العدد، وأشرقت أنوار الصفات بتوالي المدد ، واتسعت ربوبية الحكيم ، وتقدست سبحات العليم ، بتسبيح التمجيد والتكريم ، بلسان القدم في أزل الآزال ، وتقديسه في صفتي الجلال والجمال ،

وله[1] :-

وسلم عليه سلام الفردانية مـــاتعددت مراتـــب العددية ، في وحـــدة مراقـــي درجاتـــه العلويـــة في مقامات العبودية ، بتـــوالي شـــهود الرحمـــة الذاتيـــة ، وانـــدراج الأنـــوار الصفاتيـــة ، في المجـــالات الأطوارية ، والمطارات الملكية، وسجدت لـــه الأرواح الروحانيـــة ، في محـــراب الآدميـــة ، في جـــامع حيطته الأحمدية ، المحيطة بالأنوار السبوحية ، الكاتبـــة بـــالأقلام المعنويـــة ، في الألـــواح الشـــهودية ، بالأسرار الخفية ، عن الإدراكات البشرية ، وصل عليه صلاة وســـلاماً يتقـــدس بهمـــا عـــن عـــوارض الإمكان الوجوب اتصافه بالكمالات ، وعموم عصمته في جميع الخطـــرات ، ماتنـــزه شـــامخ عـــزه عن النقص والسلوب ، وثبت راسخ مجده بالذات والوجوب ، وارض عـــن أصحابـــه أئمـــة الهـــدى، ونجوم الاقتدا ، ماتعاقبت أدوار الأنوار ، وأشـــرقت الأســـرار بالأســـرار ، وســـلم تســـليماً كثـــيراً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلـــي العظيـــم " .

قال الشيخ النبهاني عقبها : هذه الصلاة الفاضلـــة الجامعـــة الشـــاملة نقلتـــها مـــن كتـــاب تحفـــة الأخيار في الصلاة على النبي المختار، قال مؤلفه العارف بـــالله تعـــالى أبـــو عبـــد الله محمـــد بـــن أبي الفضل الرصاع في شأنها : وقد رأيت صلوات لأهـــل القـــرب والفتوحـــات مـــن أوليـــاء الله تعـــالى الذين ورثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما رأيت صـــلاة أحلـــى وأزكـــى وأجمـــع وأمنـــع من صلاة الشيخ العارف بالله المحب في رسول الله سيدي علي بن وفـــا رضـــي الله عنـــه ونفـــع بـــه ، وذكرها رضي الله عنه من مقامه ، فإنه من كبار خدامه ، فلاحـــت عليـــه أنـــوار المحبـــة، ونشـــرت عليه أعلامها ، وفاضت عليه المواهـــب اللدنيـــة ، وســـدل لديـــه إكرامـــها ، فلنذكرهـــا تبركـــاً ، وتوسلاً إلى الله تعالى بسببها وذكرها ، ثم قال : فاسمع أيها الغـــافل مثلـــي مـــامنح المـــولى ســـبحانه هذا الولي رضي الله عنه من أنوار المحبة في القلب ، وكساه له ولأهـــل الحضـــرة مـــن ســـدة الخدمـــة لحبيب الرب ، فأورثهم ينابيع الحكمة حتى تفجـــرت أنهارهـــا علـــى ألســـنتهم ، وفـــاضت أنوارهـــا عليهم بكمال خدمتهم ، فكم في هذه الصلاة من اســـتعمال دقـــائق الحقيقـــة ، وغوامـــض الشـــريعة وأسرار الطريقة ، مالايدركه إلا مـــن زال عـــن قلبـــه الحجـــاب ، وامتـــلأت جوارحـــه بحـــب رب الأرباب ، نوّر الله بصيرتنا بحبه ، وعمر سريرتنا بذكـــره ، انتـــهى.

انظر : سعادة الدارين للعلامة الشيخ سيدي يوسف بن اسماعيل النبهاني رضـــي الله عنـــه وعنـــا بـــه صفحـــة ٢٦٤-٢٦٦.

١: بل هي أيضاً لسيدي علي بن محمد وفا ، كما ذكره الشـــيخ النبـــهاني في مجموعـــة المدائـــح النبويـــة ـــ قافية الدال ـــ الجزء الثاني ـــ صفحـــة ٥٥ .

سكن الفؤاد فعش هنيئاً يا جسد هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد

إلى أن قال :-

روح الوجود حياة من هو واجد لولاه ماتم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم هم أعين هو نورها لمّـا ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره في وجه آدم كان أول من سجد
أو لو رأى النمروذ نور جماله عبد الجليل مع الخليل وما عند
لكن جلال الله جلّ فلايُرى إلا بتخصيص من الله الصمد

ثالثها : أن يكون أشار إلى أنه سبب الوجود وعلته ، لما رواه الحاكم في صحيحـــه (أن آدم عليه السلام رأى اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم مكتوباً على العـــرش وأن الله تعالى قال لآدم : لولا محمد ماخلقتك)[1] .

وفي حديث آخر : (لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضاً)[2] .

١: روى البيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قـــال رســـول الله صلـــى الله عليـــه وســـلم: (لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد لما غفـــرت لي ، فقـــال الله : يـــا آدم وكيـــف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : لأنك يارب لما خلقتني بيـــدك ونفخـــت فيّ مـــن روحـــك، رفعـــت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمـــد رســـول الله ، فعلمـــت أنـــك لم تضـــف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله تعـــالى : صدقـــت يـــاآدم إنـــه لأحـــب الخلـــق إلي ، وإذ سألتني بحقه قد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك " . قـــال في مجمـــع الزوائـــد : رواه الطـــبراني في الأوسط والصغير ، وفيه من لم أعرفهم . ورواه الحاكم وصححـــه ، والطـــبراني وزاد فيـــه : " وهـــو آخر الأنبياء من ذريتـــك " .

٢: في المولد الشريف لابن طغر بك : ويروى أنه لما خلـــق الله تعـــالى آدم ، ألهمـــه أن قـــال : يـــا رب! لم كنيتني أبا محمد ؟ قال الله تعالى : يا آدم ارفع رأسك ، فرفع رأســـه ، فـــرأى نـــور محمـــد صلـــى

وعند ابن عساكر من حديث سلمان قال : (هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إن ربك يقول : إن كنت اتخذت ابراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيباً، وماخلقت خلقاً أكرم عليَّ منك ، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ، ولولاك ما خلقت الدنيا) [1] .

وإلى هذا أشار البوصيري بقوله :- " لولاه لم تخرج الدنيا من العدم "

و(مَن) على هذا : تعليلية . وقد تبين بما تقدم أنه صلى الله عليه وآله وسلم السبب في وجود آدم ، وأن آدم من نوره خلق . ولهذا قيل إذا لقيه آدم يقول : يا ولد ذاتي ووالد معناي ، يشير إلى أن روحه صلى الله عليه وآله وسلم أبو الأرواح ، وهو معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (أنا يعسوب الأرواح) [2] .

ولابن الفارض في تائيته على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم :-

وإني وإن كنت ابن آدم صورة   فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

ولابن زكري :-

وفي حضرة الأنوار نوره سابق

وفيه بدا نور الوجود بلا مين

الله عليه وسلم في سرادق العرش ، فقال : يا رب ماهذا النور ؟ ، قال : هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد ، وفي الأرض محمد ، لولاه ماخلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضا " وذكره في المواهب اللدنية ١/٦٩-٧٠ .

١: وذكره العلامة القسطلاني في المواهب اللدنية ١/٨٣ .

٢: ذكره العجلوني في كشف الخفاء عند كلامه عن الحديث المشتهر على الألسنة " أمير النحل علي " وقال : قال في المقاصد : لاأصل له . انظر " كشف الخفاء للعجلوني ١/١٩٧ " .

فمن ثم في حشرٍ يناديه آدم أيا والدي

روحاً وفي الذات أنت ابني

ثم مع سبق وجوده ووجود كل مادة هو سابق في نيل النبوة أيضاً ، وإن تأخر مبعثه في عالم الأجساد . فعن ميسرة الضبي قلت : (يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قلت : قال : وآدم بين الروح والجسد) رواه أحمد ، والبخاري في تاريخه ، وأبو نعيم، وصححه الحاكم [1] .

والبينية كناية عن النفس ، لأنك إذا قلت : داري بين الكوفة والبصرة فمعناه : ليست في واحدة منهما ، فاستعمل " بين " في لازم معناه كما صرح به في رواية : (لا آدم ولاماء ولاطين) .

وفي رواية : (وآدم بين الماء والطين) .

وفي أخرى [2] : (وإن آدم لمنجدل في طينته) أي : مطروح على الجدالة ، أي : الأرض ، وليس المعنى أن نبوته كانت ثابتة في علم الله كما قيل لأنه لا يختص به ، بل المراد أن الله تعالى خلع على روحه وصف النبوة فقام به قبل خلق آدم ونفخ الروح فيه، ولا بعد في هذا ولا غرابة .

بل قيل : إنه صلى الله عليه وآله وسلم سابق على سائر الأنبياء روحاً لما مر ، وجسداً ، لأن مادة جسده صلى الله عليه وآله وسلم خلقت قبل سائر المواد ، لما

١: وفي المسند عن ميسرة الفجر ، انظر :المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني ١/٥٨-٥٩ ، والخصائص الكبرى للإمام السيوطي ١/٣ .

٢: من رواية أحمد والحاكم في المستدرك والبهقي عن العرباض بن سارية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته".

روى ابن الجوزي في الوفاء عن كعب الأحبار : أنه تعالى لما أراد أن يخلق محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أمر جبريل عليه الصلاة والسلام أن يأتيه بالطينة البيضاء ، فهبط في ملائكة الفردوس وقبض قبضة من موضع منيرة بيضاء فعجنت بماء التسنيم في معين الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ، ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي والسموات والأرض حتى عرفته الملائكة قبل أن تعرف آدم عليه الصلاة والسلام[1] .

وقيل : لما خاطب الله السماء والأرض بقوله :{ائتيا طوعاً أو كرهاً }[2] أجاب موضع الكعبة الشريفة ومن السماء ما يحاذيها .

وقد قال ابن عباس : أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سرة الأرض بمكة ، انتهى . قيل : ومن موضع الكعبة دحيت الأرض ؛ فصار صلى الله عليه وآله وسلم هو الأصل في التكوين والكائنات تبع له . ولذلك سمي أمياً لأن مكة أم القرى ، وذرته أم الخليقة[3] .

فإن قلت : هل يخالف هذا مامر من أن طينته عليه الصلاة والسلام من تربة قبره الشريف ؟

١: ذكره العلامة القسطلاني في المواهب نقلاً عن العارف الرباني عبد الله بن أبي جمرة في كتابه " بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها " ومن قبله ابن سبع في " شفاء الصدور " وأبو سعد في " شرف المصطفى " وابن الجوزي في الوفاء ، انظر : المواهب اللدنية ٦٨/١ " .

٢: سورة فصلت ـ الآية ١١ .

٣: قاله السهروردي في عوارفه ، وعنه نقل القسطلاني في المواهب ٦٩/١ .

قلت : ذكر صاحب عوارف المعارف[1] : أنه قيل أن الماء لما تموج رمى الزبد إلى النواحي ، فوقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بموضع قبره بالمدينة ، فكان صلى الله عليه وآله وسلم مكياً مدنياً[2] .

وبما تقدم من خلع وصف النبوة على روحه قبل خلق آدم تعلم أن رسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة ، وأن الأنبياء وأممهم كلهم من أمته في الحقيقة ، وأن قوله : (وبعثت إلى الناس كافة)[3] لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة ، بل يتناول من قبله أيضاً . وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى :{ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم ...}[4] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (لم يبعث الله تعالى نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وآله وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ، ولينصرنه ، ويأخذ العهد بذلك على قومه).

وهو مروي عن ابن عباس أيضاً[5] ، ذكرهما العماد ابن كثير في تفسيره[6] .

فيفهم منه أن سائر الرسل عليهم السلام مقتبسون من نوره ، ونوابه فقط قبل ظهوره، فهو نبي الأنبياء ، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم : (لو كان موسى

١: أفاض الله علينا من معارفه وعوارفه وتعطف علينا بعواطفه آمين .

٢: فكان حنينه صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، وتربته بالمدينة .

٣: من حديث رواه الشيخان وغيرهما .

٤: سورة آل عمران ـ الآية ٨١ .

٥: فالحديث موقوف عليهما لفظاً ، مرفوع حكماً ، ورواه ابن عساكر والبغوي بنحوه .

٦: عند تفسير قوله تعالى :{ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين ....} الآية ٨١ من سورة آل عمران .

وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعي)[1] . ويدل لذلك إمامته صلى الله عليه وآله وسلم بالأنبياء ليلة الإسراء ، واختصاصه في الموقف العظيم بالشفاعة الكبرى.

وروي أنه : (لما خرج آدم من الجنة رأى مكتوباً على ساق العرش وعلى كل موضع من الجنة اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم مقروناً باسم الله تعالى ، فقال: يارب هذا محمد من هذا ؟ فقال تعالى : هذا ولدك لولاه ماخلقتك . فقال : يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد .

فنودي : يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السموات والأرض لشفعناك)[2] .

وعن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي . فقال تعالى : يا آدم وكيف عرفت محمداً و لم أخلقه ؟ قال : لأنك يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت عِلى قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . قال الله تعالى : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك) رواه البيهقي في دلائله[3].

فإن قلت : إذا كانت نبوته وبعثته سابقة فما الحكمة في تأخير ظهوره وكونه خاتم النبيين ؟

قلت : في ذلك فوائد ؛

١: ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/٤٨ من حديث أخرجه أبو يعلى عن جابر .
٢: ذكره العلامة القسطلاني في مواهبه ١/٨٢ .
٣ : ٥/٤٨٩ .

منها : أن يكون هو المتمم لدائرة النبوة ، والمحصل لكمالها ، والمظهر لتمام حقيقتها.

قال السهروردي : مثل النبوة دائرة لها وجود في الغيب وهو حقيقتها ، ووجود في الشهادة هو صورتها ، ووجودها الخارجي وهي مؤلفة من نقط على عدد الأنبياء ، والذي ابتدأ وجودها الخارجي آدم ، وكلما وجد نبي وجد جزء من الدائرة ، ولا تظهر صورتها ، ولا تكمل حقيقتها وهيئتها إلا بالنقطة الأخيرة وهي النقطة المحمدية.

وقد مثل النبي صلى الله عليه وآله وسلم النبوة ببيت فيما رواه الشيخان وغيرهما **عن أبي هريرة رضي الله عنه** فقال : (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وكمَّله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ هل وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) .

وغيره في رواية عن جابر[1] .

ومنها : أنه سبحانه أطلعه وأمته على مساويء الأمم السابقة ، وعلى العقوبات والمثلات التي نزلت بهم ليعتبروا بذلك ؛ فجعل هذه الأمة معتبرين لا معتبراً بهم ،

١: الحديث أخرجه البخاري عن محمد بن سنان بدون نهايته في : ٦١ – كتاب المناقب ١٨ – باب:خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، الحديث ٣٥٣٤ .
وأخرجه مسلم في : ٤٣ – كتاب الفضائل ، ٧ باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، الحديث ٢٣ عن أبي بكر بن أبي شيبة ، صفحة ١٧٩١ .
وذكره البيهقي في الدلائل عنهما ١/٣٦٥ .

ومتَّعِظين لا مُـتَّعَظاً بهم ، وجعلهم شاهدين على غيرهم فقال : { لتكونوا شـــهداء على الناس } [١] .

وستر عيوبهم عن غيرهم من الأمم ، بل نوَّه سبحانه بقدرهم وبقـــدر نبيـــهم في الكتب السابقة تنويهاً تمنى بسببه كليم الله موسى عليه السلام أن يكون من هذه الأمة.

أخرج أبو نعيم **عن أبي هريرة رضي الله عنه** أن رسول الله صلى الله عليـــه وآلـــه وسلم قال : (إن موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها، وجد فيها ذكـــر هذه الأمة ، قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهـــم يقرؤونهـــا ظاهراً ، فاجعلها أمتي .قال : تلك أمة أحمد. قال : يا رب إني أجد في الألواح أمـــة يجعلون الصدقة في بطونهم يؤجرون عليها فاجعلها أمتي . قال : تلك أمة أحمد .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة إذا همَّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت لـــه حسنة واحدة ، وإن عملها كتبت له عشر حسنات فاجعلها أمتي. قال : تلـــك أمـــة أحمد .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة إذا همَّ أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتـــب ، فإن عملها كتبت له سيئة ، فاجعلها أمتي . قال : تلك أمة أحمد .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة يؤتون العلم الأول والعلم الآخـــر فيقتلـــون المسيح الدجال فاجعلها أمتي . قال : تلك أمة أحمد . قال : يا رب فاجعلني من أمـــة

١: في قوله تعالى :{ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونـــوا شـــهداء علـــى النـــاس ويكـــون الرســـول عليكم شـــهيدا} .

سورة البقرة – الآيـــة ١٤٣ .

أحمد . فأعطي عند ذلك خصلتين ، فقال : { يا موسى إني اصطفيتك على النـــاس برسالتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين} [١] قال : قد رضيت يا رب [٢] .

وأخرج أيضاً **عن أنس رضي الله عنه** أن النبي صلى الله عليه وآله وســـلم قـــال: (أوحى الله تعالى إلى موسى نبي بني اسرائيل أنه من لقيني وهو جاحد بأحمد أدخلتـــه النار. قال : يا رب .... ومن أحمد ؟ قال : ما خلقت خلقاً أكرم عليَّ منه ، كتبـــت اسمه مع اسمي في العرش قبل أن أخلق السموات والأرض ، وإن الجنة محرمة على جميـــع خلقي حتى يدخلها هو وأمته . قال : ومن أمته ؟ قال : الحمادون يحمدون صعـــوداً وهبوطاً وعلى كل حال ، يشدون أوساطهم ، ويطهرون أطرافهم ، صائمون بالنـــهار رهبان بالليل ، أقبل منهم اليسير ، وأدخلهم الجنة بشــــهادة أن لاإلى إلا الله . قـــال: اجعلني نبي تلك الأمة . قال : نبيها منها . قال : اجعلني من أمة ذلك النبي . قـــال : استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال) [٣] .

ولله در البوصيري إذ يقول :-

ولك الأمة التي غبطتها بك لما أتيتها الأنبياء

رابعها : أن يكون أشار إلى أن أرواح العلماء والعارفين والمرسلين والنبيين وجميـــع عباد الله الصالحين تتلقى من روحه صلى الله عليه وآله وسلم العلم والحكمة ، والمعاني الربانية ، والأسرار الملكوتية ، إذ روحه أبو الأرواح فكل ما يرد على القلـــوب مـــن

١: سورة الأعراف – الآيـــة ١٤٤ .

٢: أخرجه أبو نعيم في الدلائل ١٤/١ ، وذكره السيوطي في " الـــدر المنثـــور " ١٢٤/١ وعـــزاه لـــه.

٣: رواه أبو نعيم في الدلائل وعنه نقـــل الســـيوطي في خصائصـــه ٩/١-١٠ .

التنـــزلات العرفانية ، والمنح الإلهية ، منه وبواسطته ، فهو الهادي والمهدي لكل مـــن اهتدى ، وغيره من الهداة نوّابه وفروعه . ويرحم الله القائل :-

هو أهدى الهادين منا إلى الهدى   وحبه أهدى الوارد المورد الأصفى

وآياته   كالزهر والزهر نفحة   وعداً فمن ذا يستطيع لها وصفا

ثم تتأثر القلوب بتلك الواردات الإلهية لقوتها وورودها من حضرة قـــهار فتنبعـــث الجوارح للخدمة من غير تكلف ولا معاناة ، بل تصـــير الأعمـــال الصالحـــة إذ ذاك كالجِبِلّة .

ويرحم الله البوصيري إذ يقول فيه – صلى الله عليه وآله وسلم :-

ألف النسك والعبادة والخلـــــوة طفلاً وهكذا النجباء

وإذا حلّت الهداية قلباً   نشطت للعبادة الأعضاء

وأعمال الجوارح هي المسماة بالأوراد ، فالأوراد ناشئة عن الواردات ، وهو معنى قول الحكم :" فلولا وارد ما كان ورد " .وقولها :" ما كان ظاهر ذكر إلا عن بـــاطن شهود وفكر " .

وأما قولها :" قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم" يعني: المجذوبين والسالكين ، فالمراد الأنوار القوية التامة ، وهي متقدمة للمجذوبين ، متأخرة للسالكين .

وأما أصل النور فلا بد من تقدمه حتى للسالكين .

فعبّر بـــ(**الأسرار**) عن الواردات لخفائها ، وبـــ(**الأنوار**) عن الأوراد لظـــهورها ، وكلاهما منه صلى الله عليه وآله وسلم .

ولابن زكري في هذا المعنى :-

واردات القلوب منك تلقـــاها الخصوص ففازوا بالأوراد

إنما القلب مضغة إن تحلّى   بصلاحٍ سرى إلى الأجساد

خامسها : أن يكون أشار إلى أن الأسرار به صارت أسراراً ، وبه تأهّلت لكونها مطالع الأنوار . وذلك أن اللطيفة الربانية التي بها كان الإنسان إنساناً ما دام الإنســان في مقام الإسلام تسمى نفساً ، فإذا تخلص منه لمقام الإيمان سميت قلباً ، فإذا ارتقى إلى أول مرتبتي الإحسان وهي المراقبة المشار إليها بقوله صلى الله عليه وآله وسلم (فـإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1] سميت روحاً . ثم إذا ترقى للمرتبة الثانية وهي المشاهدة المشار إليها بقوله : (أن تعبد الله كأنك تراه) سميت سراً ، **ولا شـــك أن هـــذا الـــترقي والانتقال لا يتوصل إليه إلا بواسطته صلى الله عليه وآله وسلم ، فبه تصير النفوس قلوباً بالإيمان ، والقلوب أرواحاً بالمراقبة ، والأرواح أسراراً بالمشـــاهدة ، وقـــد تأهلت الأسرار لشروق شمس المعرفة فيها ، وهي المراد بالأنوار فقال** في الحكـــم : "مطالع الأنوار القلوب والأسرار " أي : والأرواح أيضاً .

ولابن زكري في هذا المعنى :-

ما ترقى الرجال في القرب إلا   باتباع الرسول قولاً وفـــعلا

به نالوا المنى وصار الذي قد   كان مستصعباً عليهم سهلا

١: في الحديث المشهور الذي رواه البخاري عن سيدنا عمر بن الخطـــاب وفيـــه :"إنـــه جـــبريل أتـــاكم يعلمكم دينكـــم " .

سادسها : أن يكون أشار إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم السبب في أعمال البر كلها ؛ خفيها : كالزهد والتوكل والصبر والرضا ، وهو المعبر عنه بالأسرار . وجليّها: كالصلاة والزكاة والصدقة والحج ، وهو المعبَّر عنه بالأنوار ، إذ هو الهادي والمهدي . قال تعالى :{ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم }[1] ؛ **فإذاً أعمال المسلمين كلها في ميزانه ، والمرء في ميزانه أتباعه ، فاقدروا إذن قدر النبي محمد.**

سابعها : أن يكون أشار إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم الواسطة فيما يشهده أهل عالمي الملكوت والجبروت ، فالملكوت حضرة الأرواح التي تشهد فيها الصفات السنية، والجبروت حضرة الأسرار التي تشهد فيها الذات المقدسة العلية ، فشبه مايشهد في الثاني من حيث أن شهوده أعلى وأشد تمكناً في الوصول بـ:"الأنوار" ومايشهد في الأول بـ:"الأسرار" .

ثامنها : أن يكون أشار إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم ممد أهل السموات وأهل الأرض ؛ فمنه إمدادات أهل الملك الباطن ، وأهل الملك الظاهر ، إذ هو واسطة الكل، ورسول الجميع . **والإجماع على أنه مرسل إلى الثقلين** .

وذهب جمع من المحققين ورجحه التقي السبكي إلى أنه مبعوث إلى الملائكة ، ونقل بعضهم الإجماع كما في المواهب[2] .

١: سورة الشورى – الآية ٥٢ .

٢: في المقصد السادس منه ٣/١٢٠ ومابعدها .

وأشار القشيري في تفسير سورة الإسراء إلى أن حكمة عروجه إلى السماء تأدب الملائكة بآدابه إلى السماء عليه السلام حيث لم يقف مع مقام ولاحال ولايلتفت إلى شيء من السِّوى ، كما قال تعالى :{ ما زاغ البصر} الآية[1] .

وقد قيل إنه صلى الله عليه وآله وسلم مبعوث إلى الجمادات وسائر الحيوانات .

وقد سلَّمت عليه الأحجار ، وأجابت دعوته الأشجار ، وكلَّمه الضَّبُّ والجمل ، وغير ذلك ، ركب الله سبحانه فيهم الإدراك فعرفوه وأذعنوا له.

روى الترمذي ، والدارمي ، والحاكم وصححه ، **عن علي بن أبي طالب قال** : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولاحجر إلا قال : السلام عليك يارسول الله[2] .

وروى البزار ، وأبو نعيم ، عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم : (لما استقبلني جبريل بالرسالة ، جعلت لاأمرُّ بشجر ولاحجر إلا قال: السلام عليك يارسول الله)[3] .

وعن جابر : (لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له) .

وفي مسلم : (عن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: إني لأعرف

١: سورة النجم – الآية ١٧ .

٢: أخرجه الترمذي في : ٥٠ – كتاب المناقب ، ح ٣٦٢٦ صفحة ٥ : ٥٩٣ ، وقال : هذا حديث غريب . والبيهقي في الدلائل ٢/١٥٤ .

٣: ذكره الزبيدي في الإتحاف ٧/١٩٢ .

حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن)[1] .

وفي مستدرك الحاكم عن ابن عمر : كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر ؛ فأقبل أعرابي ، فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أين تريد ؟ قال : إلى أهلي .

قال : هل لك إلى خير ؟ قال : وما هو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

قال : هل لك من شاهد على ما تقول ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هذه الشجرة .

فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي على شاطيء الوادي ، فأقبلت تخدُّ الأرضَ خداً ، فقامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً ، فشهدت ، ثم رجعت إلى منبتها)[2] .

١: أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل ، حديث ٢ ، ص ١٧٨٢ من حديث جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن " ، وقد أخرج هذا الحديث أيضاً الترمذي في المناقب ٥/٥٩٣ ، والدارمي في المقدمة، والإمام أحمد في المسند ٥/٨٩ .

٢: نقله الحافظ ابن كثير في " البداية والنهاية " ٦/١٢٥ ، و البيهقي في دلائل النبوة ٦/١٤ – ١٥.

وبقية الحديث :قال " ثم رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه ، فقال : إن يتبعوني أتيك بهم ، وإلا رجعت إليك فكنت معك " .

وعندالحاكم في المستدرك " عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : بم أعرف أنك رسول الله ؟ قال : أرأيت لو دعوت هذا العذق من هذه

رواه الدارمي أيضاً بنحوه .

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضباً جعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله ، فلما رأى الجماعة قال : من هذا ؟ قالوا : نبي الله . فأخرج الضب من كمه وقال : واللات والعزى لآمنت بك أو يؤمن هذا الضب ، وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا ضبُّ. فأجابه بلسان بيِّنٍ يسمعه القوم جميعاً : لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة .

قال : من تعبد ؟ قال : الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه ، وفي البحر سبيله ، وفي الجنة رحمته ، وفي النار عقابه . قال : فمن أنا ؟ قال : رسول رب العالمين، وخاتم النبيين ، وقد أفلح من صدقك ، وخاب من كذبك ، فأسلم)[1] .

النخلة أتشهد أني رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فدعا العذق ، فجعل العذق يترل من النخلة حتى سقط في الأرض ، فجعل ينقز حتى أتي النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم قال له : ارجع ، فرجع ، حتى عاد إلى مكانه ، فقال : أشهد أنك رسول الله ، وآمن " .

رواه الحاكم في المستدرك ٢/٦٢٠ وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، و لم يخرجاه. ونقله ابن كثير في التاريخ ٦/١٢٥ عن البيهقي في الدلائل .

١: هذا بعض حديث أخرجه أبو نعيم في الدلائل ٣٢٠ ، عن أبي القاسم الطبراني ، ونقله ابن كثير ٦/١٤٩ ، عن البيهقي في الدلائل ، وكذا السيوطي في الخصائص الكبرى ٢/٦٥ ، وعزاه للطبراني في الأوسط والصغير ، ولابن عدي، وللحاكم في المعجزات وللبيهقي ، ولأبي نعيم ، ولابن عساكر ، ولفظ الحديث كما عند البيهقي :–" عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضباً ، وجعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله ، فلما رأى الجماعة قال : ماهذا ؟ ، قالوا : هذا الذي يذكر أنه نبي ، فجاء حتى شق الناس ، فقال : واللات والعزى ما اشتملت

النساء على ذي لهجة أبغض إلي منك ولاأمقت، ولولا أن يسميني قومي عجولاً لعجلت عليك فقتلتك فسررت بقتلك : الأسود ، والأحمر ، والأبيض، وغيرهم ، فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله ! دعني فأقوم فأقتله، فقال : " ياعمر ! أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبياً " ثم أقبل على الأعرابي ، فقال : ما حملك على أن قلت ما قلت ؟، وقلت غير الحق ؟ ، ولم تكرمني في مجلسي ! ، قال : وتكلمني أيضاً ! استخفافاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب ، وأخرج الضب من كمه وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ضب!، فأجابه الضب بلسان عربي مبين يسمعه القوم جميعاً : لبيك وسعديك يازين من وافى يوم القيامة، قال: من تعبد يا ضب ؟ قال : الذي في السماء عرشه ، وفي الأرض سلطانه ، وفي البحر سبيله ، وفي الجنة رحمته ، وفي النار عقابه ، قال: فمن أنا يا ضب ؟ قال : رسول رب العالمين ، وخاتم النبيين ، وقد أفلح من صدقك ، وقد خاب من كذبك . قال الأعرابي: لا أتبع أثراً بعد عين والله لقد جئتك وما على ظهر الأرض أبغض إلي منك ، وإنك اليوم أحب إلي من والدي ، ومن عيني ، ومني ، وإني لأحبك بداخلي وخارجي وسري وعلانيتي : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذي هداك بي ، إن هذا الدين يعلو ولا يعلى ، ولا يقبل إلا بصلاة ، ولا تقبل الصلاة إلا بقرآن ، قال : فعلمني ، فعلمه { قل هو الله أحد } ، قال : زدني ، قال: فما سمعت في البسيط ولا في الرجز أحسن من هذا. قال: يا أعرابي ! إن هذا كلام الله ليس بشعر ، إنك إن قرأت {قل هو الله أحد} مرة كان لك كأجر من قرأ ثلث القرآن ، وإن قرأت مرتين كان لك كأجر من قرأ ثلثي القرآن ، وإذا قرأتها ثلاث مرات كان لك كأجر من قرأ القرآن كله ، قال الأعرابي : نعم الإله إلهاً يقبل اليسير ، ويعطي الجزيل ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألك مال" ؟ ، قال : فقال ما في بني سليم قاطبة رجل هو أفقر مني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : "أعطوه"، فأعطوه حتى أبطروه ، فقام عبد الرحمن بن عوف ، فقال : يا رسول الله ! إن له عندي ناقة عشراء دون البخيتة وفوق الأعرى ، تَلحَقُ ولا تُلحق أُهديت إلي يوم تبوك ، أتقرب بها إلى الله عز وجل وأدفعها إلى الأعرابي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد وصفتَ ناقتك فأصف مالك عند الله يوم القيامة ، قال : نعم ، قال : لك ناقة من درة جوفاء قوائمها من

وفي حديث يعلى بن مرة الثقفي : (بينما نحن نسير مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ مررنا ببعير يسقى عليه ،فلما رآه البعير جرجر ، فوضع جرانه ، فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أين صاحب هذا البعير ؟ فجاءه . فقال : بعنيه ، فقال : بل نهبه لك يارسول الله . وإنه لأهل بيت مالهم معيشة غيره، فقال : أما إذ ذكرت هذا من أمره ، فإنه شكى إليّ كثرة العمل ، وقلة العلف ، فأحسنوا إليه) [١].

رواه البغوي في شرح السنة . والجران : مقدم العنق .

إلى غير هذا مما لا يحصى كثرة .

زبرجد أخضر ، وعنقها من زبرجد أصفر ، عليها هودج ، وعلى الهودج السندس والاستبرق، وتمر بك على الصراط كالبرق الخاطف ، يغبطك بها كل من رآك يوم القيامة ، فقال عبد الرحمن : قد رضيت . فخرج الأعرابي فلقيه ألف أعرابي من بني سليم على ألف دابة معهم ألف سيف وألف رمح، فقال لهم : أين تريدون ؟ فقالوا : نذهب إلى هذا الذي سفه آلهتنا فنقتله !! ، قال : لا تفعلوا أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فحدثهم الحديث ، فقالوا بأجمعهم : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم دخلوا ، فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم فتلقاهم بلا رداء ، فنزلوا عن ركابهم يقبلون حيث وافوا منه وهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم قالوا : يا رسول الله مرنا بأمرك ، قال : كونوا تحت راية خالد بن الوليد ، فلم يؤمن من العرب ولا غيرهم ألف غيرهم " .

١: حديث يعلى بن مرة الثقفي رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/١٧١-١٧٢ ، وابن ماجة في سننه ١- كتاب الطهارة ، ٢٣ باب الارتياد للغائط والبول ، الحديث رقم ٣٣٩ عنيعلى بن مرة عن أبيه "١/١٢٢" . والدارمي في سننه ، المقدمة ٤ باب ماأكرم الله به نبيه من إيمان الشجر والبهائم والجن . والحاكم في المستدرك ٢/٦١٧ عن يعلى بن مرة ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذه الصياغة ، وقال الذهبي في تلخيص المستدرك : صحيح .

ومن كلام سيدي علي بن وفا : " وسرك المنزه الساري في جزئيات العالم وكلياته ، علوياته وسفلياته " [1].

ولابن زكري في هذا المعنى :-

محمد ممد كل العالمين أهل السموات وأهل الأرضين
مدده في العالم العلوي له سراية وفي السفلي

تاسعها : أن يكون أشار إلى أنه السبب في إدراك الأرواح يوم {ألست بربكم} [2] وإقرارها بالتوحيد ، كما أنه السبب في الإقرار الثاني في العالم الجثماني .

وقد نقل البيهقي في الشعب عن علي رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا الأرواح إلى الإقرار يوم {ألست بربكم} حين كانوا كالذر .

وروى أبو سهل القطان في جزء من أماليه : أنه صلى الله عليه وآله وسلم أول من قال :"بلى" يوم { ألست بربكم } .

ولابن زكري في هذا المعنى :-

لولاك ما اهتدت الأرواح يوم ألست حين خاطبها المولى لقول :بلى
غشيها النور فاستبان الهدى فلم تجب بنعم و لم تلم بلا

---

[1]: مرت من قبل ضمن صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لسيدي علي وفا فانظرها ثمة .

[2]: إشارة إلى قوله تعالى :{ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين } سورة الأعراف – الآية ١٧٢ .

عاشرها : أن يكون أشار إلى أنه ممد الخاصة وخاصتهم بعلم الباطن ، وممد عامة العلماء بالعلم الظاهر .

الحادي عشر : أن يكون أشار إلى أنه الواسطة في علم الحقيقة الذي من خلا عنه تفسّق ، وفي علم الشريعة الذي من خلا عنه تزندق [1] .

الثاني عشر : أن يكون أشار إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم الواسطة في نيل النبوة والرسالة للأنبياء والمرسلين ، وفي نيل الولاية والقرب للأولياء والمقربين ، فشبه مدده الأول بالأسرار .

وقيل : لما خلق الله نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمره أن ينظر إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فغشيهم من نوره ما أنطقهم الله به وقالوا : يا ربنا من غشينا نوره ؟ فقال الله تعالى : هذا نور محمد بن عبد الله ، إن آمنتم به جعلتكم أنبياء . قالوا: آمنا به وبنبوته . فقال الله : أشهد عليكم ؟ قالوا : نعم . فذلك قوله :{ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين } الآية .

وفي حديث عمر المتقدم : (وأنا الذي من أجلي أخذ الله ميثاق الأنبياء والرسل والأمم بإقرار نبوتي وفضلي ، وأن يتواصوا به قرناً بعد قرن . فقال عز وجلّ :{وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول } في آخر الزمان اسمه محمد بن عبد الله {مصدق لما معكم} من نعته وصفته { لتؤمنن به ولتنصرنه } فأقروا بذلك . قال الله عز وجلّ { أأقررتم }بأن خيرتي من خلقي

---

[1]: إشارة إلى قول الإمام مالك رحمه الله تعالى : " من تصوف و لم يتفقه فقد تزندق ، ومن تفقه و لم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق " .
انظر : إيقاظ الحكم في شرح الحكم ٥/١.

وصفيي أحمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، وحجة الله على الخلائق أجمعين {وأخذتم على ذلكم إصري } وعهدي وميثاقي ؟ { قالوا أقررنا }، {قال} الله عز وجل:{فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين }[1] أن خيرتي من خلقي وصفيي أحمد ، فمن تولى بعد ذلك فألئك هم الفاسقون .

الثالث عشر : أن يكون أشار إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم هو الواسطة في الاستدلال بالله على الأشياء الذي هو وظيفة الخاصة ، والاستدلال بها عليه الذي هو وظيفة العامة .

قال في الحكم : " شتان بين من يستدل به ويستدل عليه ، المستدل به عرف الحق لأهله ، وأثبت الأمر من وجود أصله ، والمستدل عليه من عدم الوصول إليه وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه ، ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه " .

وأيضاً قوله : " فأرباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم إلى شهود صفاته ثم يرجعهم إلى التعلق بأسرار أسمائه ثم يردهم إلى شهود آثاره ، والسالكون على عكس هذا ، فنهاية السالكين بداية المجذوبين ، وبداية السالكين نهاية المجذوبين ، فربما التقيا في الطريق ".

ولابن زكري في هذا المعنى :ـــ

نبينا ممد أهل الجذب   مفيدهم بالخصب بعد الجدب

الرابع عشر : أن يكون أشار إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم ممد المشايخ والمريدين، وما يمد به الأولين أي وما يمد به الآخرين ، فكان الأول سراً بالنسبة إلى

١: سورة آل عمران ـــ الآية ٨١ .

الثاني ، والثاني نوراً بالنسبة إلى الأول ، وكلٌ يشهده صلى الله عليه وآله وسلم ويتوجه إليه المدد منه على قدر حاله .

ولهذا قيل : زيارة الأولياء صورة فقط ولا مزور في الحقيقة إلا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم مقتبسون من نوره وجداول من بحوره .

الخامس عشر : أن يكون أشار إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم المظهر لما أودعه الله في مكوناته من الأسرار بعد ما كانت مجهولة كقوله : (استنجوا بالماء البارد فإنه مصحة للبواسير)[1] .

وقوله : (أكل السفرجل يذهب بطخاء القلب)[2] أي : كربه وثقله .

وقوله : (أكل التمر أمان من القولنج)[3] .

وقوله : (الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام)[4] .

وقوله : (عليك بأول السوم فإن الربح مع السماح)[5] .

١: رواه الطبراني في الأوسط عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، وعبد الرزاق في الجامع عن المسور بن رفاعة القرظي . انظر : كنز العمال ٩/٣٥١ الحديث رقم ٢٦٣٩٤ .

٢: رواه القالي في أماليه بسنده عن أنس – كنز العمال ١٠/٤٠ الحديث رقم ٢٨٢٦١ .

٣: رواه أبو نعيم في كتاب الطب بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه – انظر : الكنز ١٠/٢٦ الحديث رقم ٢٨١٩٥ .

٤: حديث " الحبة السوداء فيها شفاء من كل داء إلا الموت" رواه أبو نعيم في الطب بسنده عن بريدة . انظر : كنز العمال ١٠/٣٩ الحديث رقم ٢٨٢٥١ .

٥: رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ، وأبو داود في مراسيله عن أبي حسين ، انظر: الكنز ٤/٤٥ الحديث رقم ٩٤٢٩ .

والمنير للأنوار المظهرة للموجودات ، أعني : الشمس والقمر والنجوم ، فإنها من نوره خلقت .

السادس عشر : أن يكون أشار إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم السبب في فتح أبواب البصائر وأبواب الحواس بإدراك ما تدركه ، إذ هو الواسطة في نيل العقل والحواس ، وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم من كمال العقل في الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه .

قال وهب بن منبه : قرأت في إحدى وسبعين كتاباً فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وآله وسلم إلا كحبة رملة بين رمل من جميع رمال الدنيا ، وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أرجح الناس عقلاً ، وأفضلهم رأياً .

رواه أبو نعيم ، وابن عساكر.

ونقل في عوارف المعارف : عن بعضهم أن العقل واللب مائة جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وجزء في سائر المؤمنين . وربما كان صلى الله عليه وآله وسلم يرجع إلى رأي غيره تطييباً لخاطره .

السابع عشر : أن يكون أشار إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم الواسطة فيما حصل للمتحققين من العلماء من أسرار العلوم ودقائقها ولطيف نكتها، وما حصل لمطلقهم من ظواهر العلوم وما لا بد منه من قواعدها .

قوله رضي الله عنه :-

وفيه ارتقت الحقائق

فيه في الجملة وجوه ـــ

منها : أن يراد بالحقائق علوم المعرفة بالله . واللام للاستغراق العرفي .

و(الارتقاء) بمعنى الظهور ، لكن عبّر بالارتقاء كما يعبَّر بالطلوع لعلو المحل، فقد جعل رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم سماء لطلوع شموس الحقائق ، أي : علوم المعرفة على طريق الاستعارة بالكناية ، وفي الحديث: (إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية) [1].

١: ترجم البخاري في صحيحه بقوله :" أنا أعلمكم بالله " وأورد في الباب عن عائشة قالت : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيقون ، قالوا : إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول : إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا " ولفظ ترجمة البخاري لأبي ذر :"أنا أعرفكم بالله " ، وكأنه مذكور بالمعنى بناء على ترادفهما وعليه البخاري ، وله أيضاً في باب من لم يواجه الناس بالعتاب من الأدب عن عائشة رضي الله عنها قالت : صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فترخص فيه، فتتره عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فخطب ، فحمد الله ، ثم قال : ما بال أقوام يتترهون عن الشيء أصنعه ؟ ، فوالله إني لأعلمهم بالله عز وجل ، وأشدهم له خشية " . وللحاكم عن عائشة مرفوعاً في حديث :"إني أتقاهم لله وأداهم للأمانة " .

وفي آخر : (إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا) .

أخرجه البخاري عن عائشة .

ومنها : أن يراد بـ(الحقائق) جميع العلوم ، فتكون اللام للاستغراق الحقيقي، ولما ركب الله فيه أكمل العقول وأوسعها ، ووسع عقله من العلوم والمعارف ما لم يتهيَّأ له عقل مخلوق ، وبلغ من العلم بأحكام الله وتأديب خلقه وما يصلح معاشهم ومعادهم مبلغاً لم يحُمْ حوله أحدٌ من الخلق .

ولا شك أنه صلى الله عليه وآله وسلم أعلم بكل فن من فنون العلم من أهل ذلك الفن ، وكيف لا ؟ ومنه اقتبسوا ، ومن بحره اغترفوا، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : (أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها) [1] وما من عالم ضربت له أكباد الإبل في أشتات العلوم العقلية والنقلية ممن تقدم أو تأخر إلا وكلامه قدوة له ، وإشارته حجة له .

ومن تأمل حسن تدبيره صلى الله عليه وآله وسلم للعرب الذين كانوا كالوحش الشارد ، كيف ساسهم واحتمل جفلهم ، وصبر على أذاهم إلى أن انقادوا إليه ، واجتمعوا عليه ، وقاتلوا دونه أهليهم وآباءهم وأبناءهم ، واختاروه على أنفسهم ، وهجروا في رضاه أوطانهم وأحباءهم من غير ممارسة سبقت ، ولا مطالعة كتب يتعلم سير الماضين ، تحقق أنه أعقل العلماء ، وأعلم العقلاء .

١: حديث :"أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب " رواه العقيلي ، وابن عدي، والطبراني في الكبير ، والحاكم في المستدرك كلهم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وابن عدي والحاكم أيضاً عن جابر رضي الله عنه.

انظر : الجامع الصغير ٣٦٤/١ الحديث رقم ٢٧٠٥ .

ولقد أحسن البصيري إذ يقول [١] :-

ثم قام النبي يدعو إلى الله وفي الكفر نجدة وإباء
أمماً أشربت قلوبهك الكفر فداء الضلال فيهم عياء
ورأينا آياته فاهتدينا وإذا جاء الحق زال المراء
رب إن الهدى هداك وآيا تك نور تهدي بها من تشاء

ولاتساع علمه صلى الله عليه وآله وسلم كانت تتفجر على لسانه ينابيع الحكمة ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : (أوتيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصاراً) [٢] .

وقد جمع الناس من كلامه المفرد الموجز ، البديع ، الذي لم يسبق إليه دواوين **كقوله صلى الله عليه وآله وسلم** : (أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين) [٣] .

١: في قصيدته العظيمة الهمزية – أخت البردة – وكلاهما نور ، وقد شرح الهمزية الإمام ابن حجر الهيتمي أحسن شرح ، أكرمني الله تعالى ووفقني بتحقيقه ، وطبعه المجمع الثقافي بأبوظبي ، فخرج في ثلاثة مجلدات ، نسأل الله القبول بجاه سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢: رواه العسكري عن جعفر بن محمد عن أبيه مرسلاً ، ورواه النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ "أعطيت"، ورواه الطبراني في الكبير والعقيلي عن أبي موسى بلفظ :" أعطيت فواتح الكلام وجوامعه ، وخواتمه " وله شواهد في الصحيح . انظر : الجامع الصغير ١/١٥١ الحديث ١١٧٠ ، وكشف الخفاء للعجلوني ١/٢٦٣ الحديث رقم ٨١٩ .

٣: في رسالته صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم يدعوه إلى الإسلام ، الحديث أخرجه البخاري في ٥٦ – كتاب الجهاد "١٠٢" باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة ، الحديث ٢٩٤١ ، فتح الباري ٦/١٠٩–١١٠ .

وقوله:(السعيد من وعظ بغيره) [١] .

وقوله :(إنما الأعمال بالنيات) [٢] .

قال الشافعي : يدخل فيه نصف العلم .

وقوله :(المجالس بالأمانات) [٣] .

وقوله :(ترك الشر صدقة) [٤] .

وقوله :(الحياء خير كله) [٥] .

١: حديث " السعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن أمه " رواه مسلم عن ابن مسعود، وكذا العسكري في الأمثال ، والقضاعي عن ابن مسعود ، وأخرجه البيهقي في المدخل، والبزار في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، لكن بلفظ " السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه " وسنده صحيح ، وأخرجه الطبراني في الصغير مقتصراً على " السعيد من سعد في بطن أمه " . انظر : كشف الخفاء للعجلوني ١/٤٥٢ الحديث رقم ١٤٧٥ .

٢: متفق عليه من حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ورواه ابن حبان بدون " إنما"، وورد بألفاظ مختلفة.

٣: حديث :" المجالس بالأمانة " رواه الخطيب بسنده عن سيدنا علي ، ورمز السيوطي لحسنه . الجامع الصغير ٢/٥٧٣ الحديث رقم ٩١٧٣ .

٤: ذكره في المواهب من غير عزو لأحد ، قاله العجلوني في الكشف ١/٣٠٣ الحديث رقم ٩٦٦.

٥: رواه مسلم وأبو داود بسندهما عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، ورمز السيوطي لصحته . الجامع الصغير ١/٥٢٣ الحديث رقم ٣٨٦٣ .

وقوله :(سيد القوم خادمهم) [1] .

وقوله : (من غشنا فليس منا) [2] .

وقوله :(المستشار مؤتمن) [3] .

وقوله :(الدال على الخير كفاعله) [4] .

١: رواه أبو عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة ، له عن يحي بن أكثم ، عن المأمون عن أبيه عن جده عن عقبة بن عامر رفعه ، ورواه الخطيب عن يحي بن أكثم ، ورواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة ابراهيم ابن أدهم بسند ضعيف .

" انظر: الكشف ١/٤٦٣ الحديث رقم ١٥١٥ " .

٢: حديث من غش فليس منا " رواه الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأما لفظ:" من غشنا " فرواه الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود . والأول صحيح ، والثاني ضعيف .

انظر : الجامع الصغير ٢/٥٤٠ - ٥٤١ الحديث ٨٨٧٩ و ٨٨٨١ .

٣: حديث " المستشار مؤتمن " رواه أحمد في مسنده عن ابن مسعود رفعه ، وفيه :" وهو بالخيار إن شاء تكلم وإن شاء سكت فإن تكلم فليجهد رأيه " ورواه القضاعي عن سمرة بزيادات ، وأخرجه العسكري عن عائشة بلفظ :" إن المشير معان والمستشار مؤتمن " قال العجلوني : وفي الباب عن جابر ابن سمرة ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، ورواه أصحاب السنن الأربعة عن أبي هريرة رفعه ، وقال الترمذي : حسن غريب . انظر كشف الخفاء للعجلوني ٢/٢٠٥ الحديث رقم ٢٢٩٤ .

٤: رواه العسكري وابن منيع ، والمنذري عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً من حديث :"كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله ، والله يحب إغاثة اللهفان " ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وصححه عن أبي مسعود البدري بلفظ :" من دل على خير فله مثل أجر فاعله " .

انظر : كشف الخفاء ١/٣٩٩ الحديث ١٢٨٢ .

وقوله :(المؤمن من أمنه الناس) [1] .

وقوله : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما حرم الله) [2] .

وقوله : (النساء حبائل الشيطان) [3] .

ولما ذكر ابن عطاء الله في كتابه "التنوير " حديث : (اتقوا الله وأجملوا في الطلب) [4] ، شرحه بعشرة أوجه ، ثم قال : وليس القصد بها الحصر ، إذ الأمر أوسع من ذلك ، ولكن بحسب ما تأول الغيب ، وأنعم به المولى سبحانه ، وهو كلام صاحب الأنوار المحيطة ، فما يأخذ الآخذ منه إلا على حسب نوره ، ولا يأخذ من جواهر بحره إلا على قدر غوصه ، وكل يفهم حسب المقام ، والذي أقيم فيه ،

١: قطعة من حديث لفظه :" المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب " رواه ابن ماجه عن فضالة بن عبيد ، ورمز السيوطي لحسنه .

الجامع الصغير ٢/٥٧٠ الحديث رقم٩١٤٤ .

٢: حديث " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر مانهى الله عنه " رواه البخاري وأبو داود ، والنسائي ، عن ابن عمرو - ورمز السيوطي لصحته .

انظر : الجامع الصغير ٢/٥٧٦ الحديث رقم ٩٢٠٨ .

٣: قطعة من حديث " الشباب شعبة من الجنون ، والنساء حبالة الشيطان " رواه الخرائطي في اعتلال القلوب عن زيد بن خالد الجهني ، ورمز السيوطي لحسنه .

الجامع الصغير ٢ / ٥٣ الحديث رقم ٤٩٢٨ .

٤: في الحديث الذي رواه ابن ماجة عن جابر :" أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب ، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها ، وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، خذوا ماحلّ ودعوا ما حرم " . الكنز ٤/١٩ الحديث رقم ٩٢٨٩ .

(تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأُكُل) ومالم يؤخذ أكثر مما أُخِذ . واسمع قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً) [1] فلو عبَّر العلماء بالله أبد الآباد عن أسرار الكلمة الواحدة من كلامه لم يحيطوا بها علماً ، و لم يقدروها فهماً ، حتى قال بعضهم : عملت بحديث سبعين عاماً وما فرغت منه !!! ، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه) [2] . وصدق رضي الله عنه ، ولو مكث عمر الدنيا أجمع ، وأبد الآباد لم يفرغ من حقوق هذا الحديث ، وما أودع فيه من غرائب العلوم وأسرار الفهوم . وكيف لا يكون كلامه ينابيع حكم وقد برز من قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم ، الذي صح إن جبريل شقه واستخرج منه علقة فرمى بها وقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم وثلج وبَرَد ، ثم ملأه إيماناً وحكمة ، كما وردت بذلك الأحاديث [3].

١: مر تخريجه .

٢: رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة ، والإمام أحمد في المسند ، والطبراني في الكبير عن الحسين بن علي ، والحاكم في الكنى عن أبي بكر والشيرازي عن أبي ذر ، وكذلك رواه الحاكم في تاريخه عن علي بن أبي طالب ، والطبراني في الصغير عن زيد بن ثابت ، وابن عساكر عن الحارث بن هشام ، ورمز السيوطي لصحته . الجامع الصغير ٢/٤٧٠ الحديث رقم ٨٢٤٣ .

٣: حديث شق صدره صلى الله عليه وسلم أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ٧٤ باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم - الحديث ٢٦١ صفحة ١٤٧ ، والإمام أحمد في المسند ٣/١٤٩ .

ورواية أخرى أخرجها الحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٦-٦١٧ من حديث طويل وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وكذلك الإمام أحمد في مسنده ٤/١٨٤ ، وانظر: دلائل النبوة للإمام البيهقي ٢/٥ ومابعدها .

والمراد بـ(الارتقاء) في هذا الوجه : ارتفاع حقائق العلم بكمال التحقيق ، إذ لا تحقيق يقارب تحقيقه ، فضلاً عن أن يساويه لأن الله تعالى أطلعه على حقائق الأشياء على ما هي عليه ، وعلوم العلماء لا تخلو عن احتمالات وظنون ، ولهذا يخطيء بعضهم بعضاً، ويرد بعضهم على بعض ، وتتبدل آراؤهم في المسألة الواحدة . وما أحسن قول الإمام مالك : كل كلام فيه مقبول ومردود إلا كلام صاحب هذا القبر عليه الصلاة والسلام .

ولابن زكري في هذا المعنى :-

محمد مطلع أنوار العلوم ... من شمس عرفان وبدر ونجوم
منه استفادها الخصوص والعموم ... فانسب إلى علمه إطلاق العلوم
أطلعه الله على الحقائق ... فكل ما قد قاله مطابق
قد أوضح السبل والطرائق ... وبين النكت والدقائق

ويحتمل : أن يراد ارتفاعها بكمال البث والانتشار لكثرة الآخذين عنه ، والناقلين إلى غيرهم ، فإنه أكثر النبيين أتباعاً يوم القيامة . وقد ورد أن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً، وعدد الصف لا يعلمه إلا الله تعالى ، ثمانون صفاً منهم أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم) [1] .

أخرجه الترمذي وأحمد وغيرهما ، عن بريدة وابن عباس وغيرهما.

١: حديث : " أهل الجنة مائةوعشرون صفاً ، أنتم ثمانون والناس سائر ذلك ، وأنتم وفاء سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل." رواه الطبراني عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده. انظر : الكنز ١٢/١٦٧ الحديث رقم ٣٤٥١٢.

وفي الحلية **عن أبي هريرة رضي الله عنه** : لما نزلت {ثلّةٌ من الأولين وثلة من الآخرين }[1] قال صلى الله عليه وآله وسلم : أنتم ربع أهل الجنة ثم قال : أنتم ثلث أهل الجنة ، ثم قال : أنتم نصف أهل الجنة ، ثم قال : أنتم ثلثا أهل الجنة)[2].

ويحتمل أن يراد ارتفاعها فيه بكثرة الانتفاع به . وقد ترتب على تبليغه صلى الله عليه وآله وسلم ودعائه من أجناس العبادات وأنواعها وأصنافها وأفرادها ما لا يحيط به إلا من أحاط بكل شيء علماً ؛ فكم وقع على يده من زهد ، وصبر ، ورضا، وشكر، ومحبة ، وتوكل وغير ذلك مما لا يحصيه إلا من أحصى كل شيء عدداً .

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى : (إن مثل ما بعثني الله به من الهدى كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منه طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا ، وزرعوا ، وأصاب طائفة منهم أخرى إنما هي قيعان لاتمسك الماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من

١: سورة الواقعة – الآية ٤٠ .

٢: رواه الإمام أحمد في المسند ٣٩١/٢ ، وابن كثير ٨٥/٢ ، والحافظ في الفتح ٣٨٧/١١ ، والطبراني عن ابن عباس ، بألفاظ مختلفة ومتقاربة . وانظر الكنز ١٦٧/١٢ الحديث رقم ٣٤٥١١ .

فقه في دين الله تعالى ونفعه بما بعثني الله به ، فعلم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً و لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)[1].

ويحتمل أن يراد ارتفاعها فيه باجتماعها له على التمام ، فإنه عَلِمَ عِلْـمَ الأولين والآخرين وأوتي علم كل شيء ، ويكفيك استمداد اللوح والقلم من علومه إذ هما مخلوقان وعلمهما محصور ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم ممد المخلوقات ، وله علوم أخرى من ربه متزايدة أبداً .

ويرحم الله البوصيري إذ يقول :-

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

ويحتمل أن يراد ارتفاعها فيه بعدم التعلم والاكتساب بل كان أمياً لا يعرف كتابة، ومع ذلك تفجرت منه بحور العلوم ، كما قال البوصيري:-

كفاك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتم

١: الحديث أخرجه البخاري في :٣- كتاب العلم ٢٠ باب فضل من علم وعلّم ، ح ٧٩ ، فتح الباري ١٧٥/١ ، من طريق محمد بن العلاء عن حماد بن أسامة ، أبو أسامة عن بريدة بن عبد الله عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .
وأخرجه مسلم في ٤٣ – كتاب الفضائل ، ٥ – باب بيان مثل مابعث النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم ، الحديث ١٥ – صفحة ١٧٨٧ من طريق أبي بكر بن أبي شيبة وأبي عامر الأشعري ، ومحمد بن العلاء قالوا : حدثنا أبو أسامة عن بريدة ...إلخ .
وأخرجه النسائي في العلم – في السنن الكبرى – عن القاسم بن زكريا الكوفي ، عن أبي أسامة.
انظر: تحفة الأشراف ٤٣٨/٦ – ٤٣٩ . ودلائل النبوة للبيهقي ٣٦٧/١ – ٣٦٩ .

ويحتمل أن يراد ارتفاعها فيه بانفعال القلوب لها ، وأخذها بمجامعها حتى ألف بها بين الممنوعين المتباعدين المتشاجرين العرب والعجم ، وبين طوائف العرب المتعادية، وقد قال تعالى :{ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء } الآية [١] .

ومن صفته في التوراة كما في حديث عبد الله بن سلام وكعب الأحبار : أجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب مختلفة متشتتة ، وأمم متفرقة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس .

ويحتمل أن يراد ارتفاعها فيه بقدرته على الثناء الذي لا يقدر عليه أحد يوم القيامة. ففي حديث الشفاعة في الصحيحين : (فأنطلق إلى تحت العرش فأقع ساجداً ، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال: يا محمد ارفعْ رأسك سل تعطه ، واشفع تشفع) الحديث [٢] .

ويحتمل أن يراد ارتفاعها فيه بملازمة النمو والزيادة :{وقل ربِّ زدني علماً} [٣] .

و لم يزل ولا يزال صلى الله عليه وآله وسلم يترقى في المعارف ، وكلما انتقل عن مقام إلى مافوقه عدَّ الطور في السابق قصوراً فاستغفر ، فمن ثم كثر استغفاره صلى الله

١: سورة آل عمران – الآية ١٠٣ .

٢: أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ١٩ ، وفي كتاب الرقاق ٥١ ، والأنبياء ٣ ، والتفسير .
وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، والترمذي في كتاب التفسير سورة ١٧ ، وابن ماجة في كتاب الزهد ، والإمام أحمد في المسند ١/٥ ، ٢/٤٣٦، ومواضع أخر .

٣: سورة طه – الآية ١١٤ .

عليه وآله وسلم مع عصمته وقال : (إني لأستغفر الله في اليوم وأتوب إليه أكثر من سبعين مرة) [١] .

ويحتمل أن يراد ارتفاعها فيه بسلوك الطريق الأقوم ، والسبيل الأنفذ الذي لا يعثر عليه إلا أعلم الخلق بالله ، فكان صلى الله عليه وآله وسلم يظهر الافتقار إلى الله تارة،والاستغناء به أخرى جمعاً بين الصبر والشكر .

فتارة شدَّ على بطنه الحجر من الجوع : عن أنس عن أبي طلحة قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر ، فرفع صلى الله عليه وآله وسلم عن بطنه عن حجرين !!.

قال الترمذي : هذا حديث غريب ، وحديث أبي طلحة لانعرفه إلا من هذا الوجه [٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فإذا هو بأبي بكر وعمر ، قال : ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ ، قالا: الجوع يارسول الله . قال : والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما !!) الحديث رواه مسلم وغيره [٣] .

١: حديث :" إني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة وأتوب إليه " رواه أحمد في المسند بسنده عن أبي هريرة .
انظر : الكنز ١/٤٨٣ الحديث ٢١١٥ .

٢: الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، باب ٣٩ ، ماجاء في معيشة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، حديث رقم ٢٣٧١ ٤/٥٨٥ ، وقال : هذا حديث غريب ٠٠٠٠ ، ورواه الطبري في تهذيب الآثار ١/٤١٣ . والبغوي في شرح السنة ، الحديث رقم ٤٠٧٩ ، ١٤/٢٧٦.

٣: الحديث أخرجه مسلم في كتاب الأشربة – ١٤٠ ، والسيوطي في الدر المنثور ٦/٣٨٩ .

وتارة أشبع ألفاً من صاع : عن جابر رضي الله عنه في غزوة الخندق قال : انكفأت إلى امرأتي فقلت : هل عندك شيء ؟ فإني رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصاً شديداً ، فأخرجت جراباً فيه صاع شعير ، ولنا بهيمة داجن فذبحتها ، وطحنت الشعير حتى جعلت اللحم في البرمة ، ثم جئت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فساررته فقلت : يا رسول الله ذبحت بهيمة لنا ، وطحنت صاعاً من شعير ، فتعال أنت ونفر معك . فصاح صلى الله عليه وآله وسلم بأهل الخندق : أن جابراً صنع سؤراً فحيَّ هلا بكم !! فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا تنزلن برمتكم ، ولا تخبزن عجينتكم حتى أجيء برجال . فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ، ثم قال : ادع خابزة فلتخبز معك واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها ، وهم ألف ، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي ، وإن عجيننا ليخبز كما هو) .

رواه الشيخان [1] .

وعن سمرة بن جندب : أتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم قصعة فيها لحم فتعاقبوا بها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون فقال رجل لسمرة : هل كانت تمد ؟ ،

١: رواه البخاري عن خلاد بن يحي في ٦٤- كتاب المغازي ٢٩ باب غزوة الخندق ، الحديث ٤١٠١ – فتح الباري ٣٩٥/١٧ . ودلائل النبوة للبيهقي باب ماظهر في الطعام الذي دعي إليه صلى الله عليه وسلم أيام الخندق من البركة وآثار النبوة ٤٢٤/٣ .

وورواه مسلم في ٣٦ – كتاب الأشربة ، ٢٠ باب جواز استتباعه غيره ، إلى دار من يثق برضاه بذلك ، الحديث ١٤١ عن حجاج بن الشاعر ، ص ١٦١٠ .

قال : ما كانت تُمَد إلا من ههنا وأشار بيده إلى السماء). رواه الترمذي وغيره وصححوه [1] .

وينبغي أن تعلم أن جوعه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن ينقص شيئاً من قواه ولا من نعومة جسده ، ولذا قال البوصيري رحمه الله تعالى :-

وشد من سغب أحشاءه وطوى   تحت الحجارة كشحاً مترف الأدم

أي : ناعم الجلد بل كان جوعه صلى الله عليه وآله وسلم اختيارياً كما نبه عليه التاج السبكي ، لا اضطرارياً .

وقد اختلف الصوفية : هل الأفضل اظهار الافتقار والاستغناء بالله ؟ .

فقال سيدي زروق : والصواب إظهار هذا تارة وهذا أخرى ، لأنه حاله صلى الله عليه وآله وسلم وقد خيره الله بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً؟ فاختار أن يكون نبياً عبداً وقال : أجوع يوماً فأسأل وأتضرع ، وأشبع يوماً فأحمد وأشكر . أو كما قال صلى الله عليه وآله وسلم .

١: رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ١٢ و١٨ . والبيهقي في الدلائل ٩٣/٦ باب ماجاء في القصعة التي كانت تمد من السماء وماظهر فيها من آثار النبوة .

قوله رضي الله عنه :-

وَتَنَزَّلَتْ عُلُومُ آدَمَ

أي : معرفة أسماء المسميات المشار إليها بقوله تعالى :{وعلم آدم الأسماء كلها} [1] .

وبيان ذلك : أن الموجودات لها حقائق أي ماهيات ومفهومات تفهم من اللفظ، فلها حدود حقيقية بالاعتبار الأول ، وحدود اسمية بالاعتبار الثاني ، وأما المعدومات فإنما لها مفاهيم وحدود اسمية ، وليس لها حقائق وحدود حقيقية . فالذي علمه آدم هو مفهومات الأسماء بحيث تمايزت عنده المسميات بعضها عن بعض ، ولايلزم من ذلك أنه اطلع على حقائق الموجودات ، وعلم تفاصيل ماهياتها. واختص نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعلم علم المفهومات وبعلم الحقائق أيضاً ، أي الاطلاع على كنه ماهيات الموجودات بحيث لم يبق فيها جهل بوجه من الوجوه .

[1]: سورة البقرة – الآية ٣١ .

وظاهر قول الهمزية:-

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنه لآدم الأسماء

قال ابن حجر : وهو أن آدم إنما عرف مجرد الأسماء ، وهو قول .

وقيل : عرف المسميات فقط . وقيل : عرفها ، والصواب أن الخلاف لفظي، فمن قال : عرف الأسماء أراد من حيث دلالتها على المسميات من حيث أنها مدلولة الأسماء.

وورد عن ابن عباس وابن زيد أن المراد في الآية أنه عرف أسماء ذريته وأنهم عرضوا عليه إنساناً إنساناً ، وعرف أسماءهم ، والتنزل نسبي في مقابلة الارتقاء . أو المراد أن علوم آدم التي ألقاها إلى بنيه من النبيين والمرسلين رفعت بموتهم وقبضهم و لم تبق على حقيقتها ، ثم تنزلت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

أو المراد أنه المورث في عالم الأرواح ، والوارث في عالم الأجساد ، فعلوم آدم إليه ارتقت لما ورثها ، ومنه تنزلت لما ورثت عنه صلى الله عليه وآله وسلم فـ (في) على هذا بمعنى : (من) ، وإلى المراد أن علوم آدم إنما تنزلت في الحقيقة في النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن نوره كان في جبين آدم ، ومن ثم قيل إسجاد الملائكة لآدم لأصل النور المحمدي ، فله كان السجود في الحقيقة ، وتقدم قول ابن وفا [1] :-

"لو أبصر الشيطان طلعة نوره "...البيت .

[1]: عند شرح قوله رضي الله عنه : على من منه انشقت الأسرار .

قوله رضي الله عنه :-

فَأَعْجَزَ الخَلائِقَ

يحتمل أن يكون الضمير لآدم ، والفاء سببية ، أو فيه في الحقيقة تنـزلت علوم آدم لحلول نوره فيه ، فلذلك أعجز الخلائق من الملائكة وغيرهم بالأحرى . ويحتمل أن يكون الضمير للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أي : حيث ارتقت فيه الحقائق ، وتنـزلت علوم آدم فقد أتى بما لم يأت أحد بمثله من جمعه علوم الأولين والآخرين ، وإخباره بوقائع القرون السالفة ، وقصص الأمم الماضية ، والمغيبات الآتية مع أميته وعدم قراءته وكتابته .

ويرحم الله القائل :-

قلبي بنجد نازل بقباب فيها مليح سيد الأعراب
عرضت عليه كنوز الأرض فلم يرد علماً بأن مصيرها لذهاب
وإذا سألت عن العلوم فإنه لمدينةٌ مفتوحة الأبواب

ولآخر :-

فإن تك فاتح الخيرات طراً فإنك قد ختمت المرسلين
فعلوم الآخرين عليك قصت وقد أوتيت علم الأولين

وفي بعض أحاديث المعراج مما ذكره ابن سبوع في " شفاء الصدور " عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : أتاني جبريل وكان السفير بي إلى ربي إلى أن انتهى إلى مقام ، ثم وقف عند ذلك، فقلت : ياحبيبي جبريل في هذا المقام يترك الخليل خليله ؟ فقال : إن تجاوزته احترقت بالنور . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا جبريل هل لك حاجة إلى ربك ؟ ، قال : يا محمد سل الله لي أن أبسط جناحي على الصراط لأمتك حتى تجوز عليه .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم زج بي في النور ، فخرق في سبعين ألف حجاب ، ليس فيها حجاب يشبه حجاباً ، وانقطع عني حس كل ملك وإنسي ، فلحقني عند ذلك استيحاش ، فعند ذلك ناداني مناد بلغة أبي بكر : قف ، فإن ربك يصلي ، فبينما أنا أتفكر في ذلك ، هل سبقني أبو بكر ؟ فإذا النداء من العلي الأعلى: ادنُ ياخير البرية ، ادنُ يا أحمد ، ادنُ يا محمد ، ليدن الحبيب ، فأدناني ربي حتى كنت كما قال :{ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى} [١] ، قال : وسألني ربي فلم أستطع أن أجيبه ، فوضع يده بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد ، فوجدت بردها ، فأورثني علم الأولين والآخرين ، فعلمٌ أخذ عليَّ كتمانه إذ علم أنه لا يقدر على حمله غيري ، وعلم خيَّرني فيه ، وعلم أمرني بتبليغه إلى العام والخاص من أمتي ، وعلمني القرآن ؛ فكان جبريل عليه السلام يذكرني به .

قال: ولقد عاجلت جبريل عليه السلام في آية نزل بها عليَّ فعاتبني ربي وأنزل علي:{ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما} [٢] ، ثم

١: سورة النجم – الآية ٩ .

٢: سورة طه – الآية ١١٤ .

قلت : اللهم إنه لما لحقني استيحاش قبل قدومي عليك سمعت مناد ينادي بلغة تشبه لغة أبي بكر ! فقال : قف إن ربك يصلي ، فعجبت من هاتين ، هل سبقني أبو بكر إلى هذا المقام ؟ وإن ربي لغنيٌّ أن يصلي . فقال تعالى : أنا الغني عن أن أصلي لأحد وإنما أقول : سبحاني سبحاني سبقت رحمتي غضبي . اقرأ يا محمد : { هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رجيما }[1] فصلاتي رحمة لك ولأمتك ، وأما أمر صاحبك ؛ فإن أخاك موسى كان أنسه بالعصا ، فلما أردنا كلامه قلت :{وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي}[2] ، وشغل بذكر العصا عن عظيم الهيبة ، وكذلك أنت يا محمد لما كان بصاحبك أبي بكر أنسكَ ، وأنك خلقت وهو من طينة واحدة وهو أنيسك في الدنيا والآخرة ، خلقنا ملكاً على صورته يناديك بلغتك ليذهب عنك الاستيحاش لئلا يلحقك من عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم ما يراد بك . ثم قال الله تعالى : وأين حاجة جبريل ؟ فقلت : اللهم إنك أعلم . فقال : يا محمد قد أجبته فيما سأل، ولكن فيمن أحبك وصحبك) .

وعند ابن سبع أيضاً في رواية أخرى : (وصلت إلى العرش فأبصرت أمراً عظيماً لا تناله الألسن ، ثم تدلدلت قطرة من العرش فوقعت على لساني، فماذاق الذائقون شيئاً قط أحلى منها ، فأنبأني الله بها نبأ الأولين والآخرين ، ونوَّر قلبي ، وغشى نور عرشه بصري ، فلم أر شيئاً فجعلت أرى بقلبي ولاأرى بعيني ورأيت من خلفي ومن بين كتفي كما رأيت من أمامي) الحديث .

١: سورة الأحزاب – الآية ٤٣ .

٢: سورة طه – الآية ١٨ .

قال في المواهب : والعهدة في هذا كله على ابن سبع[1] .

ولغزارة علمه صلى الله عليه وآله وسلم ، وقوة ذهنه ، وثبات قلبه ، **اختصه الله بخصائص أوتيها أيضاً وأمره فيها بالكتمان** .

وقال السيوطي : أوتي صلى الله عليه وآله وسلم علم كل شيء إلا المسائل الخمس التي في الآية[2] . وقيل : أوتيها أيضاً وأمر فيها بالكتمان .

منها : **رؤيته** . قال النووي : الراجح عند الأكثر أنه رآه لأن ابن عباس أثبته، وليس مما يدرك بالاجتهاد ، فدل على أنه سمعه منه .

١: انظر أحاديث المعراج برواياته المختلفة في " المواهب اللدنية " للعلامة القسطلاني في المقصد الخامس منه ج ٣/٧ – إلى آخر المقصد . وقد أورد القاضي عياض في شفائه حديث الإسراء في ستة فصول من الباب الثالث منه بدءاً من الفصل الثاني

وقد ذكر العلامة القسطلاني في مواهبه ما مر سابقاً نقلاً عن أبي الحسن بن غالب فيما تكلم فيه على أحاديث الحجب السبعين والسبعمائة والسبعين ألف حجاب ، وعزاها لأبي الربيع بن سبع في " شفاء الصدور" من حديث ابن عباس ، ثم ذكر رواية أخرى بعدها وقال : رواه والذي قبله في كتاب "شفاء الصدور" كما ذكره ابن غالب ، والعهدة عليه في ذلك . قال الصالحي في السيرة الشامية بعد نقل كلام القسطلاني في مواهبه اللدنيه : وهو كذب بلا شك ، أي ما روي عن ابن عباس من حديث الإسراء والمعراج وهو المشهور في أيامنا بمعراج ابن عباس .

ومعلوم أن ما عزي إلى ابن عباس من حديث الإسراء كذب مختلق على ما حققه العلماء ، وفيه من الافتراء على الله ورسوله مايندى له الجبين ،فا حذره يا أخي وحذِّر الناس منه . وانظر ما ذكره العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه العظيم فقه السيرة حول هذا الموضوع .

٢: وهي الواردة في قوله تعالى :{ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير } .

سورة لقمان – الآية ٣٤ .

وقال الطيبي : الراجح عند العلماء أنه عليه الصلاة والسلام رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء . وإثبات هذا ليس إلا بالسماع منه صلى الله عليه وآله وسلم ، هذا مما لا ينبغي أن يشك فيه .

وقال السبكي : الحق أنه رآه ، وأن ذلك مخصوص به دون سائر الأنبياء.

وقال المحلي : الصحيح أنه رآه . وتوقف عياض وغيره لعدم القاطع ، وأنكرت الرؤية عائشة رضي الله عنها وعن أبيها .

عن مسروق : قلت لعائشة رضي الله عنها : يا أمتاه هل رأى محمد ربه؟ فقالت : لقد قفَّ شعري مما قلت !! ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب : من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت:{ لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار}[1] . [{ وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب}][2]، ومن حدثك أنه يعلم مافي غد فقد كذب ، ثم قرأت :{وماتدري نفس ماذا تكسب غداً } . ومن حدثك أنه كتم شيئاً من الوحي فقد كذب ، ثم قرأت:{يا أيها الرسول بلِّغ ماأنزل إليك من ربك } الآية [3] ، ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين) .

أخرجه الشيخان [4].

١: سورة الأنعام – الآية ١٠٣ .

٢: سورة الشورى – الآية ٥١ ، وهذه الآية وردت في رواية البخاري وقد سقطت من النسخة المخطوطة فأثبتها بين معقوفتين .

٣: سورة المائدة – الآية ٦٧ .

٤: رواه البخاري برقم ٤٨٥٥ .

وعن المروزي : قلت لأحمد : إنهم يقولون إن عائشة قالت : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ! .

فبأي شيء يدفع قولها ؟ قال : يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (رأيت ربي)، وقول النبي أكبر من قولها ، انتهى [1] .

وأما الآية التي احتجت بها فالمنفي الإحاطة ، ولا يلزم من الرؤية الإحاطة.

وقيل : إنما رآه بعيني قلبه رؤية زائدة على العلم ، وعلى أنه رآه بعيني رأسه درج العراقي في ألفيته في السيرة فقال :-

ثم دنا حتى رأى الإله   بعينه مخاطباً بشفاها

والصحيح أنها لم تقع لموسى بل هي خاصة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال في المراصد : ثم الذي قد صححوا في الرؤية أن ربنا اختص بها نبيه .

وقال بعض أهل الإشارة : لما سأل موسى عليه السلام ربه الرؤية و لم تحصل له البغية بقي الشوق يقلقه والأمل يعلله ، فلما تحقق أن سيدنا محمداً الحبيب منح الرؤية وفتح له باب المزية أكثر السؤال ليسعد برؤية من قدَّره كما قيل :-

وأستنشق الأرواح من نحو أرضكم   لعلي أراكم أو أرى من يراكم
وأنشد من لاقيت عنكم عساكم   تجودون بالعطف لي عساكم
فأنتم حياتي إن حييت وإن أمت   فيا حبذا إن مت عبد هواكم

١: قال الإمام النووي – تبعاً لغيره – : لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ، ولو كان معها لذكرته ، وإنما اعتمدت الاستنباط على ماذكرته من ظاهر الآية ، وقد خالفها غيرها من الصحابة ، والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقاً ، انتهى . انظر : المواهب اللدنية ٩٨/٣ .

وقال آخر :-

وإنما السر في موسى يـــــردده ليجتلي حسن ليلى حين يشهده
يبدو ثناها على وجه الرسول فيا لله در رســـول حين أشـــهده

وقال بعضهم : لما تمكنت نار المحبة من قلب موسى عليه السلام أضاءت لـــه أنوار نور الطور ، فأسرع إليها ليقتبس ، فاحتبس ، فلما نودي به اشتاق إلى المنـــادي فكان يطوف في بني اسرائيل من يحملني رسالة ربي ، ومراده أن تطول مناجاته مـــع الحبيب ، فلما مر عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج ردده في أمر الصلاة ليسعد برؤية حبيب الحبيب .

وقال آخر :-

فما جلس الحبيب في مقام القرب ودارت عليه كؤوس الحب

ثم عاد وهلال {ما كذب الفؤاد ما رأى }[1] بين عينيه ، وسر {فأوحى إلى عبـــده ما أوحى}[2] ملأ قلبه وأذنيه ، فلما اجتاز بموسى عليه السلام قال لسان حاله :-

يا وارداً من أهيل الحي يخبرني عن جيرتي شنف الأسماع بالخبر
ناشدتك الله يا راوي حديثهم حدِّث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري

١: سورة النجم – الآيـــة ١١ .

٢: سورة النجم – الآيـــة ١٠ .

فأجابه لسان حال نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم :-

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سرارٌ من النسيم إذا ســـرى
وأباح طرفي نظرة أمَّلتـــــها فغدوت معروفاً وكنت منكَّرا

وقد اختلفوا : هل سمع صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج كلام ربه؟ فـــأثبت ذلك ابن عباس رضي الله عنهما ، وجمع من السلف ، والأشــعري في جماعـــة مـــن المتكلمين ، وعليه مشى العراقي في البيت السابق.واحتجوا بقوله تعالى :{ فـأوحى إلى عبده ما أوحى } قالوا : معناه دون واسطة ، ونفاه جماعة قالوا : والمراد بالعبد جبريل أو محمد ، والموحي جبريل . قال الأُبـــِّي : والجزم يفتقر لقاطع ، وإذا كـــان تكلـــم موسى عليه السلام لشرفه ، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى ، انتهى .

وظاهر الأحاديث والأخبار : أن الله تعالى كلَّمه بلاواسطة ، ومن مكالمته صلـــى الله عليه وآله وسلم ما ذكر ابن مرزوق في شرح البردة قال : لما كان من ربه قـــاب قوسين قال : اللهم إنك عذبت الأمم بعضهم بالحجـــارة ، وبعضـــهم بالخســـف ، وبعضهم بالمسخ ، فما أنت فاعل بأمتي ؟ قال : أنزل عليهم الرحمة ، وأبدل ســـيئاهم حسنات ، ومن دعاني منهم لبيته، ومن سألني منهم أعطيته ، ومن توكل عليَّ كفيته ، وفي الدنيا أستر على العصاة ، وفي الآخرة أشفعك فيهم ، ولولا أن الحبيـــب يحـــب معاتبة حبيبه لم أحاسب أمتك .

ولما أراد صلى الله عليه وآله وسلم الانصراف قال : يا رب ، لكل قادم سفر تحفة، فما تحفة أمتي ؟ قال الله تعالى : أنا لهم ما عاشوا ، وأنا لهم إذا ماتوا ، وأنا لهم في القبور ، وأنا لهم في النشور ، انتهى .

ويحق على كل سامع شدة اهتمامه صلى الله عليه وآله وسلم بأمته ، وشفقته عليهم ، وطلبه لهم ، أن تعظم محبته صلى الله عليه وآله وسلم في قلبه بأن يتأمل ذلك حق التأمل ويقول: من نحن حتى يعتني بنا هذا السيد الأعظم هذا الاعتناء؟ فيعظمه حينئذ ويوقره باتباع سنته ، ولزوم طريقته .

ومن يدعي حب النبي ولم يكن   بسنته مستمسكاً فهو كاذب

علامة حب المرء في النبي بأن يكن   على منهج كانت عليه الحبائب

فلايسعى حينئذ إلا فيما يرضيه ، ولا يحب أن يأتيه يوم القيامة إلا بما يحب أن يظهر على أمته ، فإن المتبوع يسره ما يظهر على أتباعه من الخيرات والمزايا عند عرضهم عند سيده ومليكه . وناهيك بتفريح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإدخال السرور عليه .

وانظر إلى ماذكره القرطبي في التذكرة من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: فإذا عصف الصراط بأمتي نادوا : وامحمداه ، فأبادر من شدة إشفاقي عليهم ، وجبريل آخذ بحجزتي ، فأنادي رافعاً صوتي : رب أمتي ، رب أمتي ، لا أسألك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي .

ولفرحه صلى الله عليه وآله وسلم باهتداء أمته واعتنائه بهم عظم ثواب من دعا لأمته ، حتى كان لمن قال كل يوم : (اللهم اغفر لأمة محمد صلى الله عليه وآله

وسلم، اللهم ارحم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، اللهم أجبر أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم) أنه يكتب من الأبدال [1] ، لما فيه من تفريحه صلى الله عليه وآله وسلم بالاعتناء بأمته .

ومن عمل بهذه النية كثر ثواب عمله وسهل عليه العمل لاستحضاره أنه يرضي محبوبه الجليل العظيم الوجيه الفخيم ، فيخف عليه ما كان ثقيلاً ويجود بما كان به بخيلاً.

ويحتمل أن يكون المعنى : أنه الذي أعجز الملائكة وقت قولهم :{ لا علم لنا} إذ فيه على الحقيقة تنزلت العلوم ، ويؤخذ إعجاز غيرهم بالأحروية . وهذا هو المعنى الأول ، وإنما اختلف هنا في الضمير .

١: قال العجلوني في "كشف الخفاء" : فائدة ؛ للأبدال علامات منها ماورد في حديث مرفوع : " ثلاث من كن فيه فهو من الأبدال ؛ الرضا بالقضاء ، والصبر عن المحارم ، والغضب لله " . ومنها مانقل عن معروف الكرخي أنه قال : " من قال اللهم ارحم أمة محمد " في كل يوم كتبه الله من الأبدال . وهو في الحلية لأبي نعيم بلفظ : " من قال كل يوم عشر مرات اللهم أصلح أمة محمد ، اللهم فرج عن أمة محمد ، اللهم ارحم أمة محمد ، كتب من الأبدال " . ومنها مانقل عن بعضهم أنه قال : علامة الأبدال أنهم لايولد لهم ، وروي في مرفوع معضل:" علامة أبدال أمتي أنهم لايلعنون شيئاً " .
انظر : كشف الخفاء – العجلوني ١/٢٨ .

قوله رضي الله عنه :-

ولَهُ تَضَاءَلَتِ الفُهومُ

أي : تصاغرت الفهوم عن إدراك حقيقته . واللام بمعنى : عن .

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : يا أبا بكر !! والذي نفسي بيده لا يعلمني حقيقة غير ربي .

وروي عن أويس القرني [١] رضي الله عنه أنه قال لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما رأيتم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا ظله!! فقالوا: ولا ابن قحافة ؟ قال : ولا ابن قحافة!!! .

ولما ذكر هذا الحديث عند الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه قال: صدق أويس رضي الله عنه ، إن علياً كان مقامه إدراك نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعثمان إدراك قلبه ، وعمر إدراك عقله ، وأبو بكر إدراك روحه ، وحقيقة

١: أويس بن عامر ، ويقال : ابن عمرو القرني ، نسبة إلى قرن - بفتح القاف والراء بطن من مراد - اليمني العابد ، نزل الكوفة ، يعده البخاري من الضعفاء ، ويقول الذهبي :" لولا أن البخاري ذكر أويساً في الضعفاء لما ذكرته أصلاً ، فإنه من أولياء الله الصادقين ، وما روى الرجل شيئاً فيضعّف أو يوثق من أجله " ، وكان رضي الله عنه من جلة التابعين ، يلزم المسجد مع جماعة من أصحابه ، قال بعضهم : إنه مات بالحيرة ، وقال آخرون : بل مات مع علي بن أبي طالب مقاتلاً بين يديه في صفين. رضي الله عنه ونفعنا بمحبته وأمدنا بإمداداته آمين .
انظر : اللباب ٢٥٦/٢ ، وميزان الاعتدال ١٢٩/١-١٣١ .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السر المكنون لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى. وأعظم إدراكاً له هؤلاء الخلفاء الأربعة ، لكن لما اختلفت مقاماتهم اختلف إدراكهم، فعلي رضي الله عنه غلب عليه علم الشرائع ، وكان حاله الانبساط بما لإدراكه نفس من ورث العلوم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والانبساط من شأن النفس ، ولهذا قيل : لو حاولت النفس كل المحاولة أن تصمت ما صمتت ، وقضاياه رضي الله عنه في استنباط الأحكام الخفية أكثر من أن تحصى ؛ كقضية الفريضة المنبرية وهي مشهورة [١] .

وما روي من أن عمر أراد رجم امرأة ولدت لستة أشهر فقال له علي : إن الله تعالى يقول :{ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً} [٢] ، وقال :{ وفصاله في عامين} [٣]؛ فالحمل لستة أشهر ، والفصال في عامين ، فترك عمر رجمها ، وقال : لولا علي لهلك عمر !! ، وكان يتعوَّذ من معضلة ليس لها أبو الحسن .

وقال رضي الله عنه : بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن قاضياً وأنا حديث السن ، فقلت : يا رسول الله ! بعثتني إلى قوم سيكون بينهم أحداث ،

١: هي مسألة من مسائل العول " في الفرائض " : تعول فيها الـ ٢٤ إلى ٢٧ ، عند اجتماع الثمن والسدس ، كما في زوجة وبنتين وأم وأب ، فللزوجة الثمن ، وللبنين الثلثان ، وللأم السدس، وللأب السدس ، تكون المسألة من ٢٤ ، وتعول إلى ٢٧ . وسميت المنبرية ؛ لأن الإمام علي رضي الله عنه أجاب عنها وهو على منبر الكوفة بديهة ، فوز سؤال السائل ، فقال : " والمرأة صار ثمنها تسعاً " .

٢: سورة الأحقاف – الآية ١٥ .

٣: سورة لقمان – الآية ١٤ .

ولا علم لي بالقضاء فقال : إن الله يهدي لسانك ويثبت قلبك . قال : فما شككت في قضاء بين اثنين [1] .

وعن زر بن حبيش قال : جلس اثنان يتغديان لأحدهما خمسة أرغف ، ولآخر ثلاثة، وجلس إليهما ثالث فأذنوا له في أن يتناول معهما ، ثم ألقى إليهما ثمانية دراهم وقال : هذا عوض ما أكلت من طعامكما . فقال صاحب الخمسة : لي خمسة ولك ثلاثة . وقال صاحب الثلاثة : بل نقسمها على السواء . فترافعا إلى علي ، فقال لصاحب الثلاثة : اقبل ما أعطاك صاحبك . قال : لا أريد إلا صميم الحق . قال علي رضي الله عنه : إذاً ليس لك إلا درهم واحد ! . قال : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال: قدر ما أكل كل منكم غير معلوم ، فتحملون على السوية ، فكلٌ أكل ثلثاً من رغيف مُن الأرغفة الثمانية ، فهي أربعة وعشرون ثلثاً ، لك منها تسعة، ولصاحبك خمسة عشر ، أكلت ثمانية وبقي لك واحد ، وأكل صاحبك ثمانية وبقي له سبعة ،

١: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : " بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، فقلت: يارسول الله ! تبعثني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء ؟ قال : فضرب بيده في صدري ، وقال : اللهم اهد قلبه وثبت لسانه . فو الذي فلق الحبة ماشككت في قضاء بين اثنين ".

الحديث في طبقات ابن سعد ٢/٢٣٧ ، وابن ماجة ٢/٢٦ ، ورواه أحمد في المسند ١/٨٣ ، وعند أبي داود في سننه بإسناد صحيح ٣/٣٢٧ ، وروى الترمذي بعضه ٢/٢٧٧ وحسّنه ، وكذا رواه الإمام أحمد ١/٨٨ . بإسناد صحيح : عن حارثة ابن مضرب عن علي قال : "بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، فقلت : يارسول الله إنك تبعثني إلى قوم هم أسن مني لأقضي بينهم ، قال : اذهب فإن الله تعالى سيثبت لسانك ويهدي قلبك " . وذكره البيهقي في الدلائل ٥/٣٩٧ .

وأكل لكما الثالث ثمانية قابلها بثمانية دراهم ، لك واحد في مقابلة الثلث الذي أكل، ولصاحبك سبعة في مقابلة السبعة الأثلاث الذي أكل له !!!، فقال : رضيت الآن .

وعثمان رضي الله عنه غلب عليه التفكر في العلوم لإدراكه القلب الذي من شأنه التفكر ، ولكثرة فكره كثر حياؤه ، إذ هو ناشيء عن فكرة القلب.

قالت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها : (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مضطجعاً في بيته ، كاشفاً عن فخذيه وساقيه ، فاستأذن أبوبكر ، فأذن له ، فتحدث ، ثم استأذن عمر فكان كذلك ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسوى ثيابه ، فدخل فتحدث ، فلما خرج سألته عائشة عن كونه لم يبال بدخول أبي بكر وعمر، وجلس وسوى ثيابه عند دخول عثمان فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ [1] . ولذلك أيضاً كان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال جعفر بن محمد عن أبيه : كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا جلس جلس أبو بكر عن يمينه ، وعمر عن يساره ، وعثمان بين يديه ، وكان كاتب سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والسر محله القلب، والوحي كان ينزل على قلبه .

وعن عائشة وحفصة رضي الله عنهما وعن أبويهما : أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ادن ،

١: أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه – رقم ٢٤٠١ .

وانظر أيضاً : الكنز ١٣ / ٤٩ الحديث رقم ٣٦٢١٩ .

فأكب عليه ثلاث مرات يسارّه بالكلام ، ويقول له : فهمت ما قلت لك ؟ فيقـــول: نعم .

وعمر رضي الله عنه غلب عليه التدبر لإدراكه العقل الذي من شأنه التدبر ، وقـد وافق القرآن قوله في آيات متعددات ، حتى قال علي : كنا نرى أن في القرآن كلامـاً من كلام عمر ، ورأياً من رأيه .

وجاء يهودي يوماً إليه فقال : أرأيت قوله تعالى :{ سارعوا إلى مغفرة من ربكـم وجنة عرضها السموات والأرض }[1] فأين النار ؟ فقال لأصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم : أجيبوه . فلم يكن عندهم فيها شيء . فقال عمر : أرأيت النهار إذا جاء أليس يملأ السموات والأرض ؟ قال : بلى. قال : فأين الليل؟ قال : والذي نفســك بيده إنهاُ لفي التوراة كما قلت.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إن الحق ينـــزل علـى قلـب عمـر ولسانه)[2].

وقال ابن عمر : ماسمعت عمر يقول لشيء قط : إني أظنه ، إلا كان كما يظن.

وكان جالساً يوماً في المسجد معه ناس ، إذ مرَّ رجل فقال له : أتعـــرف هــذا ؟ فقال: بلغني أن رجلاً أنبأه الله بظهور الغيب بظهور النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسمه سواد بن قارب الذي من شأنه كذا وكذا ؟ قال : نعم . قال : فأنت على ما كنـت عليه من كهانتك . فغضب وقال : والله يا أمير المؤمنين ما استقبلني بهذا أحـدٌ منـذ

١: سورة آل عمران – الآيـــة ١٣٣ .

٢: ذكره في تاريخ أصبـــهان ١/٣٥٤٠ .

أسلمت . فقال عمر : سبحان الله ما كنا فيه من الشرك أعظم من كهانتك . أخـبرني عما أتاك به رئيك من ظهور النبي صلى الله عليه وآله وسلم . قال : بينما أنـــا ذات ليلة بين النائم واليقظان ، إذ أتاني رئيي فضربني برجله وقال : قم ياسواد بن قـــارب واعقل إن كنت تعقل ، قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول :-

عجبت للجن وتطلابهـــــــا   وشـــدها العيس بأقتابها
تهفو إلى مكة تبغي الهـــــدى   ماصادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم   فليــس أعلاها كأذنابها

فقلت : دعني أنام ، فأتى في الليلة الثانية وقال كما قال أولاً ، وأنشد :-

عجبت للجن وتخبارهـــــــا   وشدها العيس بأكوارها
تهفوا إلى مكة تبغي الهـــــدى   مــامؤمنو الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم   بين زواحفها وأحجارها

فقلت : دعني أنام ، فأتى في الليلة الثالثة كذلك وأنشد :-

عجبت للجن وتجساســـــها   وشدها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهـــــدى   ماطاهرو الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم   واسم بعينيك إلى رأسها

فوقع في نفسي حب الإسلام ، فلما أصبحت ركبت راحلتي ، وانطلقت إلى مكـة فأخبرت أنه صلى الله عليه وآله وسلم هاجر إلى المدينة ، فأتيته وسألت عنه ، فقيـــل لي: في المسجد ، فأتيته ، فعقلت ناقتي فقال لي : ادنُ ادنُ حتى قمت بـــين يديــه ، فقلت: اسمع مقالتي يارسول الله ، فقال : هات ، فأنشأت أقول :-

أتاني نجيي بين نوم ورقدة   ولم أكن فيما رأيت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة   أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ذيل الإزار ووسّطتْ   بي الذعلب الوجناء عند السباسب
فأشهد أن الله لا رب غيره   أنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة   إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا   وإن كان فيما جئت شيب الذوائب

ففرح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بإسلامي حتى عرف الفرح في وجوههم ، فوثب عمر إليه وأكرمه ، وقال : لقد كنت أحب أن أسمع هذا الحديث منك ؛ فأخبرني عن رئيك هل يأتيك اليوم ؟ قال : أما منذ قرأت القرآن فلا ، ونِعمَ العوضُ كتاب الله [1] .

١: سواد بن قارب الدوسي ، على ماروا ابن أبي خيثمة ، من بني دوس ، كان يتكهن في الجاهلية، وكان شاعراً ، قال البخاري في التاريخ الكبير ٢/٢/٢٠٢ : له صحبة ، وكذا قال أبو حاتم والبرزنجي، والدارقطني ، وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ، والذهبي في تجريد أسماء الصحابة ، وابن حجر في الإصابة .

أسلم وداعبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً فقال : ما فعلت كهانتك يا سواد ؟ فغضب وقال : ما كنا عليه نحن وأنت يا عمر من جاهليتنا وكفرنا شر من الكهانة ، فما لك تعيرني بشيء تبت منه ، وأرجو من الله العفو عنه .

وقد روى ابن عبد البر أن عمر قال له – وهو خليفة – كيف كهانتك اليوم ؟ فقال سواد: يا أمير المؤمنين ! ما قالها لي أحد قبلك ، فاستحيا عمر ، ثم قال : إيه يا سواد ! الذي كنا عليه من الشرك أعظم من كهانتك ، ثم سأله عن حديثه في بدء الإسلام ، وما أتاه به رئيه من ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر .

وحديث سواد بن قارب رواه البخاري في الصحيح ، فتح الباري ١٧٧/٧ في :٦٣ – كتاب مناقب الأنصار ، ٥٣ – باب إسلام عمر بن الخطاب .

وقد وقع اختلاف ونقص في الرواية التي ساقها المصنف سواء من حيث أبيات الشعر أو سياق الرواية، فآثرت نقلها بنصها زيادة في الفائدة وإتماماً لما سقط من نسخها :

روى البيهقي في دلائله ، بسنده عن البراء قال : (بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الناس على منبر النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال : أيها الناس أفيكم سواد بن قارب؟، قال : فلم يجبه أحد تلك السنة ، فلما كانت السنة المقبلة قال : أيها الناس أفيكم سواد بن قارب ؟ قال : فقلت: يا أمير المؤمنين وما سواد بن قارب ؟ قال : إن سواد بن قارب كان بدء إسلامه شيئاً عجيباً . قال : فبينا نحن كذلك إذ طلع سواد بن قارب ، قال : فقال له عمر : يا سواد حدثنا ببدء إسلامك كيف كان ؟ قال سواد : فإني كنت نازلاً بالهند ، وكان لي رئيٌّ من الجن. قال : فبينا أنا ذات ليلة نائم إذ جاءني في منامي ذلك ، قال : قم فافهم واعقل إن كنت تعقل ، قد بعث رسول من لؤي بن غالب ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وأنجاسها   وشدها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى   ما مؤمنوها مثل أرجاسها
فانهض إلى الصفوة من هاشم   واسم بعينيك إلى راسها

ثم أنبهني وأفزعني ، وقال : يا سواد بن قارب إن الله عز وجل بعث نبياً فانهض إليه تهتد وترشد. فلما كان في الليلة الثانية أتاني فأنبهني ثم أنشأ يقول كذلك :

عجبت للجن وتطلابها   وشدها العيس بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى   ليس قداماها كأذنابها
فانهض إلى الصفوة من هاشم   واسم بعينيك إلى نابها

فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبهني ثم قال كذلك :

عجبت للجن وتخبارها   وشدها العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى   ليس ذوو الشر كأخيارها
فانهض إلى الصفوة من هاشم   ما مؤمنو الجن ككفارها

قال : فلما سمعته يكرر ليلة بعد ليلة ، وقع في قلبي حب الإسلام من أمر النبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ، قال : فانطلقت إلى رحلي فشددته على راحلتي فما حللت نسعة ، ولا

وأبوبكر رضي الله عنه : غلب عليه إدراكه روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والروح من شأنها الانقباض على العلوم الحقيقية ، ولهذا قيل : الروح من شأنها الصمت ، فلو حاولت كل المحاولة أن تنطق ما نطقت.

أخرج الملا في سيرته عن عمر قال : كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو و أبو بكر يتكلمان في علم التوحيد ، فأجلس بينهما كأني زنجي لا أعلم ما يقولان .

عقدت أخرى حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو بالمدينة والناس عليه كعرف الفرس ، فلما رآني النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : مرحباً بك يا سواد بن قارب!! ، قد علمنا ما جاء بك ، قال : قلت : يا رسول الله ! قد قلت شعراً فاسمعه مني ، قال سواد : فقلت:

أتاني رئيٌّ بعد ليل وهجعة و لم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ساقي الإزار ووسّطت
بي الذعلب الوجناء عندالسباسب
فأشهد أن الله لا شيء غيره وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين شفاعة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك ياخير من مشى وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة
سواك بمغنٍ عن سواد بن قارب

قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، وقال لي : أفلحت يا سواد. فقال له عمر : هل يأتيك رئيك الآن ؟ فقال : منذ قرأت القرآن لم يأتني ، ونعم العوض كتاب الله عز وجل من الجن) .

انظر : دلائل النبوة للبيهقي ٢٤٨/٢ فصل : حديث سواد بن قارب ويشبه أن يكون هذا هو الكاهن الذي لم يذكر اسمه في الحديث الصحيح .

وانظر سبقيته إلى فهم الأسرار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وترك التصريح بما يفهمه الذي هو من شأن الروح . ففي الترمذي من رواية أبي المعلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب فقال : إن رجلاً خيَّره ربه بين أن يعيش في الدنيا ماشاء الله ويأكل من الدنيا ماشاء الله أن يأكل ، وبين لقاء ربه ، فاختار لقاء ربه ؛ فبكى أبو بكر فعجبوا منه !! فكان أعلمهم بما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال : نفديك بآبائنا وأموالنا [١] .

وانظر ثباته يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واستشهاده بقوله تعالى:{ ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل }[٢] ، قالت عائشة : فوالله كأن الناس لم يعلموا هذه الآية حتى تلاها أبوبكر فتلقاها منه الناس ، فماتسمع نفراً إلا يتلوها [٣].

١: أخرجه الترمذي في سننه : ٥٠ – كتاب المناقب ، باب مناقب أبي بكر الصديق ، عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، عن أبي عوانة .وفي البخاري : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : "إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ماعند الله ، فاختار ما عند الله ؛ فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه ، أن يخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل يخير ، فكان المخيَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر أعلمنا به ، فقال : لا تبك يا أبا بكر. إن أمنَّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذته ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقى في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر " . أخرجه البخاري في : ٦٣ – كتاب مناقب الأنصار ٤٥ – باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة . وأخرجه مسلم في : ٤٤ – كتاب فضائل الصحابة ١ – باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ورواه البيهقي في الدلائل ١٧٤/٧ – ١٧٥ .

٢: سورة آل عمران – الآية ١١٦ .

٣: يوم وفاة الحبيب الأعظم والرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ، مجد وعظم، ووالى عليه وأنعم : في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، عن عائشة رضي الله عنها ، لما علم أبو بكر رضي الله عنه بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أقبل على فرس

ثم اعلم أن **العقول قاصرة عن إدراك حقيقته الأحمدية** ، وإنما أدركت منه الصورة المحمدية . قال السهيلي : لم يكن محمداً حتى كان أحمداً حمد ربه فنبأه وشرَّفه فلذا تقدم اسمه أحمد على اسم محمد ، فذكره عيسى عليه السلام فقال:{اسمه أحمد}[1] وذكره موسى عليه السلام حين قال الله له : تلك أمة أحمد . قال : اللهم اجعلني من أمة أحمد[2] ، لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له ، فلما وجد وبعث كان محمداً ،

من مسكنه بالسنح ، حتى نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس ، حتى دخل على عائشة ، فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشى عليه ببرد حبرة ، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه يقبله ، ثم بكى ، ثم قال: بأبي أنت وأمي يارسول الله ، والله لا يجمع الله عليك موتتين أبداً، أما الموتة التي كتبت عليك فقد مُتَّها . قال : و عن عبد الله بن عباس، أن أبا بكر خرج، وعمر يكلم الناس – فقال : اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس ، فقال: اجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس فتشهد أبو بكر ، فأقبل الناس إليه ، وتركوا عمر ، فقال أبو بكر : أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله، فإن الله حي لا يموت ، قال الله عز وجل : {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين } فقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية ، حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها) ، وقال عمر رضي الله عنه : (والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعرفت ، أو قال : فعقرت حتى ما تقلني رجلاي ، وحتى أهويت إلى الأرض ، وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات) .

انظر : فتح الباري ١٤٥/٨ في : ٦٤ – كتاب المغازي ٨٣ ، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ، الحديث ٤٤٥٤ .

١: في قوله تعالى : { وإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين } . سورة الصف – الآية ٦ .

٢: مر تخريجه عند شرح قول المصنف رضي الله عنه : " على من منه انشقت الأسرار" .

وكذا في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يلهمها فيكون أحمد الحامدين ، ثم يشفع فيحمده على الشفاعة .

فترتب اسم محمد على اسم أحمد في الدنيا والآخرة ، وإنما لم تصل العقول إلى معرفة حقيقته الأحمدية ، لأن حمده وثناءه الأصلي على حسب معرفته ، ولم يصلها ولا يصلها أحد .

وأيضاً : هو السابق ، والأصل في الخلق ، والمعرفة ، والسجود والحمد، وغيره فروعه وجداوله ، والفرع لا يحيط بالأصل .

ولظهور الصورة المحمدية اشتهر (محمد) أكثر من (أحمد) حتى قال بعضهم : محمد أشهر أسمائه بين العالمين وأشرفها إلى الصلاة والسلام عليه ، وأكثرها سماعاً ، ولهذا مع ظهور معنى المحبوبية فيه خصَّ بكلمة التوحيد . وإنما كانت المحبوبية فيه أظهر لدلالته على ثنائه تعالى عليه في كتابه ، وبألسنة الخلق التي هي أقلام الحق ، وإن كانت في الأحمدية أيضاً من حيث اختياره ، فحمده ومعرفته في اسم أحمد أظهر ، ولسبقية الأحمدية سمي في السماء أحمد ، لأن معرفة أهل السماء قبل معرفة أهل الأرض ، ولعظم أحمديته وكمالها ، خصَّ بخصائص من معناها ؛ فسورة الحمد ، ولواء الحمد، الذي يستظل تحته كل حامد ، والمقام المحمود ، وشرع لأمته اختتام الأمور بالحمد ، {وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين }[1] ، {وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين }[2] .

١: سورة الزمر – الآية ٧٥ .

٢: سورة يونس – الآية ١٠ .

وسن عليه الصلاة والسلام الحمد عند انقضاء الأكل والشرب [1] .

وقال عند انتهاء السفر : (آيبون لربنا حامدون) [2] .

١: منها مارواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع مائدته قال : " الحمد لله كثيراً طيباً ، مباركاً فيه ، غير مكفي ، ولا مودع، ولا مستغنى عنه ربنا " .

وقال مرة : " إذا رفع مائدته قال : الحمد لله الذي كفانا وأروانا غير مكفي ولا مكفور " .

وأما حمده صلى الله عليه وسلم بعد الشرب : فقد روى ابن السني في " عمل اليوم والليلة " عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شرب في الإناء تنفس ثلاثة أنفاس يحمد الله تعالى في كل نفس ، ويشكره آخره " .

٢: روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال : أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم أنا وأبو طلحة ، وصفية رديفته على ناقته ، حتى إذا كنا بظهر المدينة قال : " آيبون ، تائبون لربنا حامدون ، فلم يزل يقول ذلك حتى قدمنا المدينة".

وكذا عند الابتداءات المهمة [1] . وفيه إشارة إلى أنه الفاتح الخاتم ، ولعدم توصل أحد لمعرفة أحمديته حتى الرسل كما يفيده قوله : (لا يعلمني حقيقة غير ربي) [2] ، تضمن اسمه محمد بحساب الجمل عدة الرسل دون اسمه أحمد [3] ، ولعدم معرفة الخلق بأحمديته وبحمده تعالى القديم ، ومعرفتهم بالمحمودية في الجانبين قال صلى الله عليه وآله وسلم : يا عمر أتدري من أنا ؟ أنا الذي اشتق الله تعالى اسمي من اسمه فالله محمود وأنا محمد ولا فخر ، و لم يحكم بمثل هذا لأحد ، لأن الخلق لايعرفون معنى الأصل ولا الفرع ، ولقد أحسن حسان رضي الله عنه حيث يقول :-

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن :أشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وفي ذكر الاشتقاق تنبيه على أن الفرع متضمن الأصل وزيادة ، ولذا كانت صيغة اسمه محمد صيغة مبالغة بخلاف اسمه تعالى محمود ، فالثناء عليه صلى الله عليه وآله وسلم متضمن حمد الله بخلاف العكس ، ومن أثنى على عبد الملك من حيث هو عبده

١: روى ابن ماجة في سننه ، والبيهقي بسندهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل أمر ذي بال لايبدأ بالحمد لله ، أقطع " ورمز السيوطي لحسنه . الجامع الصغير ٢/٢٣٣ الحديث رقم ٦٢٨٣ .

٢: لم أجده فيما لدي من مصادر ، وإن كان معناه صحيح صحيح صحيح ، فما عرف الحقيقة المحمدية وقدرها إلا خالقها .

٣: أما محمد فحسابه : الميم الأولى ٤٠ + الحاء ٨ + الميم الثانية المشددة ٤٠+٤٠ + الدال ٤ = ١٣٢ .

وأما أحمد : فالألف ١ + والحاء ٨ + والميم ٤٠ + والدال ٤ = ٥٣ .

كان ذلك أدلَّ على محبة الملك من ثنائه على الملك نفسه . **ومن هنا قيل : إن الصلاة عليه أعظم العبادات لقوة دلالتها على قوة الامتثال** . وتذكر قضية سجود الملائكة لآدم إلا إبليس مع عظيم عبادته قبل ذلك .

ولعدم معرفة الخلق بأحمديته أيضاً ومعرفتهم بصورة محمديته خلق آدم وبنوه على صورته ؛ ففي الحديث الذي أخرجه أبو مروان الطيبي : (يا عمر أتدري من أنا ؟ أنا الذي خلق الله آدم وذريته على حروف هجاء اسمي) ؛ فالوجه والرأس بمنزلة الميم ، واليدان إذا مددهما بمنزلة الحاء ، والبطن بمنزلة الميم الأخرى ، والرجلان بمنزلة الدال ، فهو محمد ولا فخر ، انتهى .

وكانت كتابته في الخط القديم هكذا :

مـــــحـــــمـــــد

وقال بعضهم :-

له اسم صوَّر الرحمن ربي   خلائقه عليه كما تـــراه

له رجل وفوق الرجل ظهر   وتحت الرأس قد خلقت يـداه

ولم يخلق سائر الحيوان والنبات وغيرهما على هذا الشكل لأنهما مسخرة لبني آدم:{هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً }[1] .

[ولا يستخدم اسم الحبيب] [2] ؛

١: سورة البقرة – الآية ٢٩ .

٢: لعلها عبارة مقحمة من الناسخ لم أفهم الرابط بينها وبين ما قبلها وما بعدها .

ولعدم معرفتهم أيضاً بأحمديته ومعرفتهم بمحمديته كثر تصرفهم اسم محمد دون أحمد ، ولهم في ذلك إشارات ورموز :

منها : قول بعضهم الميم : معرفته بعلوم الأولين والآخرين ، والحاء : حياة العباد على يده بالإسلام بعد الكفر ، قال تعالى :{ أومن كان ميتاً فأحييناه}[1] ، والميم: مملكته ؛ أوسع وأعظم مما أعطي الرسل قبله ، والدال: دلالته لجميع الخلائق إلى الفردوس .

وقيل : الميم والحاء من "مح" أي : أهلك ، والميم الثانية والدال من "مد" أي : بسط. أهلك الله به الكفر وبدده ، وبسط به الإسلام في الأرض ومدده .

قال الشاعر :-

محمد نافح الإله بدينه

عباداً طغوا في الأرض دينهم الكفر

وهدانا الإسلام طراً فلم يزل

به النصر والإمكان والظفر والبشر

إلى غير ذلك .

ثم المادحون له صلى الله عليه وآله وسلم وإن بالغوا وأكثروا ، معترفون بأنهم قد قصروا وقصروا ، وكيف لا وقد أفصحت آي القرآن من تعظيمه بما يبهر العقول ، وصرحت من عظيم صفاته بما لا يستطاع له الوصول ، كقوله تعالى : { ورفع

١: قوله تعالى :{ أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها} سورة الأنعام – الآية ١٢٢ .

بعضهم درجات }[1]، يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، وناهيك إفخاماً وتعظيماً .

وقال :{وإنك لعلى خلق عظيم }[2] .

ولابن الخطيب التلمساني في هذا المعنى :-

يا مصطفى من قبل نشأة آدم ... والكون لم يفتح له أغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعد ما ... أثنى على أخلاقك الخلاق؟؟

وروي أنه أخبر بعد موته في النوم أنه غفر له بسبب هذين البيتين .

ولابن الخطيب الأندلسي :-

مدحتك آيات الكتاب فما عسى
يثني عليك نظم مديحي
وإذا كتاب الله أثنى مفصحاً
كان القصور قصارى كل فصيح

قال الزركشي : ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء كأبي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان مدحه عليهم من أصعب ما يحاولونه ، فإن المعاني دون مرتبته ، والأوصاف دون وصفه ، وكل علوٍّ في حقه تقصير ، فيضيق على البليغ مجال النظم ، وإنه لخليق بقول القائل :-

١: سورة البقرة – الآية ٢٥٣ .

٢: سورة القلم – الآية ٤ .

فما بلغت كف امريء متناولاً ... من المجد إلا والذي نال أطول
ولا بلغ المهدون في القول مدحة ... ولو صدقوا إلا الذي فيه أفضل

وفيه يقول ابن الفارض[1] :-

كملت محاسنه فلو أهدى السنا ... للبدر عند تمامه لم يخسف
وعلى تفنن واصفيه بمدحه ... يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وليم أبو نواس على عدم مدح علي الرضا بن موسى الكاظم ، فقال :-

قيل لي أنت أحسن الناس طراً ... في فنون من المقال النزيه
لك من جيد القريض مديح ... يتمّ الدر في يدي مجتنيه
فعلى مَ تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمّعن فيه
قلت لا أستطيع مدح إمام ... كان جبريل خادماً لأبيه

دخل عليٌّ هذا نيسابور عليه مظلة ، فتعرض له الحافظان أبوزرعة الرازي، ومحمد ابن أسلم الطوسي ، ومعهما من طلبة العلم والحديث ما لا يحصى ، فسألوه أن يريهم وجهه ويروي لهم حديثاً عن آبائه . فاستوقف البغلة وأمر غلمانه ، فكشف المظلة وأراهم طلعته المباركة ، ثم قال :حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق ، عن أبيه محمد الباقر ، عن أبيه زين العابدين ، عن أبيه الحسين ، عن أبيه علي بن أبي

١: في قصيدته العصماء التي يبدأها بقوله :

قلبي يحدثني بأنك متلفي ... روحي فداك عرفت أم لم تعرف

انظر : ديوان ابن الفارض – صفحة ٨٩ تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي .

طالب قال : حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال حدثني جبريل قال : سمعت رب العزة يقول :{لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي }، ثم أرخى الستر وسار ؛ فعدَّ أهل المحابر الذين كانو يكتبون فزادوا على عشرين ألفاً .

قال أحمد : لو قرأت هذا السند على مجنون لبريء من حينه ، انتهى .

ورؤي ابن الفارض في النوم فقيل له : لِمَ لَمْ تمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم — أي تصريحاً — ؟ فأنشد :-

أرى كل مدح في النبي مقصرا   وإن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذي هو أهله   عليه فما مقدار ما يمدح الورى

ولابنِ وفاء :-

ما شئت قل فيه فأنت مصدق   فالحب يقضي والمحاسن تشهد

وفي البردة :-

دع ما ادعته النصارى في نبيهم   واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

الأبيات .

وقال بعضهم :-

أروم امتداح المصطفى فيصدني   قصوري عن إدراك تلك المناقب
ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر   ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب
ولو أن أعضائي غدت ألسناً إذن   لما بلغت في المدح بعض مآرب
ولو أن كل العالمين تألبوا   على مدحه لم يبلغوا بعض واجب

فأمسكت هيبة لجلاله وخوفاً وإعظاماً لأرفع جانب
فرب سكوت كان فيه بلاغة ورب كلام كان فيه عتب لعاتب

وفي المعنى قيل :-

مقامك يا إمام المرسلين   تحير فيه مدح المادحين
فغاية ما نقول إذا اختصرنا   فإنك أنت خير العالمين

وقال بعضهم :-

ما أن مدحت محمداً بمقالتي   لكن مدحت مقالتي بمحمد

ولابن زكري في هذا المعنى :-

محمد مدحه مدح لمادحه   إذ خدمة الجاه الاعلى غاية الشرف
فمدحه شرف ، وحمده شرف ، وذكره شرف أنعم بذا الشرف

ويندرج في عموم لفظه تقاصر الفهوم عن إدراك كنه جلاله ، فلولا أنه كان يباسطهم ويتواضع لهم ويؤنسهم لما قدر واحد منهم أن يقعد معه ، أو يسمع كلامه لما رزقه الله من الجلالة والمهابة . وقد جاء إليه رجل فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة، ومهابة ، فقال له : " هون عليك فإني لست بملك ولاجبار ، وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة . فنطق الرجل بحاجته لما سكن روعته بقوله لست بملك "[١] .

١: ذكره البيهقي في دلائل النبوة ٥/٦٩ وقال : هذا مرسل وهو المحفوظ .

وقوله : تأكل القديد أي : وهو طعام أهل المسكنة [1] .

وفي البردة :-

كأنه وهو فرد في جلالته ...."البيت" [2] .

وتقدم قول ابن الخطيب .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : صحبته صلى الله عليه وآله وسلم، فما ملأت عيني منه حياءً وتعظيماً له ، ولو قيل لي صفه لما قدرت .

وتقاصرها عن إدراك جمال صورته صلى الله عليه وآله وسلم :

قال بعضهم : لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه لو ظهر لنا لما كانت أعيننا تطيق رؤيته . وقال الإمام الخروبي [3] : ما أدرك الناس حقيقة أمره إلا على قدر عقولهم البشرية فما ظهر لهم من ذلك فهو نعمة عليهم ليعرفوا قدره ، ويعظموا أمره ، وماخفي عليهم من أمره فهو رحمة من الله بهم ، إذ لو ظهر لهم مع عدم قيامهم

١: قال في النهاية : القديد اللحم المملوح المجفف في الشمس ، فعيل بمعنى مفعول .
" النهاية ٤/٢٢ " .

٢: هكذا ورد في الأصل المخطوط وهو بلا شك خطأ نسخي وصوابه مع تمامه :

كأنه وهو فرد من جلالته   في عسكر حين تلقاه وفي حشم

٣: الشيخ العالم المتصوف أبو عبد الله محمد الخروبي السفاقسي الجزائري كان من العارفين ، وله قدم بارع في فنون التصوف والمعارف الروحانية ، مع تفننه في علوم الفقه والحديث ، وله تصانيف عجيبة مثل : كفاية المريد ، وشرح تصلية القطب أبي محمد عبد السلام بن مشيش، ورسالة ذي الإفلاس إلى خواص أهل مدينة فاس ، وغير ذلك . توفي رضي الله عنه سنة ثلاث وستين وستمائة بالجزائر " موسوعة أعلام المغرب – تذكرة المحسنين – ٢/٨٩٥ " .

بالحقوق لكان فتنة لهم ، والله تعالى أرسله رحمة للعالمين ، فكانت النعمة فيما ظهر ، والرحمة فيما استتر .

وفي الحديث : (أعطي يوسف شطر الحسن) [1] ، **قال العلماء : المراد شطر حسن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .**

وفي حديث قال ناعته : (لم أر قبله ولابعده مثله) [2] .

وفي حديث البراء : (مارأيت شيئاً قط أحسن منه) [3] .

وفي البردة :-

منزه عن شريك في محاسنه   فجوهر الحسن فيه غير منقسم

١: رواه ابن أبي شيبة في المصنف ، والإمام أحمد في المسند ، والعقيلي ، والحاكم في المستدرك عن أنس رضي الله عنه ، ورمز السيوطي لصحته .
" الجامع الصغير ١/١٥٣ الحديث رقم ١١٧٨".

٢: في حديث سيدنا علي بن أبي طالب يصف النبي صلى الله عليه وسلم :" لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بالطويل ولا بالقصير ، شثن الكفين والقدمين ، ضخم الرأس ، ضخم الكراديس ، طويل المسربة ، إذا مشى تكفأ تكفؤاً كأنما ينحط من صبب ، **لم أر قبله ولا بعده مثله** " . أخرجه الترمذي في سننه في المناقب – الحديث رقم ٣٦٤١ ، وأنه تفرد به بين أصحاب الكتب الستة. ورواه في الشمائل النبوية – الحديث رقم ٥ .

٣: عن البراء بن عازب رضي الله عنه : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً مربوعاً ، بعيد مابين المنكبين ، عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه ، عليه حلة حمراء ، **مارأيت شيئاً قط أحسن منه** " . أخرجه البخاري ومسلم في الفضائل برقم ٢٣٣٧ ، وأبو داود في السنن – كتاب اللباس برقم ٤٠٧٢ ، والنسائي وابن ماجة برقم ٣٦٩٩ ، والترمذي في سننه في اللباس برقم ١٧٢٤ .

ومما ينسب لعائشة [1] :-

وأجمل منك لم تر قط عيني ... وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءاً من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

ومما ينسب لها أيضاً :-

فلو سمعوا في مصر أوصاف حسنه ... لما بذلوا في سوم يوسف من نقد
وصحب زليخا لو رأين جماله ... لآثرن بالقطع القلوب على الأيدي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : (ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كأن الشمس تجري في وجهه) [2] .

رواه الترمذي وأحمد ، والبيهقي ، وابن حبان .

وفي البخاري : (سئل البراء : أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل

١: وهو مما تمثلت به دون شك لأن هذه الأبيات مشهورة لسيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه على ماذكره العلامة النبهاني في ديوان المدائح النبوية ٦٣/١ وفيه :

وأحسن منك لم تر قط عيني ... وأجمل منك لم تلد النساء

وانظر كذلك ديوان حسان ٤٤١/١ تحقيق وليد عرفات .

٢: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " مارأيت شيئاً أحسن من النبي صلى الله عليه وسلم ، كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه منه ، كأن الأرض تطوى له ، إنا لنجتهد، وإنه غير مكترث " .

الحديث أخرجه الترمذي في المناقب ١٢ باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، الحديث رقم ٣٦٤٨ ، ٦٠٤/٥ . والإمام أحمد في مسنده ٢٥٨/٢ ، ٢٩٥ ، ٣٥٠ ، ٣٨٠ .

السيف ؟ فقال : لا ، بل مثل القمر) [1] .

وفي "مسلم" من حديث جابر بن سمرة ــ وقال له رجل : أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل السيف ؟ ــ فقال : لا بل مثل الشمس والقمر، وكان مستديراً) [2] .

واعلم أن ما يقع في الأمداح من تشبيهه بالشمس والقمر والسراج ، وكقول حسان :-

متى يبد في الداجي البهيم جبينه ... يلُحْ مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان أو من قد يكون كأحمد ... نظامٌ لحق أو نكالٌ لملحد [3]

فالمراد منه التمثيل بأحسن مايعرف في الوجود ، وإلا فهذه الأضواء من نوره خلقت ، وبه استنارت ، ويرحم الله القائل :-

١: سأل رجل البراء رضي الله عنه : " أليس كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ قال : لا ، كان مثل القمر " .

الحديث أخرجه البخاري في :٦١ - كتاب المناقب ٢٣ باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، فتح الباري ٥٦٥/٦ . وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب ٨ ، باب ماجاء في صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، الحديث ٣٦٣٦ من طريق سفيان ابن وكيع ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن زهير ، عن أبي اسحق ، عن البراء .

وأخرجه الدارمي في المقدمة ، والإمام أحمد في المسند ٢٨١/٤ ، و ١٠٤/٥ .

٢: رواه مسلم في صحيحه عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عبيد الله بن موسى . انظر : صحيح مسلم - صفحة ١٨٢٣ .

٣: ذكره في أسد الغابة ٤/٢ " فقالت عائشة : كان والله كما قال فيه حسان .... إلخ .

وانظر: ديوان حسان ٤٦٥/١ تحقيق د. وليد عرفات .

[تَـمٌّ] [1] يضيء بك الوجود وليله　　فبه صباح من جمالك مسفر

فبشمس حسنك كل يوم مشرق　　وببدر وجهك كل ليل مقمر

وما أحلى قول القائل :-

يقولون يحكي البدر في الحسن وجهه　　وبدر الدجى عن ذلك الحسن ينحطُّ

كما شبهوا غصن النقا بقوامـــــــه　　[....] [2] للغصن واشتطوا

وما أحسن قول سيدي محمد بن وفا رضي الله عنه :-

كم فيه للأبصار حسن مدهش　　كم فيه للأرواح راح مسكر

سبحان من أنشاه من سبحاته　　بشراً بأسرار الغيوب يبشـــر

قاسوه جهلاً بالغزال تغـــــزلاً　　هيهات يشبهه الغزال الأحور

هذا وحقك ماله من مشـــــبه　　وأرى المشبه بالغزالة يكفـــر

يأتي عظيم الذنب في تشبيهه　　لولا لرب جماله يستغفـــــر

فخر الملاح بحسنهم وجمالهم　　وبحسنه كل المحاسن تفخـــر

وتقاصرها عن كمال إدراك عقله ، وقد تقدم أن العقول كلها في جنبـــه كحبـــة رمل بين رمل الدنيا ، وتقاصرها عن جاهه الأعظم ، وناهيك بجاه من يقول عند تبري ذوي الجاه العظيم : " أنا لها " [3].

١: كلمة مطموسة قدرتها بما هو بين المعقوفتـــين ، والله أعلـــم .

٢: كلمتين مطموستين لم أهتد لهمـــا .

٣: كما جاء في حديث الشفاعة الطويل ، سبق ذكره في أول هـــذا الكتـــاب المبـــارك .

وتقاصرها عن إدراك علومه كما مر ، وفي التنـــزيل :{وعلمك مالم تكن تعلـــم وكان فضل الله عليك عظيماً} [1] .

وتقاصرها عن إدراك حلمه ، وفي كلام لعمر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقـــد دعا نوح على قومه فقال : {رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً } [2] ولـــو دعوت علينا مثلها لهلكنا عن آخرنا ، فلقد وطيء ظهرك وشج وجهك ، وكســـرت رباعيتك ، فأبيت أن تقول إلا خيراً ، فقلت : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

وتقاصرها عن إدراك خوفه ، وقد تقدم قوله : (أنا أعلمكم بالله وأشـــدكم لـــه خشية) [3].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من الخـــوف [4] ، وخوف الأنبياء والرسل عليهم السلام مع أنهم في كمال دائماً لرؤية الحال الأكمـــل ، إذ مامن مرتبة إلا فوقها مرتبة فيعدون لحالهم نقصاً ، فهو من باب حسنات الأبـــرار سيئات المقربين ، كما حمل عليه :{ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تـــأخر } [5] ،

١: سورة النساء – الآيـــة ١١٣ .

٢: سورة نوح – الآيـــة ٢٦ .

٣: مر تخريجـــه .

٤: في الحديث عن عبد الله بن الشخير عن أبيه قـــال : " كنـــت أتيـــت رســـول الله صلـــى الله عليـــه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كـــأزيز المرجـــل " رواه أبـــو داود في كتـــاب الصـــلاة بـــاب ١٦٢ البكاء في الصلاة ، حديث رقم ٩٠٤ ٢٣٨/١ بنحـــوه. والنســـائي في كتـــاب الســـهو – بـــاب ١٨ البكاء في الصلاة ١٣/٣ . والإمام أحمد في المســـند ٢٥/٤ – ٢٦ بنحـــوه . والحـــاكم في المســـتدرك ٢٦٤/١ . وابن حبان ، والبيهقي، والبغوي في شرح الســـنة وغـــيرهم .

٥: سورة الفتح – الآيـــة ٢ .

أو لأن العظمة تذهلهم عن التأمين،كما قاله السيوطي في قول يوسف عليه السلام:{توفني مسلماً }.

وتقاصرها عن رجائه : لأن الله تعالى أطلعه من سعة رحمته وفيضان كرمه وجوده مالم يطلع عليه أحداً ، كما هو أعرف الخلق بصفات الجلال المقتضية للخوف، فهو أيضاً أعرفهم بصفات الجمال المقتضية للرجاء ، ورجاء الكُمَّل على قدر خوفهم إذ هما كجناح الطائر ، وأيضاً : هو البشير والنذير .

وتقاصرها عن إدراك كنه عبوديته ، والعبودية شهود عظمة الربوبية ، وعدم الغفلة عنها ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم أعظم الخلق في هذا المعنى [1] .

وتقاصرها عن معرفة خصائصه : وقد ألف العلماء فيها [2]، ومالم يعرفوا أكثر مما عرفوا .

١: عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : " صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه، فقيل له : أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال: أفلا أكون عبداً شكورا؟ " .

رواه البخاري في كتاب التهجد باب ٦ – قيام النبي صلى الله عليه وسلم ، حديث رقم ١١٣٠ ٣/١٤ " إن كان النبي ليقوم – أو ليصلي – حتى ترم قدماه – أو ساقاه – فيقال له ، فيقول : أفلا أكون عبداً شكورا " . ورواه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب ١٨ – إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة . والترمذي في كتاب الصلاة ، باب ٣٠٤ – ما جاء في الاجتهاد في الصلاة ، وغيرهم .

٢: أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :-

١ – الإبريز الخالص عن الفضة في ابراز معنى الخصائص ، لعبد الرحمن البلقيني .
٢ – أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب ، للإمام السيوطي ، وهو مطبوع .
٣ – الأنوار بخصوصيات المختار ، للإمام العسقلاني .
٤ – بشرى الموحدين بخصائص سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، للإمام الحضراوي .

وتقاصرها عن معرفة زهده – أي : رفع همته عما سوى الله – ، ولقد أحسن البوصيري في قوله :-

وراودته الجبال الشم ...."الأبيات الثلاثة " [1] .

---

٥ – الخصائص النبوية ، للإمام السيوطي .
٦ – الدرر البهية في شرح الخصائص النبوية للعلامة الجاوي .
٧ – رفع الخصائص عن طلاب الخصائص لابن علان .
٨ – البحث الفاحص عن طرق أحاديث الخصائص ، للعلامة أحمد رضا البريلوي .
٩ – تلخيص خصائص النبي صلى الله عليه وسلم ، لعبد المجيد السيواسي .
١٠ – شفاء الصدور ، لابن سبع السبتي .
١١ – الدر الثمين في خصائص النبي الأمين ، لابن الجوزي .
١٢ – فتح الرؤوف المجيد في شرح الخصائص ، للمناوي .
١٣ – عياذ المستعيذين في بعض خصائص سيد المرسلين ، ليوسف الرندي .
١٤ – خلاصة الصفا في خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لابن سكان .
١٥ – خلاصة الوفا من خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لابن ميمون المالقي .
١٦ – روح البيان في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن ، لمحمود محمد حسان .
١٧ – ذكر ماأعطي به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من دون الأنبياء من جواز القسم ، للضياء المقدسي .
١٨ – روح اليقين في بعض مزايا سيد المتقين ، لابن المؤقت المراكشي .
١٩ – مواهب المجيب في خصائص الحبيب ، لأبي النجا أحمد الدمشقي .
٢٠ – مواهب الرحمن في خصائص حبيب الرحمن ، للقاوقجي .
٢١ – عنوان السعادة فيما خص به نبينا صلى الله عليه وسلم قبل الولادة ، لابن عقيلة .
٢٢ – الكوكب المنير نظم خصائص البشير ، لعبد الباقي بن محمد الاسحاقي .
٢٣ – كشف الأسرار في خصائص سيد الأبرار ، لولي الله الكهنوي .
٢٤ – مرشد المحتار إلى خصائص المختار ، لابن طولون .
٢٥ – غاية السول في خصائص الرسول ، لابن الملقن .

وغير ذلك كثير كثير مما وصل إلينا وأكثر منه مما لم يصل إلينا .
انظر للتوسع : معجم الموضوعات المطروقة في التأليف الإسلامي ، للعلامة عبد الله محمد الحبشي ، فقد أفاد وأجاد جزاه الله خيراً .

١: الأبيات في بردته المباركة حيث يقول رضي الله عنه :-

وراودته الجبال الشم من ذهب	عن نفسه فأراها أيما شمم
وأكدت زهده فيها ضرورته	إن الضرورة لاتعلو على العصم

ومن أسمائه صلى الله عليه وآله وسلم "الزاهد " .

وتقاصرها عن تواضعه : وفي الحديث : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابـــن مريم ، إنما أنا عبد الله ، فقولوا : عبد الله ورسوله) رواه الترمذي [1] .

وبقدر التواضع تكون الرفعة لأن : (من تواضع لله رفعه) [2] كما قيل :-

تواضع تكن كالبدر لاح لناظره   على صفحات الماء وهو رفيغ
ولا تكن كالدخان يعلو بنفثه   إلى صفحات الجو وهو وضيع

وتقاصرها عن إدراك شفقته ورحمته : وفي التنـزيل :{وما أرسـلناك إلا رحمـة للعالمين } [3] .

وفيه :{بالمؤمنين رؤوف رحيم} [4] .

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من   لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

١: رواه الترمذي في الشمائل ٤٠٤ ، ورواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ٤٨ قول الله تعالى { واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها } - الحديث رقم ٣٤٤٥ ، ٤٧٨/٦ بنحوه . وفي كتاب الحدود باب ٣١ رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت ، حديث رقم ٦٨٣٠، ١٢/ ١٤٤ - ١٤٥ ، ضمن حديث السقيفة الطويل .

والإمام أحمد في المسند ٢٣/١ ، بنحوه . والدارمي في كتاب الرقائق باب ٦٨ في قول النبي صلى الله عليه وسلم : "لاتطروني" ، حديث رقم ٢٧٨٤ ، ٤١٢/٢ ، والطيالسي ، والحميدي، وغيرهم .

٢: حديث :" من تواضع لله رفعه " رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ورمز السيوطي لحسنه . الجامع الصغير ٥١١/٢ الحديث رقم ٨٦٠٥ .

٣: سورة الأنبياء - الآية ١٠٧ .

٤: سورة التوبة - الآية ١٢٨ .

ولله در القائل :-

إذا رمت مدح المصطفى شغفاً به   تبلد ذهني هيبة لمقامه
فأقطع ليلي ساهر الجفن مطرقاً   هوى فيه أحلى من لذيذ منامه
إذا قال فيه الله جلَّ جلاله   رؤوف رحيم في سياق كلامه
فمن ذا يجاري الوحي والوحي معجز   لمختلفيه نثره ونظامه

وفي الحديث : (إنما أنا رحمة مهداة) [1] .

وتقاصرها عن إدراك جوده الحسي : قال جابر ، وأنس ، وسهل بن سعد : (ما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً فقال : لا) [2] .

وعن أنس : (أن رجلاً سأله فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى بلده وقال : أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى فاقة !!) [3] .

وقد أحسن حسان في قوله :-

له راحة لو أن معشار جودها   على البر كان البر أقوى من البحر

١: رواه ابن سعد ، والحكيم عن أبي صالح مرسلاً ، والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ورمز السيوطي لصحته " الجامع الصغير ٣٤٨/١ الحديث رقم ٢٥٨٣ " .

٢: رواه البخاري في كتاب الأدب ، باب ٣٩ ، حسن الخلق والسخاء ، ومايكره من البخل ، حديث رقم ٦٠٣٤ ، ٤٥٥/١٠ . ومسلم في كتاب الفضائل ، باب ١٤ ، ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال : لا . حديث رقم ٢٣١١ ، ١٨٠٥/٤ . والدارمي في المقدمة ، وأبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، والترمذي في الشمائل.

٣: أخرجه مسلم في صحيحه ، ٤٣ - كتاب الفضائل ١٤ ، باب ماسئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط ، فقال : لا ، وكثرة عطائه ، الحديث ٥٧ ، ص ١٨٠٦ . والإمام أحمد في المسند ١٠٨/٣ ، ١٧٥ ، ٢٥٩ ، ٢٨٤ . والبيهقي في دلائل النبوة ٣٢٧/١ .

له همم لامنتهى لكبارهـــا   وهمته الصغرى أجلُّ من الدهر

والمعنوي ؛ وهو هدايته لكل من اهتدى من الأنبياء والمرسلين وجميـــع عبـــاد الله الصالحين.

تنبيه :-

بقدر كمال المعرفة به صلى الله عليه وآله وسلم يكون تعظيمه والخضـــوع لـــه ، فخضوع الأكمل له أشد من خضوع الكامل ، وخضوع الكامل أشد من خضـــوع الناقص .

وفي لطائف المنن : أخبرني الشيخ مكين الدين الأسمر ـــ وهو الذي شهد له الشـيخ أبو الحسن بالخصوصية ـــ قال : دخلت مسجد نبي بالاسكندرية ، فوجـــدت النـــبي المدفون هناك قائماً يصلي ، وعليه عباءة مخططة ، فقال لي : تقدم فصلِّ ! ، فقلت له: تقدم أنت ، قال : بل تقدم أنت فإنك من أمة محمد صلى الله عليه وآله وســـلم ، ولا ينبغي لنا التقدم عليه . فقلت له : بحق هذا النبي إلا ما تقدمت فصليت . قال : فأنـــا أقولها له وهو أسرع إلي ووضع فمه على فمي إجلالاً للفظة النبي كـــي لا تـــبرز في الهواء. قال : فتقدمت فصليت !!.

فانظر هذا التعظيم من عظماء خواص الخلق ، وانظر أحوال الصحابة الذين هـــم أعرف الناس بعد الأنبياء كانوا ـ رضي الله عنهم – لا يتوضأ ـ صلى الله عليه وآلـــه وسلم – إلا ابتدروا وضوءه ، وكادوا يقتتلون عليه ، ولا يبصق بصاقاً ، ولا يتنخـــم نخامة إلا تلقوها في كفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ، ولا تسقط منه شـعرة إلا

ابتدروها ، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، ومـــا يمدون إليه النظر تعظيماً له ـــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – [1].

ويحتمل : أن تكون اللام بمعنى " في " الظرفية ، شبه صلى الله عليه وآلـــه وســـلم ببحر عظيم سبحت فيه الفهوم فخفيت ودقَّت ، ففي الكلام كناية وتخييل.

ويحتمل : أن تكون اللام تعليلية – أي : تصاغرت الفهوم لأجله خضوعاً وإذعاناً.

---

[1]: وانظر في هذا ما ذكره القاضي عياض رحمه الله في كتابه الشفاء في الجـــزء الأخـــير منـــه ، بـــاب وجوب تعظيمه صلى الله عليه وسلم ؛ ففيـــه الشـــفاء .

قوله رضي الله عنه :-

فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِنَّا سَابِقٌ وَلَا لَاحِقٌ

يحتمل أن يكون : " نا " ضمير العقلاء من الإنس والجن والملائكة . **ويحتمل** : أنه خاص ببني آدم ، إذ لايتوهم إدراكه غيرهم بحقيقته للمباينة في الجنسية . وعليه ... فإن أراد بالسابق : من سبق على وجوده الجسماني ، وباللاحق : ما تأخر عن وجوده الجسماني ؛ ففيه تغليب بالنسبة لمن أخر وجوده عن زمان الشيخ أو عدم إدخاله للعلم بعدم إدراكه بالمقايسة .

وإن أريدُ بالسابق : من سبق على زمن الشيخ ، وباللاحق : من تأخر عن زمانه ؛ فالتقدير : ولا يدركه لاحق . فالعطف جملي .

ويحتمل : أن يكون الضمير خاصاً بهذه الأمة ، فإن أريد بالسابق صدرها كالصحابة ، وباللاحق من بعدهم فلا إشكال . وإن أريد السابق واللاحق باعتبار زمان الشيخ فالعطف أيضاً جملي كما مر .

ويقال : كان القياس أن يقول لاحق ولا سابق . ليكون العطف مقيداً فإن عدم إدراك اللاحق أحرى . وأما على الوجهين الأولين فلأن معرفة الرسل أقوى ، وأما على الأخير فلأن معرفة الصحابة أقوى .

ويجاب : بأن المراد إفادة التعميم مع قصر النظر على الأولية .

وقيل : إن المراد السابق في العلم به ، واللاحق فيه . وفيه نظر .

قوله رضي الله عنه :-

فَرِيَاضُ الْمَلَكُوتِ بِزَهْرِ جَمَالِهِ مُونِقَةٌ ، وَحِيَاضُ الْجَبَرُوتِ بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ مُتَدَفِّقَةٌ

عالم الملك : حضرة الأجسام وهي مظهر الأفعال المشار إلى بعضها بقوله تعالى:{قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء }[١] إلخ ، أي : تغني من تشاء ، وتفقر من تشاء ، وتقوي من تشاء ، وتضعف من تشاء ، وتصحُّ من تشاء ، وتمرض من تشاء ، وتهدي من تشاء ، وتضل من تشاء ، إلى غير ذلك . وكلما كثرت الأجسام في محل كثر ظهور التصرفات فيه ، فمن ثم اختار الأئمة الكبار سكنى المدن والأمصار لما فيها من أنواع الاعتبار والاستبصار .

وعالم الملكوت : حضرة الأرواح ، وهي مظهر الصفات .

وعالم الجبروت : حضرة الأسرار ، وهي مظهر أسرار الذات .

شبه حضرة الأرواح بمتنزهات ، أي : أماكن مرتفعة فيها رياض ، استعارة مكنية وتخييلية .

وكذا شبه جماله صلى الله عليه وآله وسلم بعروس تلك الرياض وأثبت له الزهر مكنية وتخييلية .

١: سورة آل عمران – الآيـة ٢٦ .

وحاصل المعنى : أن عالم الملكوت مستنير بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ لولاه ما وجد ، وبه تشاهد الصفات التي هو ـــ أي عالم الملكوت ـــ مظهرها .

وأيضاً : فإن في عالم الملكوت الذي هو مسرح الأرواح من أنواع الجمال ما لايعلمه إلا الله ، وكلها مقتبسة منه صلى الله عليه وآله وسلم ؛ ففيه النيران الشمس والقمر ، وهما من نوره ، والبيت المعمور ، وهو من نوره صلى الله عليه وآله وسلم ، وسدرة المنتهى ، وقد جاء في الحديث : (فغشيها من أمر الله ما غشى، فتغيرت وصارت زمرداً وياقوتاً فما أحد يستطيع أن ينعتها من شدة حسنها) [1] .

وفي رواية : (غشيها أجراد من ذهب) .

وفي أخرى : (فراش من ذهب) وكل ذلك من نوره صلى الله عليه وآله وسلم .

وفيه : العرش والكرسي ، واللوح ، والقلم ، وهي من نوره صلى الله عليه وآله وسلم .

قال أبو حامد في الإحياء : للعرش ثمانون ألفاً من السرادق ، ولكل سرادق ثمانون ألف شرفة ، وعلى كل شرفة ثمانون ألف قمر يهلل الله تعالى ويسبحه ، ويقدسه ، لو برز منها قمر واحد إلى الدنيا لعبد من دون الله ، ولحرقها نوراً .

وفيه الملائكة : وهم جواهر نورانية بسيطة قدسية مقدسة عن الشهوات .

قال في المواهب : وروي (أن في السماء الدنيا وهي من ماء ودخان ملائكة وهم خلقوا من ماء وريح ، عليهم ملك يقال له الرعد ، وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقولون : سبحان ذي الملك والملكوت .

١: رواه مسلم في صحيحه ١/١٥٧ من كتاب الإيمان ٣٢ ، والبيهقي في الدلائل ٢/٣٧٢ .

وإن في الثانية ملائكة على ألوان شتى رافعين أصواتهم يقولون : سبحان ذي العزة والجبروت ، وإن فيها ملكاً نصف جسده من نار، ونصف جسده من ثلج ، فلا النار تذيب الثلج ، ولا الثلج يطفيء النار ، وهو يقول : يامن ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك .

وإن في الثالثة وهي من حديد ملائكة ذوي أجنحة ووجوه شتى وأصوات شتى، رافعي أصواتهم بالتسبيح يقولون : سبحانك اللهم أنت الحي الذي لا يموت ، وهم صفوف قيام كأنهم بنيان مرصوص لايعرف أحدهم لون صاحبه من خشية الله .

وإن في الرابعة وهي من نحاس ملائكة يضعفون على ملائكة الثالثة ، وكذلك كل سماء أكثر عدداً من السماء التي تليها ، وإن ملائكة السماء الرابعة قيام وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة ، يبعث الله الملك إلى أمر من أموره ، فينطلق الملك ثم ينصرف فلايعرف صاحبه الذي إلى جنبه من شدة العبادة ، وهم يقولون : سبوح قدوس ربنا الرحمن لاإله إلا هو .

وإن في الخامسة وهي من فضة ، ملائكة يزيدون على ملائكة الأربع سموات وهم سجود وركوع لم يرفعوا أبصارهم إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة قالوا : ربنا لم نعبدك حق عبادتك .

وإن في السماء السادسة وهي من ذهب جند الله الأعظم الكروبيون ، لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، عليهم ملك له [سبعون ألف ملك جنده ، وكل ملك منهم

جنوده] [1] سبعون ألف جناح ، وهم الذين يبعثم الله في أموره إلى أهل الدنيا رافعو أصواهم بالتسبيح والتهليل.

وإن في السماء السابعة وهي من ياقوتة حمراء من الملائكة ما يزيدون على ما تقدم، وعليهم ملك مقدم على سبعمائة ألف ملك ، منهم جنود مثل قطر السماء ، وتراب الثرى والرمل والسهل ، وعدد الحصى والورق ، وعدد كل خلق في السموات والأرض ، ويخلق الله تعالى في كل يوم ما يشاء، وما يعلم جنود ربك إلا هو .

وإن حملة العرش [ثمانية يتجاوبون] [2] لكل منهم وجوه شتى ، وأعين شتى في جسده لا يشبه بعضها بعضاً ، رافعة أصواهم بالتهليل ، ينظرون إلى العرش لا يفترون، ولو أن الملك منهم نشر جناحيه لطبق الدنيا بريشة من جناحه ، لا يعلم عددهم إلاَّ الله.

وإن حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت رخيم يقول أربعة منهم : سبحانك اللهم وبحمدك على حلمك بعد علمك ، وتقول أربعة : سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك) ، انتهى [3].

وكل ذلك من نوره صلى الله عليه وآله وسلم .

١: ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط ، واستكمل من " المواهب اللدنية " للعلامة القسطلاني.

٢: كما في المواهب .

٣: الحديث بطوله ذكره العلامة القسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٢/٧٥ – ٧٨ ، ولم يعزه ، وكان سبق للمصنف – أي القسطلاني في مواهبه – أن ذكر فقرات من هذا الحديث في مواضع أخرى من كتابه وأشار إلى وضعها، ولعل هذا الحديث موضوع ، والله أعلم .

وفيه الجنة ، وناهيك بما فيها من أنواع الجمال من القباب والقصور من اللؤلؤ والياقوت والزمرد ، وغير ذلك ، والأنهار من العسل والخمر وغيرهما، وأنواع اللبائس والطعام ، والحور العين ، والولدان ، والأكواب ، وما لا يعلمه إلا الله تعالى ، والجميع من نوره صلى الله عليه وآله وسلم .

وجمال ذلك كله وحسنه وبهاؤه وبهجته ، ونضارته ، مقتبسة من جمال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

وشبه الجبروت المنير به صلى الله عليه وآله وسلم ببحر على حافتيه رياض تسقى من حياضه ، ودل على ذلك بإضافة الحياض — جمع حوض — وهو مايجمع فيه الماء.

وشبهت أنواره صلى الله عليه وآله وسلم بالماء الساقي ، ودل ذلك بإضافة الفيض لها ، فالجبروت الذي هو حضرة الأسرار التي تشاهد فيها جمال الذات باعتبار مافيها من سعة المعارف والمواهب بحر ، وأنوار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ماؤه ، والحياض الساقية تستمد منه .

وحاصل المعنى : أن عالم الجبروت مبتهج ومشرق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ لولاه ماوجد ، وبه تشاهد أسرار الذات التي هي – أي : عالم الجبروت -. ويحتمل أن كلاً من الملكوت والجبروت في معناه .

وفي "الرياض" و "الحياض" استعارة تصريحية ، شبهت أرواح العارفين التي حضرتها الملكوت بالرياض ، وصرح بالمستعار ، وشبهت أسرارهم التي حضرتها الجبروت بالحياض ، وصرح أيضاً بالمستعار.

و" مونقة "، و" متدفقة" : ترشيح للاستعارتين . وظهر من هذا أن رياض الملكوت تسقى من حياض الجبروت .

ووجهه أن شهود الصفات الذي مظهره الأول إنما يكمل بشهود الذات الذي مظهره الثاني ، إذ به يحصل الفناء الأكبر .

فإن مراتب الفناء ثلاث :-

فناء في الأفعال : بأن تشهد أن لا فاعل إلا الله .

وفناء في الصفات : بأن تشهد أن لا عالم ولا قادر إلا الله ...وهكذا .

وفناء في الذات : بأن لا تشهد موجوداً إلا الله .

وهو معنى قول القائل :-

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى   فكان فناؤه عين الفناء

فتكميل شهودك الصفات إنما يكون في عالم الجبروت ، فلذلك جعل ساقياً لعالم الملكوت .

ويحتمل أن يكون في الكلام احتباك ، والمعنى : فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة، وحياضه بفيض أنواره متدفقة ، ورياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة وبزهر جماله مونقة ، فلكل من العالمين رياض وحياض ، وخص عالم الملكوت بالرياض وعالم الجبروت بالحياض كما مر .

وقد يقال في عالم الملك مايدرك بالحس والوهم ، وعالم الملكوت ما يدرك بالعقل والفهم ، وعالم الجبروت ما شأنه أن يدرك بالحس وما فيه ، أو يدرك بالعقل ومامعه

[......] [1] كما في الجنة مما لم تصل إليه وهماً ولا فهماً ، إذ فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وسيرى ويسمع ، ويعرف .

ويقال : الملك ماظهر ، والملكوت ما بطن ، والجبروت جامع بينهما . الإنسان ظاهره ملك ، وباطنه ملكوت ، وحيث جميع بينهما كان جبروتياً، وهذه العوالم الثلاثة أيضاً بالنبي أشرقت ، وتهيأت للإدراك ، وتزينت ، فبمدده الساري أدرك الحس والوهم والعقل والفهم .

ثم هذا الكلام كالدليل قبله ، أي : إنما تصاغرت الفهوم عن إدراكه صلى الله عليه وآله وسلم لأن العقول قاصرة عن الإحاطة بالملكوت والجبروت ، وأنواره هي المبثوثة فيهما ، والمزينة لهما ، فما لم يحط بهما لم يحط به .

١: هنا في الأصل المخطوط كلمتان مطموستان لم أهتد إليهما .

قوله رضي الله عنه :-

وَلاشَيْءَ إِلا وَهُوَ بِهِ مَنُوطٌ إِذْ لَوْلا الوَاسِطَةُ لَذَهَبَ كَمَا قِيلَ المَوْسُوطُ

هذا تعميم بعض التخصيص ، كأنه يقول : بل لا شيء من الأشياء من إنس ، وجن ، وملك ، وحي ، وجماد ، وسفلي ، وعلوي ، ومحسوس ، ومعقول ، إلا وهو مرتبط بالنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ومتعلق به من جملة الوجود والإمداد، وبالجملة فنعمتان ماخلا كل موجود عنهما ، ولابد لكل مكوَّن منهما : نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد - كما في الحِكَم - .

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الواسطة فيهما ، إذ لولا سبقية وجوده ما وجد موجود ، ولولا سريان نوره في الكون لانهدمت دعائمه .

فإن قيل : إذا كان كذلك فكيف بقي الوجود بعد موته ؟

قلنا : موت الأنبياء إنما هو انتقال من دار إلى دار ، وهم بعد الموت أحياء على الحقيقة .

ونقل السبكي في طبقاته : عن ابن فورك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حي في قبره . ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبد الآباد على الحقيقة لا المجاز .

وفي المواهب : لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لأمته ، ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم .

وروى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب : " ليس من يوم إلا ويعرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعمال أمته غدوة وعشية ، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم ، فلذلك يشهد عليهم ، انتهى " .

يشير إلى قوله تعالى :{ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا}[١] ، وقوله :{ ويكون الرسول عليكم شهيداً }[٢] .

وقال السيوطي : حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قبره هو وسائر الأنبياء معلوم عندنا قطعاً لتواتر الأخبار بذلك .

ثم استدل بما في مسلم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (مر ليلة الإسراء بموسى يصلي في قبره)[٣] . وما في البخاري عن عمار أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إن لله ملكاً أعطاه أسماع الخلائق قائماً على قبري ، فما واحد يصلي عليَّ صلاة إلا بلغنيها)[٤] .

١: سورة النساء - الآية ٤١ .

٢: سورة البقرة - الآية ١٤٣ .

٣: رواه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان ، ٧٤ ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، الحديث ٢٧٢ ، ١/١٥٤ .

٤: حديث :" إن لله تبارك وتعالى ملكاً أعطاه أسماع الخلائق فهو قائم على قبري إذا مت ، فليس أحد يصلي علي صلاة إلا قال : يامحمد صلى عليك فلان بن فلان ، قال : فيصلي الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا " .

وناهيك في استيفاء الموجودات إليه أن العقول منه تستمد ، وأن العالم بأسره مرحوم به ، ولله در القائل :-

ما أرسل الرحمن أو يرسل
من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه
من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى عبده
نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها
يعلم هذا كل من يعقل[1]

أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني بسنده عن نعيم بن ضمضم ، وذكره ابن القيم في جلاء الأفهام ٥٥ . وأخرجه الطبراني والبزار كما في مجمع الزوائد ١٠/١٦٢ من حديث عمار ، ومداره على نعيم بن ضمضم .

١: وهذه القصيدة من أحسن الاستغاثات بالنبي صلى الله عليه وسلم على ما ذكره العلامة النبهاني رضي الله عنه في كتابه سعادة الدارين ، وهي لسيدي العارف بالله تعالى محمد بن أبي الحسن البكري المصري رضي الله عنه ونفعنا بمحبته، وقال العلامة النبهاني بعدها : وقد رأيت في بعض المجاميع أن من كانت له حاجة فليقم في الثلث الأخير من الليل ويصلي ماشاء الله أن يصلي ، ثم يقرأ هذه الاستغاثة ويكرر قوله " عجل بإذهاب الذي أشتكي " سبعين مرة ، فإنها تقضى حاجته بإذن الله تعالى ، وإليك أخي المحب نص القصيدة إتماماً للفائدة والتماساً للبركة ، قال رضي الله عنه:-

ماأرسل الله أو يرسل   من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه   من كل ما يختص أو يشمل

ومن جملة العالمين العرش على عظمته : قال ابن عباس ومجاهد : "السموات السبع، والأرضون السبع في جنب الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض " ونحوه في حديث أبي ذر .

وقال بعض العلماء : للعرش ثلاثمائة وستون قائمة ، وعرض كل قائمة عرض الدنيا سبعين ألف مرة ، وبين كل قائمة وقائمة ستون ألف صحراء ، وفي كل صحراء ستون ألف عالم ، وكل عامل كالثقلين من الجن والإنس .

إلا وطه المصطفى عبده   نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها   يعلم هذا كل من يعقل
فلذ به من كل ما تختشي   فإنه المرجع و الموئل
وحط أحمال الرجا عنده   فهو شفيع دائماً يقبل
وعذ به في كل ما ترتجي   فإنه المأمن والمعقل
وناده إن أزمة أنشبت   أظفارها واستحكم المعضل
يا أكرم الخلق على ربه   وخير من فيهم به يسأل
قد مسني الكرب وكم مرة   فرجت كرباً بعضه يذهل
فبا الذي خصك بين الورى   برتبة عنها العلا تنزل
عجل بإذهاب الذي أشتكي   فإن توقفت فمن أسأل
فحيلتي ضاقت وصبري انقضى   ولست أدري ما الذي أفعل
ولن ترى أعجز مني فما   لشدة أقوى ولا أحمل
فأنت باب الله أي امريء   أتاه من غيرك لا يدخل
عليك صلى الله ما صافحت   زهر الروابي نسمة شمأل
مسلّماً مافاح عطر الحمى   وطاب منه النّدّ والمندل
والآل والأصحاب ما غردت   ساجعة أملودها مخضل

سعادة الدارين للعلامة النبهاني صفحة ٥٣٤ .

وفي الترمذي من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضي الله عنهم : "أن ملكاً يسمى خرافيائيل طار مقدار عشرين ألف سنة فلم ينل قائمة من قوائم العرش"[1].

وفي التحبير للقشيري : أن ملكاً قال : يا رب أريد أن أرى العرش فزد في قوتي حتى أدرك العرش فخلق الله له ثلاثين ألف جناح ، فقال سبحانه ــ وهو أعلم ــ هل بلغت إلى أعلى العرش ؟ فقال : لم أقطع بعد قائمة العرش ، فاستأذن أن يعود إلى مكانه فأذن له .

وفي كلام بعض أهل الإشارات : لما انتهى صلى الله عليه وآله وسلم إلى العرش تمسك العرش بأذياله وناداه بلسان حاله : يا محمد أنت في صفائك آمناً من منعتك وأشهدك جمال أحديته ، وأطلعك على جمال صمديته ، وأنا الظمآن إليه ، اللهفان عليه ، المتَحير فيه ، لا أدري من أي وجه آتيه ، جعلني أعظم خلقه فكنت أعظمهم منه هيبة ، وأكثرهم فيه حيرة ، فيامحمد ، خلقني فكنت أرعد لهيبة جلاله فكتب على قائمتي لا إله إلا الله فازددت لهيبة الله ارتعاداً وارتعاشاً ، فكتب : محمد رسول الله فسكن لذلك قلقي ، وهدأ روعي ، فكان اسمك لقاحاً لقلبي ، وطمأنينة لسري ، فهذه بركة اسمك علي ، فكيف إذا وقع جميل نظرك إلي ؟ ، يا محمد أنت المرسل رحمة للعالمين ، ولا بد لي من نصيب من هذه الرحمة ، ونصيبي يا حبيبي أن تشهد لي بالبراءة مما نسبه أهل الزور إلي ، وتقوّله أهل الغرور علي، زعموا أني أسع من لا مثل له ، وأحيط بمن لا كيف له ، يا محمد من لا حد لذاته ، ولا حد لصفاته ، كيف يكون

١: لم أجده فيما لدي من مصادر ، ولعله يقصد نوادر الأصول للحكيم الترمذي ، والله أعلم بصحته .

مفتقراً إلي ؟ أو محمولاً علي ؟ أوجدني رحمة منه وفضلاً ، ولو محقني لكان حقاً منه وعدلاً ، يا محمد ...أنا محمول قدرته ، ومعمول حكمته .

فأجابه لسان حال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم : أيها العرش إليك عني ، أنا مشغول عنك ، ولا تكدر علي صفوتي ، ولا تشوش علي خلوتي ، فما أعاره صلى الله عليه وآله وسلم منه طرفاً ، ولا أقرأه من مسطور ما أوحي إليه حرفاً ،{ما زاغ البصر وما طغى } ، انتهى باختصار.

وكذا كل الملائكة ومنهم جبريل على عظمته .

سئل بعض المشايخ عن عظمة الله عز وجلّ ؟ فقال : ما تقول فيمن له عبد يسمى جبريل له ستمائة جناح ، لو نشر جناحين منهما لستر الخافقين؟!! .

وروي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبريل : هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال : نعم ، كنت أخشى العاقبة ثم أمنت بها من ثناء الله علي بقوله :{ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثَمَّ أمين }[1] .

وقوله : " شيء " مخصوص زائد على الإيجاد والإمداد الشاملين ، ولذلك أجابه بالحظ المخصوص واقتصر على هذا لأنه أسنى المطالب .

وقال الشيخ أبو العباس المرسي : جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة ، ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو عين الرحمة .

قال تعالى :{ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين }[2] .

١: ذكره القاضي عياض في الشفاء ١٨٧/١ .

٢: سورة الأنبياء – الآية ١٠٧ .

ولبعض أهل الإشارات : " ميم " اسم محمد الأولى إشارة إلى الملك الأول وهو الدنيا ، والثانية إشارة إلى الملك الثاني وهو الآخرة ، و" الحاء" إشارة إلى الرحمة ، وسطت بينهما تنبيهاً على أن الملكين يتجاذبانها ، فيستمدان منها ، و" الدال " إشارة للدوام جاءت بعد ميم الملك الثاني ، إشارة إلى تأييده .

وفي الحديث : (أنا نبي الرحمة) [١] ، وتقدم حديث : (إنما أنا رحمة مهداة) . ولأمته من هذه الرحمة الحظ الأوفر ، وفي الحديث : (أمتي أمة مرحومة) [٢] .

وفي حديث أنس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وآله وسلم : (ألا إني لكم بمكان صدق حياتي ، وإذا مت ، فقال عمر : ماذا تصنع إذا مت ؟ قال : لا أزال أنادي في قبري رب أمتي أمتي حتى ينفخ في الصور النفخة الثانية) [٣] .

١: عن حذيفة رضي الله عنه قال : لقيت النبي صلى الله عليه وسلم في بعض طرق المدينة ، فقال : " أنا محمد ، وأنا أحمد، وأنا نبي الرحمة ، ونبي التوبة ، وأنا المقفى ، وأنا الحاشر ، ونبي الملاحم".

رواه أحمد في المسند ٥/٤٠٥ ، وابن الأعرابي في معجمه ، حديث رقم ٣٠٢ ، ٢/٣٣٧ ، والبزار ٢٣٧٨ ، والبغوي في شرح السنة ٣٦٣١ ، ١٢/٢١٢ ، وفي الشمائل للترمذي حديث رقم ٣٦٩.

٢: حديث :" أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة إنما عذابها في الدنيا ؛ الفتن ، والزلازل، والقتل ، والبلايا " .

رواه أبو داود في سننه ، والطبراني في الكبير ، والحاكم في المستدرك ، والبيهقي في الشعب ، كلهم عن أبي موسى ، ورمز السيوطي لصحته .

" الجامع الصغير ١/٢١٦ الحديث رقم ١٦٢٢" .

٣: رواه الحكيم الترمذي عن أنس ، " كنز العمال ١٤ /٤١٤ الحديث رقم ٣٩١١٤ " .

وفي روضة الأزهار لسيدي عبد الرحمن الثعالبي [١] عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طيب النفس قلت: يا رسول الله ادع لي. فقال : (اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر ، وما أسرَّت وما أعلنت، فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك ، فقال لها : أيسرك دعائي ؟ فقالت : ومالي لا يسرني دعاؤك ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : والله إنها كدعائي لأمتي في كل صلاة) رواه ابن حبان في صحيحه ، انتهى [٢] .

وعن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت : قمت ذات ليلة أطلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد خرج من البيت فوجدته بالبقيع قائماً يقول : يا رب أمتي ، وساجداً : يا رب أمتي . فقلت : يا رسول الله وأين القرآن ؟ فقد نسيته لأجل هذه الأمة ، فلما سمع كلامي قال : يا عائشة أتعجبي من هذا ؟ أقول ما دمت في الحياة : يا رب أمتي ، يا رب أمتي . فإذا دخلت في القبر ، قلت : يا رب أمتي ، فإذا نفخ في الصور أقول : يا رب أمتي .

١: الشيخ الحافظ المتفنن المفسر المتقن العارف المتمكن سيدي عبد الرحمن الثعالبي – رحمنا الله به – نسبة إلى دير الثعالب ، نشأ بالأندلس ثم رحل في طلب العلم إلى مصر والحجاز والشام والحرمين ، ثم رجع إلى إفريقيا واستوطنها ، ونشر بها من العلوم ما جل عن الحصر ، توفي رضي الله عنه سنة ٨٧٥ هجرية.

موسوعة أعلام المغرب – تذكرة المحسنين – ٢/٧٨١ .

٢: ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٤٣ .

ولهذا ونحوه تعلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أحسن إلينا إحساناً لا يماثله إحسان محسن من آبائنا وأحبابنا ، وأقاربنا ، إذ هو السبب في وجودنا، وبقاء مهجنا وأرواحنا ، وتخليدنا في النعيم المقيم إن شاء الله تعالى.

ولعجزنا عن مكافأته على عظيم إحسانه ، أسندنا الصلاة عليه إلى خالقه تعالى ، القادر على كل إحسان .

ومن عرف أن كل خير ديني أو دنيوي إنما وصل إلينا على يده صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن الإحسان الذي توسط لنا فيه لا يماثله إحسان ، أحبه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لا محالة ، ففي الحديث : (جبلت القلوب على حب من أحسن إليها)[1] ، والمحسن وإن كان هو الله تعالى:{وما بكم من نعمة فمن الله }[2] لكن المسبب يتوقف على السبب ، والموسوط يتوقف على الواسطة ؛ فلولا الواسطة لذهب الموسوط .

وقوله : (كما قيل) لم يرد تضعيفاً بل أشار إلى أنه مقول مشهور بين العقلاء ، وهو ثابت في الحديث .

- **والناس متفاوتون في محبته صلى الله عليه وآله وسلم** بحسب استحضار ما وصل إليهم من جهته عليه الصلاة والسلام من النفع الشامل لخير الدارين ، والغفلة عن ذلك

١: حديث : (جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها) رواه ابن عدي وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب ، عن ابن مسعود ، وصحح البيهقي وقفه ، ورمز السيوطي إلى ضعفه ." الجامع الصغير ١/٤٨٨ الحديث رقم ٣٥٨٠ " .

٢: سورة النحل – الآية ٥٣ .

ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم من هذا المعنى أتم لأن هذا ثمرة المعرفة وهم بها أعلم .

وقد روى ابن اسحق كما في الشفاء ــ أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالت: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ، قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تحبين ، فقالت: أرونيه حتى أنظر إليه . فلما رأته قالت :كل مصيبة بعدك جلل ــ تعني صغيرة ــ [1].

ورواه البيهقي في الدلائل .

وفي لفظ عند صاحب اللباب : حتى ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأخذت بناحية ثوبه ، ثم جعلت تقول : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا أبالي إذا سلمت !!!! .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحب إلينا من أموالنا ، وأولادنا ، وأمهاتنا ، ومن الماء البارد [على الظمأ] .

وذكر عياض أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله لأنت أحب إلي من أهلي ومالي ، وإني لأذكرك ، فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك ، وإني ذكرت موتي وموتك ، فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإذا دخلت لا أراك ، فأنزل الله تعالى :{ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم

١: رواه ابن هشام في السيرة ٣/٤٢-٤٣ ، ونقله ابن كثير في التاريخ ٤/٤٧ ، والبيهقي في دلائل النبوة ٣/٣٠٢ .

الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا} [1] فدعا به فقرأها عليه [2].

وفي حديث آخر : (كان رجل عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينظر إليـــه لا يطرف ، فقال : ما بالك ؟ فقال : بأبي أنت وأمي أتمتع من النظر إليك ، فإذا كـــان يوم القيامة رفعك الله بفضله ، فأنزل الله الآية) [3].

وفي تفسير البغوي : نزلت الآية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليـــه وآلـــه وسلم، وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قليل الصبر عنـــه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ، يعرف الحزن في وجهه ، فقال له رسول الله صلـــى الله عليه وآله وسلم : ما غير لونك ؟ فقال : يا رسول الله ما بي من وجع ولامرض ، غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى أراك ، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين ، وإني إن دخلت الجنة في منـــزلة أدنى من منـــــزلتك ، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً ، فنـــزلت هذه الآية .

وكذا ذكره الواحدي في أسباب النـــزول ، وعزاه للكلبي عن ثوبان .

وذكر مقاتل بن سليمان مثل هذا ، وأن الرجل هو **عبد الله بن زيد الأنصـــاري** ، وهو الذي كان يعمل في جنة له ، فأتى ابنه فأخبره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم توفي ، فقال : اللهم أذهب بصري حتى لا أرى بعد حبيبي أحداً ، فكفَّ بصره ! .

١: سورة النساء – الآيـــة ٦٩ .

٢: رواه الطبراني وابن مردويه عن عائشة وابن عباس رضــــي الله عنـــهما ، وقـــال البغـــوي : إن الآيـــة الآتية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونقلـــه عيـــاض في الشـــفا ٣/٥٤٧.

٣: أي الماضية تسلية لما سيأتي من أحوالـــه .

ومن علامات محبته صلى الله عليه وآله وسلم كثرة ذكره ، إذ : (من أحـــب شيئاً أكثر من ذكره) [1] ، حتى قيل : المحبة دوام الذكر للمحبوب .

ولآخر : ذكر المحبوب على عدد الأنفاس .

ولآخر : للمحب ثلاث علامات أن يكون كلامه ذكر المحبوب ، وصمته فكر فيه، وعمله متابعة له .

ومن علامات محبته أيضاً : تعظيمه عند ذكره ، والخضوع والانكســـار لســـماع اسمه.

كان جعفر بن محمد [2] كثير الدعابة والتبسم ، فإذا ذكر عنده النبي صلـــى الله عليه وآله وسلم اصفرَّ لونه .

وكان عبد الرحمن بن القاسم [3] إذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم نظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم ، ويجف لسانه في فمه هيبة رسول الله صلى الله عليه وآلـــه وسلم .

١: رواه الديلمي في مسند الفردوس بسنده عن عائشة رضي الله عنـــها ، ورمـــز السيوطـــي لضعفـــه " الجامع الصغير ٢/٤٧٨ الحديث رقـــم ٨٣١٢ .

٢: هو جعفر بن محمد الصادق ، ومحمد هو الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحســـين بـــن علـــي بـــن أبي طالب رضي الله عنـــهم .

٣: ابن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أحد فقهاء المدينـــة ، تـــوفي رحمـــه الله ســـنة إحـــدى وثلاثين ومائة ، وأبوه أحد فقهاء المدينـــة الســـبعة .

وكان عبد الله بن الزبير[1] إذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع .

ومن علامات محبته صلى الله عليه وآله وسلم كثرة التشوق إلى لقائه:

إذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه حتى قيل : المحبة الشوق إلى المحبوب .

لما احتضر بلال نادت امرأته : واحسرتاه ، فقال : واطرباه غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه .

ولسيدي عبد السلام جسوس [2] :-

أيا أمة المختار يا خير أمة
تجافوا عن الدنيا وحنوا إلى القرب
ألستم بدار لا ترون حبيبكم
وكيف يطيب العيش دون لقا الحب؟

ومن ذاق طعم المحبة اشتاق ، وتأججت نيران الحب والطلب في قلبه ، ويجد الصبر عن محبوبه من أعظم كبائره ، كما قيل :-

الصبر محمود في المواطن كلها   إلا عليك فإنه لايحمد

١: في شفاء القاضي عياض :" عن الإمام مالك : ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير " انظر : نسيم الرياض شرح الشفاء للخفاجي ٣/٤٠٠ .

٢: العلامة الفقيه الأكبر المحدث الصوفي الشهيد الناسك الأبر أبو محمد عبد السلام بن أحمد جسوس ، توفي قتيلاً ليلة الخميس آخر ربيع النبوي الأنور سنة ١١٢١ هجرية .
" موسوعة أعلام المغرب ٥/١٩٤٢ " .

وعن زيد بن أسلم : خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس ، فرأى مصباحاً في بيت وإذا عجوز تنفش صوفاً وتقول :-

على محمد صلاة الأبرار   صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت بكّاءً قوّاماً بالأسحار   يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فجلس عمر يبكي ، ثم قام إلى باب خيمتها فقال : السلام عليكم ــ ثلاث مرات ــ ثم قال : أعيدي عليَّ قولك ، فأعادته بصوت حنين ، فبكى وقال لها : وعمر لا تنسيه يرحمك الله . فقالت :-

" وعمر فاغفر له يا غفار "

وقد حكي أنه رؤيت امرأة مسرفة على نفسها بعد موتها ، فقيل لها : ما فعل الله بك ؟ قالت : غفر لي . قيل : بماذا ؟ قالت : بمحبتي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وشهوتي النظر إليه ، فنوديت : من اشتهى النظر إلى حبيبنا نستحي أن ننزل به عذابنا ، بل نجمع بينه وبين من يحبه .

ومن علامات محبته صلى الله عليه وآله وسلم حب القرآن : الذي أتى به وهدى به واهتدى به وتخلق به ، وإذا أردت أن تعرف ماعندك وعند غيرك من محبة الله ورسوله ؛ فانظر محبة القرآن من قلبك ، والتذاذك بسماعه، أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء والطرب بسماعهم ، فإنه من المعلوم أن من أحب محبوباً كان كلامه وحديثه أحب شيء إليه ، كما قيل :-

إن كنت تزعم حبي   فلم هجرت كتابي
أما تأملت ما فيه من لذيذ خطابي

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله، وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه ؟ .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن مسعود : اقرأ عليّ. قال: أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : إني أحب أن أسمعه من غيري ، فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى بلغ :{ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً}[1] ، قال : حسبك . فرفع رأسه فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تذرفان من البكاء)[2] رواه البخاري .

وهذا يجده من يسمع الكتاب العزيز بأذن قلبه ، قال الله تعالى :{ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق}[3] .

وكان الصحابة إذا اجتمعوا وفيهم أبو موسى ، يقولون : يا أبا موسى ذكّرنا ربنا، فيقرأ وهم يسمعون .

فلمحبي السماع القرآني من الوجد والذوق والحلاوة والسرور أضعاف ما لمحبي السماع الشيطاني .

١: سورة النساء – الآية ٤١ .

٢: رواه البخاري في صحيحه، ومسلم ، وأبو داود عن ابن مسعود " كنز العمال ١/٦١٤ الحديث رقم ٢٨٢٦".

٣: سورة المائدة – الآية ٨٣ .

ومن علامات محبته صلى الله عليه وآله وسلم محبة سنته ، وقراءة حديثه :

فإن من دخلت عليه حلاوة الإيمان في قلبه ، إذا سمع كلمة من كلام الله أو من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شربتها روحه وقلبه ونفسه، ويقول :-

أشم منك نسيماً لست أعرفه

كأن محياه جرت [..][1] أردانا

فتعمه تلك الكلمة وتشمله ، فتصير كل شعرة منه سمعاً ، وكل ذرة منه بصراً ، فيسمع الكل بالكل ، ويبصر الكل بالكل ، ويقول :-

لي حبيب خياله نصب عيني — سره في ضمائري مدفون

إن تذكرته فكلي قلوب — وإن تأملته فكلي عيون

ومن أقوى أسباب إثارة الحب وتهييج الشوق سماع الصفات النبوية والشمائل المحمدية الزكية :

كما قيل :-

إذا ذكرت شمائل من إليه

نظمت بين الورى خير الشمائل

رأيت العاشقين تميل وجداً

كأغصان تحركها الشمائل

١: مابين المعقوفتين كلمة مطموسة لم أتبينها .

ولسيدي عبد الرحيم البرعي رحمه الله تعالى :-

وتأخذ قلبي نشوة عند ذكركم
كما ارتاح صب خامرته خمور
أصوم عن الأغيار طراً وذكركم
سحور لصومي في الهوى وفطور
ومدح رسول الله أصل سعادتي
أفوز به يوم السماء تمور
نبي تقي أريحي مهاب
بشير لكل العالمين نذير
إذا ذكر ارتاحت قلوب لذكره
وطابت نفوس وانشرحن صدور

وللشيخ أبي مدين الغوث رضي الله عنه :-

يحركنا ذكر الأحاديث عنكم
ولولا هواكم في الحشا ماتحركنا

ولاسيما إن كانت تلك الصفات الجميلة الجليلة منظمة في سلوكها .

وفي البردة :-

فالدر يزداد حسناً وهو منتظم ... وليس ينقص قدراً غير منتظم

وفي الهمزية ، للناظم أيضاً رضي الله عنه :-

فتنزه في ذاته ومعانيه ... استماعاً إن عزَّ منه اجتلاء

واملأ السمع من محاسن يمليها ... عليك الإنشاد والإنشاء

ولا سيما الأصوات المطربة ، والألحان المعجبة .

وذكر الإمام أحمد وغيره : أن الله تعالى يقول لداود : مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا . فيقول : كيف وقد أذهبته ؟ فيقول : أنا أرده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده ، فإذا سمع أهل الجنة صوته استفرغ نعيم أهل الجنة .

تنبيه :-

من اتصف بهذه العلامات التي ذكرناها فهو كامل المحبة لله ولرسوله ، ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة ، ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله صلى الله عليه وآله وسلم للذي حدَّه في الخمر لما لعنه بعضهم وقال : " ما أكثر ما يؤتى به ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله"[١] .

وفيه ردٌّ على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه ، وثبوت الأمر بالدعاء له .

١: رواه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وصاحب القصة اسمه عبد الله الملقب بالحمار كذا وقع في صحيح البخاري ، وهو صاحب مزاح كان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم ويضحكه ، وقد أورد القصة أيضاً القاضي عياض في شفائه ٣/٥٦٧ . وفي كلام الدمياطي في حواشيه على البخاري أن هذا وهم منه فإن صاحب القصة نعيمان - تصغير نعمان - بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن غنم بن مالك بن النجار ، شهد العقبة مع السبعين ، وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد ، وأتي به في شرب الخمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجلدوه أربعاً أو خمساً ، فقال رجل من القوم : اللهم العنه ما أكثر مايشرب ، وأكثر ما يجلد !! فقال عليه الصلاة والسلام : لاتلعنه فإنه يحب الله ورسوله . وكان صاحب مزاح ، انتهى . وقال الواقدي : بقي نعيمان حتى توفي أيام معاوية ، وكان كثير المزاح يضحك النبي صلى الله عليه وسلم من مزاحه ، انتهى . انظر شرح الشفاء لملا علي القاري ٣/٥٦٧ .

وفيه أنه لا تنافي بين ارتكاب المنهي ، وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب ، وأن من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله . وقول من قال [1] :-

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

مراده الحب الكامل ، لكن ينبغي أن يقيد ثبوت محبة الله ورسوله في قلب العاصي بما إذا ندم ، وأما إذا لم يبال بذلك و لم يعبأ به ، فهذا يخشى أن يطبع الله على قلبه.

تنبيه آخر :-

في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده) [2] .

وفي صحيح ابن خزيمة : (من أهله وماله) .

وفي رواية أخرى زيادة (والناس أجمعين) .

وفي البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي . فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه . فقال عمر : والذي أنزل عليك

[1] : قيل القائل رابعة العدوية ، وفي الإحياء : عبد الله بن المبارك .

[2] : حديث : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) رواه الشيخان في صحيحيهما والنسائي في سننه ، والإمام أحمد في المسند ، وابن ماجة في سننه عن أنس رضي الله عنه " الجامع الصغير ٢/٦٤٩ الحديث رقم ٩٩٣٩ " .

الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الآن يا عمر) انتهى .

ولعله رضي الله عنه استصغر ذاك إلا من نفسه قبل أن يراجع وجدانه ، وتثبت وجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحب إليه من نفسه أيضاً فأخبره بذلك ، والله أعلم .

تنبيه آخر :-

اختلف العلماء : هل المحبة أرفع أو الخلة ؟ واحتج لأرفعية المحبة بأن الحبيب وصل إليه به لقوله تعالى :{ فكان قاب قوسين أو أدنى } [1] ، والخليل بالواسطة لقوله تعالى:{ وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض } [2] ، والخليل قال : {لاتخزني} [3] ، والحبيب قيل له :{ يوم لا يخزي الله النبي } [4] ، والخليل قال في المحنة:{حسبي الله } ، والحبيب قيل له:{ يا أيها النبي حسبك الله } [5] ، والخليل مغفرته في حق الطمع لقوله:{والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين} [6] ،

[1] : سورة النجم – الآية ٩ .

[2] : سورة الأنعام – الآية ٧٥ .

[3] : في قوله تعالى :{ ولاتخزني يوم يبعثون } سورة الشعراء – الآية ٨٧ .

[4] : سورة التحريم – الآية ٨ .

[5] : سورة الأنفال – الآية ٦٤ .

[6] : سورة الشعراء – الآية ٨٢ .

والحبيب مغفرته متيقنة لقوله تعالى :{ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر }[١]، وفيه نظر لأن هذه الفروق ليست راجعة إلى مفهومي الخلة والمحبة والكلام في ذلك.

والصحيح : أن الخلة أفضل لأنها أخص ، إذ هي نهاية المحبة ، ولهذا نفى صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون له خليل غير ربه مع إخباره بحبه لعائشة ولأبيها ولعمر وغيرهم رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين [٢].

وتحمل المحبة من الله في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث اتخذه حبيباً على نهايتها ، فتكون مساوية للخلة .

ففي بعض أحاديث الإسراء أن الله تعالى قال : يا محمد سل . قال : يا رب إنك اتخذت ابراهيم خليلاً ، وكلّمت موسى تكليماً ، فقال له تعالى : ألم أعطك خيراً من هذا ....إلى قوله : واتخذناك حبيباً ، أو ما في معناه) ، رواه البيهقي .

قال الزركشي في شرح البردة : وقد صح أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلاً) [٣].

ويدل أيضاً على أن الخلة أخص ، أنه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب المتقين ويحب المقسطين ، وخلته خاصة بالخليلين.

١: سورة الفتح – الآية ٢ .

٢: وقد عقد القاضي عياض في كتاب الشفاء فصلاً كاملاً في تفضيله بالمحبة والخلة ، فانظره " نسيم الرياض في شرح الشفاء للخفاجي ٢/٣٢٥ .

٣: حديث : (إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلا ، وإن خليلي أبو بكر) رواه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي أمامة ، ورمز السيوطي لضعفه " الجامع الصغير ١/٢٢١ الحديث رقم ١٦٦١".

ثم الناس في شهود واسطته صلى الله عليه وآله وسلم على أربع مقامات: كما قال الشيخ [عبد الله بن] عبد الرزاق العثماني [١] :-

الأول : موقف أهله شهود شريعته ، وهو لعامة المؤمنين .

الثاني : موقف أهله شهود ذاته وهو للأولياء والصالحين .

الثالث : موقف أهله شهود روحه وهو للشهداء والصديقين .

الرابع : موقف أهله شهود سره وهو للأنبياء والمرسلين .

وأهل هذه المواقف كلها معترفون بقصورهم عن نيل ما خص به صلى الله عليه وآله وسلم منها :

أما من كان معتمده شريعته : فهو واقف مع شهود وتكليف ، وعلى القطع لم يطق الاحتواء على جميع لوازمها ولاالقيام بشروط قاعدة واحدة من قواعدها ، ففي الحديث : (إن هذا الدين متين خذوا منه ما استطعتم ، ولن يشاد هذا الدين أحدٌ إلا غلبه) [٢]، ولم يقم بجميع اللوازم والحقوق إلا هو صلى الله عليه وآله وسلم .

١: الشيخ العارف المنور الصوفي المفتوح عليه المترجم المؤلف المحقق أبو محمد عبد الله بن عبد الرزاق بن عبد العظيم العثماني – نسبة إلى العثامنة وهم بطون من مختار أحد القبائل الذين بحوز مكناسة الزيتون، منهم الشيخ ابن غازي رحمه الله ، ولد رضي الله عنه في حدود سنة خمس وأربعين وتسعمائة من الهجرة ، وتوفي خامس ربيع الأول سنة سبع وعشرين وألف ، كتب بيده المباركة مايزيد على السبعين مصحفاً من كتاب الله ، وحفظ على يديه جماعة من خلق الله، فهو من شيوخ التربية نفع الله بهم " موسوعة أعلام المغرب ٣/١٢٣٧ " .

٢: هما حديثان :

الأول : (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضاً أبقى ، ولا ظهراً أبقى) رواه البزار عن جابر .

وأما من مشهده الذات : فهو واقف في مقام هيبة الجمال ولا سبيل لـــه إلى إدراك حقيقتها بالبصر ، فضلاً عن البصيرة لمانع قوة نوره صلى الله عليه وآله وسلم ، كمـــا امتنعت الأبصار عن إدراك حقيقة الشمس ، يشهد لذلك قول حسان رضي الله عنـــه لما قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورجع إلى قومه وهم كفار قريش ، قالوا : صف لنا ما رأيت ، وبذلوا له أموالاً على أن يهجوه بما يناسب بعضهم فيه فقال :-

لما نظرت إلى أنواره سطعت

وضعت من خيفتي كفي على بصري

خوفاً على بصري من حسن صورته

فلست أبصره إلا على قدري

الانوار من نوره في نوره غرقـــت

والوجه منه طلوع الشمس والقمر

روح من النور في جسم من القمر

كحلةٍ نسجت في الأنجم الزهر

فقالوا له : ما هذا ؟ فقال : هذا الذي رأيت ، وعارٌ علـــى الرجـــل أن يصـــف الكذب. وكان رضي الله عنه يتحرى الصدق في شعره ، وهو القائل :-

وإنما الشعر لب المرء يعرضه

على الرواة فإن كيساً وإن حمقاً

الثاني : (إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فســـددوا وقـــاربوا وأبشـــروا ، واســـتعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) رواه البخاري والنســـائي عـــن أبي هريـــرة ، كتـــاب الإيمـــان – باب الدين يســـر .

وإن أشعر بيت أنت قائله

بيت يقال إذا أنشدته صدقـــــا

فصاحب مشهد ذاته صلى الله عليه وآله وسلم هو بين محو وإثبات ، لأنه إذا نظـــر إلى صورة بشريته جملة شاهد بشراً سوياً ، وإذا رام حصر أوصاف بشريته ، تمنع عليه حصرها كما اعترفت بذلك الفحول .

ولابن زكري في آخر همزيته :-

قصِّر القول فالجناب رفيع

من يطاوله أعجزته السمـــاء

وارض بالعجز غاية فقديماً

عجزت عن وصوله الشعراء

فلا يمكنه مع ذلك أن يقول إلا أنه بشر وليس كالبشر ، كمـــا يقـــال في حجـــر الياقوت حجر وليس كالحجر .

ووجه مشهد ذاته صلى الله عليه وآله وسلم أنه حجاب رحمة ، بوجـــود ذاتـــه الكريمة ظهر الإسلام وبطلت عبادة الأصنام ، ومن حكمه شرعت الأحكام ، ومـــن لسانه عرف الحلال والحرام ، فلولا واسطة بشريته صلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم لم يستطع أحد تلقي أمر الله ونهيه من واسطة المـــَلَـــك ، فأحرى من خطاب المـــَلِك . قال سبحانه من قائل :{ لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعـــث فيـــهم رســـولاً مـــن أنفسهم}[١] ، فانظر إلى عظيم مقاساته صلى الله عليه وآله وسلم في تلقي القرآن مـــن

١: سورة آل عمران – الآيـــة.١٦٤ .

جبريل ، مع ما أودع الله فيه من القوة والاستعداد لذلك مما هو خارج عن طوق البشر ، ومع ذلك رجع إلى خديجة رضي الله عنها في قصة بدء الوحي يرجف فؤاده ويقول : زملوني زملوني ، وتارة يقول : دثروني دثروني ، وقال لخديجة ـ لما زال عنه الروع ـ : لقد خشيت على نفسي .

فقالت : كلا أبشر ،فوالله لا يخزيك الله أبداً [1] .

وتارة يبقى له غطيط وعرق ، وتارة يغيب عن حسه ، والصحابة رضي الله عنهم ماتلقوه من بشريته لم يصعب عليهم ذلك ، ومن بعدهم كذلك .

ووجه فنائه في الله : تركه لدواعي الهوى ، واستقامته ظاهراً وباطناً على بساط التقوى ، فهو عامل على أمر الله بواسطة المبلغ عن الله ، وفناؤه غيبة لا سكر .

وأما منْ كان مشهده روحه صلى الله عليه وآله وسلم : فهو واقف في مقام هيبة الجلال ، وفناؤه حقيقي لأن سره فارق عالم الخلق ، واستوطن عالم الأمر تبعاً لمشهوده وهو روحه صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو ليس له مع غير الله قرار ، ولا عما سواه إخبار .

١: في حديث مبدأ البعث والتنزيل الذي أخرجه البخاري في كتاب التعبير ، صحيح البخاري ٩/٣٧، وفي التفسير عن سعيد بن مروان ، وفي كتاب الإيمان عن أبي رافع ، عن عبد الرزاق، وفي أول كتاب الوحي : الصحيح ١/٣ ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عروة عن عائشة .
وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ٧٣ ، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/١٣٩.. كما أخرجه الترمذي والنسائي في التفسير ، والإمام أحمد في مسنده ٦/٢٣٢ . وأخرجه ابن حبان في صحيحه - كتاب الوحي، الحديث ٣٤ ، ١/١١٥ - ١١٧.
وأورده البيهقي في الدلائل ٢/١٣٥ .

وأما من كان مشهده سره صلى الله عليه وآله وسلم : فلا اطلاع لنا على ما بينه وبينهم من الأحوال إلا أنا نعتقد أنهم من بحره اغترفوا ، ومن نوره اقتبسوا ، كما أشار إليه البوصيري رضي الله عنه بقوله :-

فمبلغ العلم فيه أنه بشر … وأنه خير خلق الله كلهم
وكل آي أتى الرسل الكرام بها … فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها … يظهرن أنوارها للناس في الظلم

أي : يظهرون أنوار التوحيد قبل ظهوره نيابة عنه ، كما أن كُمَّل ورثته من أمته يدعون إلى الله تعالى تبعاً لدعوته ، كما أشار إليه بقوله : (علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل) [1] أي : في النيابة عنه في دعوة الخلق ، و لم يرد تناسبهما في الاستمداد منه كما يكشف عنه قول أبي يزيد [2] : حظ النبي زق من عسل ، وما رشح حظ الولي .

١: قال السيوطي في الدرر : لا أصل له ، وقال السخاوي في المقاصد : قال شيخنا يعني ابن حجر: لا أصل له ، وقبله الدميري والزركشي ، وزاد بعضهم : ولايعرف في كتاب معتبر ، انظر : كشف الخفاء للعجلوني ٢/٦٤ الحديث رقم ١٧٤٤ .

٢: سلطان العارفين أبو يزيد الأكبر طيفور بن عيسى البسطامي ، من بسطام خراسان ، ولد رضي الله عنه سنة ١٨٨ هجرية ، وتوفي سنة ٢٦١هجرية ، اشتهر رضي الله عنه بالشطح ، وأصله كلمات مستغربة تصدر عن الصوفي أو العارف في حال وجده وذهوله بمشاهدة جلال الحق فلا يدري مايقول، أو أنه ينطق عما يشهد بلسان مشهوده ، وفي ذلك يقول الجنيد شيخ الصوفية إن حال أبي يزيد كحال مجنون ليلى فإن حبه لليلى وقد تملكه لم يعد معه يرى في الأشياء والمخلوقات، وحتى في نفسه ، إلا أنها ليلى ، فلما سألوه : من أنت ؟ فقال : ليلى. ويروون عن ذي النون أنه لما بلغه أن أحد أصحابه ذهب يسأل عن أبي يزيد ولقاه ذاك، فقال له : أأنت أبو يزيد ؟ فقال أبو يزيد : ومن يكون هذا ؟ وأين أجده ؟ قال ذو النون : مسكين أخي أبو يزيد ، لقد فقد نفسه في حب الله تعالى ، فصار يطلبها مع الطالبين.

وحاصل الأمر أن أسرار الأنبياء والأولياء كلها مطوية في حشو لمحة من مواهب سره صلى الله عليه وآله سلم ، ونقطة من فيض بحره ، كما قال البوصيري :-

وكلهم من رسول الله ملتمس ... غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

وواقفون لديه عند حدهم ... من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

وقد استبان أنه لا غنى لأحد عن واسطته صلى الله عليه وآله وسلم .

وجملة (وهو به منوط) : حال من ضَمير الخبر المقدر .

قوله رضي الله عنه :-

صَلاةً تَلِيقُ بِكَ مِنْكَ إِلَيْهِ كَمَا هُوَ أَهْلُه

(صلاة) معمول لـ (صلِّ) على أنه مصدر نوعي بيَّن به أن ليس مطلوبه مطلق الصلاة بل صلاة مخصوصة تناسب عظيم مقداره عند الله تعالى ، ولا يعلم مقداره إلا هو كما مر ، فلا يمكن أحد تعيين هذه الصلاة وبيان حقيقتها ، فالصفة مخصصة مخرجة لصلاة لا تناسب قدره ، ولم ترفع الإيهام عن الموصوف بالكلية ، وطلب الشيء لايستدعي العلم بكنهه لجواز طلب المعلوم بوجه ما نحو : اللهم أعطنا في جنتك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

فإن قلت : المناسب لهذا أن يقول : (تليق به) ؟

قلت : بعد أن وصف المصلى عليه بأنه : " منه انشقت الأسرار " ...إلى آخر الصفات المتقدمة ، بيَّن أن مطلوبه الصلاة التي تليق بمعاملة الله معه ، كأنه يقول : اللهم صلِّ على هذا الموصوف بهذه الصفات التي مؤداها أنه أعظم أصفيائك ، وأقرب خواص أهل قربك وأولاهم بعنايتك وفضلك ، صلاة تليق بإحسانك إليه ، وإنعامك عليه ، فهذه الصلاة المطلوبة من ملك الملوك الذي بيده خزائن الإفضال والإنعام ، والإحسان والكرم ، مما لا تناهى لأعظم العظماء عنده ، وأكرم الكرماء عليه ، فدلَّ على عظمة المصلي بقوله : " **تليق بك** " . وعلى عظمة المصلى عليه بقوله : " **على من منه انشقت الأسرار**" ...إلخ ، فما أعظمها صلاة ، وما أجلَّها ، وما أفخمها.

وقوله : " **منك إليه** " أي : لا على يدي أحد من خلقك ، فإن الملك إذا أتحف أحد كبراء دولته ، ووجه إليه هدايا مع غلمانه وخدامه ، ثم أعطاه هدية مخصوصة بيده لم تكن إلا أنفس عطاياه وأعزها ، وإن في ذلك من الاعتناء بالمهدى إليه ، والدلالة على عظم مرتبته عند المهدي ، وشدة قربه منه ماليس في غيره ، وفيه تأكيد للدلالة على عظيم هذه الصلاة باستحضار مدلولي الضميرين .

وقد تكون العطية على يد الواسطة ويبقى المعطى له عن شهودها وشهود غيرها بشهود المعطي والاشتغال به ، فيحصل له الاعتناء المذكور ، وعلى هذا يتنزل قول سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه : " وتولَّ قبض أرواحنا بيدك "[1] ، إذ لا بد من واسطة ملك الموت .

وفي الخبر : (من واظب على قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة ومسنونة كما في نوادر الأصول ، كان الذي يتولى قبض روحه ذو الجلال والإكرام سبحانه)[2] .

والمراد بذلك حفظها بالتجلي واستغراقها بالشهود ، وسلب الشعور بالغير وفي ذلك غاية منيتها كما أشار إلى ذلك ابن وفا رضي الله عنه :-

من مات فيك له الهنا   وله الحياة بلا عنا

١: في حزبه الكبير المشهور بحزب البر والذي قال فيه من قرأ حزبنا هذا فله ما لنا وعليه ما علينا ، أي له ما لنا من الرحمة، وعليه ما علينا من الحرمة ، فاستعن يا أخي بالله تعالى وواظب على هذا الورد تر فيه العجب العجاب ، وفقنا الله وإياك لما فيه رضاه ، وصرف عنا رسل الشيطان من الإنس والجان بحق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢: حديث " من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة كان الذي يلي قبض روحه ذو الجلال والإكرام، وكان كمن قاتل عن أنبياء الله ورسله حتى يستشهد " رواه الحكيم الترمذي عن زيد المروزي . الكتر ١/٥٦٩ الحديث رقم ٢٥٦٧ .

إن المنية في الهوى   عند المحب هي المنا

وقال أيضاً رحمه الله :-

إن الذين أحبهم أهل الوفا   من مات فيهم عاش عيش وفاء
يلقى بهم سبب الحياة بروحهم   يا حبذا تلك منيتي بمضاء

وله أيضاً :-

يافنائي وسلوي جملة   لكما ما دون حبي فخذا
ليس لي في غير حبي حاجة   أيها الغير تنحَّ هكذا
أنا وصلي بحبي راحتي   فالذي يشغلني عنه أذى
فإذا غبت عن الغير بمن   هو محبوبي تحققت إذاً
لم يكن في الحي حي بعد من   روحه تنشق من حبي شذا
كل شيء دون حبي هالك   فحياة الكل حبي حبذا
يا حبيبي ووجودي والذي   بوفاه لفؤادي آخذا
أنت لي روح وحب وهوى   وحياة وشراب وغذا

وأخرج الملا في سيرته عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (لما أسري بي مررت بملك جالس على سرير من نور، وأحد رجليه في المشرق ، والأخرى في المغرب ، وبين يديه لوح ينظر فيه ، والدنيا كلها بين عينيه والخلق بين ركبتيه ، ويده تبلغ المشرق والمغرب، فقلت : ياجبريل من هذا ؟ فقال : هذا عزرائيل ، تقدمْ فسلِّمْ عليه ، فتقدمت وسلمت عليه ، فقال : وعليك السلام يا

أحمد ، ما فعل ابن عمك علي ؟ فقلت : وهل تعرف ابن عمي علياً ؟ قال : كيف لا أعرفه وقد وكلني الله بقبض أرواح الخلائق ما خلا روحك وروح ابن عمك علي بن أبي طالب ، فإن الله يتوفاكما بمشيئته) [1] انتهى .

وانظر هذا مع ما جاء في استئذان ملك الموت عليه ، ففي حديث جعفر ابن محمد عن أبيه عند البيهقي في الدلائل أن جبريل قال : يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ، و لم يستأذن على آدمي بعدك . قال : ائذن له ، ثم دخل ملك الموت ، فوقف بين يديه فقال : يا رسول الله إن الله عز وجلّ أرسلني إليك ، وأمرني أن نطيعك في كل ما تأمرني ، إن أمرتني أن أقبض روحك قبضتها ، وإن أمرتني أن أتركها تركتها . فقال جبريل : يا محمد .... إن الله قد اشتاق إلى لقائك ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : فامض يا ملك الموت لما أمرت به . فقال جبريل : يا رسول الله هذا آخر موطئي من الأرض ، إنما كنت حاجتي من الدنيا ، فقبض روحه) [2].

وقوله : " **كما هو أهله** " ، أي : لأجل الأمر العظيم الذي هو مستحقه ، و لم يعين هذا الأمر لعدم اطّلاعنا عليه فأبهمت الصفة ، وفيه تفخيم كما في :{فأوحي إلى عبده ماأوحي } [3]، فالكاف تعليلية على حد :{ واذكروه كما هداكم } [4] ، و "ما" موصولة اسمية عائدها المضاف إليه في أهله .

١: لم أجده فيما لدي من مصادر والله أعلم بصحته .

٢: انظر الحديث بطوله في : دلائل النبوة للإمام البيهقي – ٢١١/٧ .

٣: سورة النجم – الآية ١٠ .

٤: سورة البقرة – الآية ١٩٨ .

تنبيه :-

أخرج الطبراني وأبو نعيم وابن النجار ، والخطيب ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (من قال جزى الله عنا محمداً ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً ألف صباح) [1].

وفي رواية عند عبد الغفور النفزي : (ألفي صباح) بالتثنية .

١: انظر : كنز العمال ٢٣٤/٢ الحديث رقم ٣٩٠٠ .

قوله رضي الله عنه :-

اللَّهُمَّ إِنَّهُ سِرُّكَ

لما كان من آداب من طلب من الملك أنْ يعامل وزيره ويخلع عليه خلعه السنية أن يبين وجه استحقاق ذلك الوزير لذلك ، كأن يذكّره محبته لذلك الملك وخدمته له ومناصحته إياه تأكيداً للطلب له واعتناء بشأنه ، وإن كان الملك عالماً بذلك ، وللطالب أيضاً منفعة في ذلك لإظهار محبته لمحبوب الملك وخدمته لخدمه ، وذلك تعرضٌ لمواهب الملك ، واستجلاب لإقباله على الطالب ، أشار الشيخ رضي الله عنه إلى بعض ما أطلعه الله عليه لما هو صلى الله عليه وآله وسلم أهله ، ولكونه صلى الله عليه وآله وسلم مرآة ومظهراً لصفات الجلال والجمال على جهة التعريف كما سبق ، سمي سر الله ، وسر الأسرار ، ولوح الأسرار ، وكنز الأسرار ، ومعدن الأسرار ، ومهبط الأسرار، وحضرة الأسرار ، والسر الأنوه ، والسر الأنزه ، والسر الأكمل ، والسر الأبهر ، والسر المحيط ، وجامع أسرار التوحيد ، ومبين أسرار الذات .

قوله رضي الله عنه :-

الجَامِعُ

لما افترق في غيره من الظاهر إذ كلهم مستمدون منه ، وآخذون عنه .

قال الإمام الخروبي : جميع أوصاف الأنبياء مجموعة في سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وكل ولي كان على قدم نبي اتصف بأوصاف ذلك النبي، والولي المحمدي هو الكامل الجامع لأوصاف الأولياء كما اجتمعت أوصاف الأنبياء فيمن هو على قدمه صلى الله عليه وآله وسلم . وقال الرصاع عن بعضهم : أيد الله تعالى موسى باسمه : " الرب " ؛ فقال:{فلما تجلى ربه للجبل }[١] ، وعيسى باسمه : " المحيي " ، وابراهيم باسمه: الباطن ، فقال : { وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض}[٢] ، وأيد سيد الأكوان الجامع لخصال العرفان بقوله :{ يا أيها النبي حسبك الله }[٣] ، فقرن اسمه الجامع لمعاني الذات والصفات باسم نبوته.

ونقل عن بعضهم أيضاً أن ذاته صلى الله عليه وآله وسلم جمعت حقائق الموجودات، ونبوته جمعت سائر النبوات ، ونوره جمع سائر الأنوار، وسره منه تفرعت الأسرار ، ويومه جامع الأيام ، وكتابه جامع لجميع الكتب المنزلة .

١: سورة الأعراف – الآيـة ١٤٣ .

٢: سورة الأنعام – الآيـة ٧٥ .

٣: سورة الأنفال – الآيـة ٦٤ .

قوله رضي الله عنه :-

الدَّالُّ عَلَيْكَ

أي : بأقواله وأفعاله وأحواله ، في عالم الأرواح والأجساد كما [سبق للكمـال][1] ، وغيره من الدعاة نوابه وخلفاؤه .

قوله رضي الله عنه :-

وَحِجَابُكَ

أي : الذي حجبت به خلقك عن الفقد وعدم الوجود ، باعتبار وساطته في نعمة الإيجاد ، وعن الاضمحلال والتلاشي باعتبار وساطته في نعمة الإمداد ، وهو حجاب رحمة بين العبد وهيبة ربه ، إذ لايستطيع الإنسان تلقي أمر الله ونهيه من المَلَك فضلاً عن المِلِك كما سبق .

أو هو حجاب للمؤمنين من العذاب بإرشادهم ودعائهم إلى الإيمان .

١: مابين المعقوفتين هكذا وردت العبارة في المخطوط ، و لم أفهمـها بعلمـي القـاصر .

أو حجاب لهم بالتأليف بين قلوبهم من آفات التدابر والتقاطع ، وحجابهم من نـار الفرق والقطيعة حيث أوصل كلاً منهم إلى حظه من المشاهدة على اختلاف مراتبهم ، أو حجابهم عن أخلاق الجاهلية ، وماكانت عليه من أخلاق الضلال كقتل الجماعـة بواحد ، وقتل الأولاد خشية الإملاق ، ووأد البنات .

أو حجاب للعقول عن العطب والوبال حيث عقلها بعقال شرعه عـن النظـر في حقيقة الذات المقدسة ؛ فقال : (تفكروا في مخلوقاته ولا تتفكروا في ذاته) [1] .

١: لم أجده بهذا اللفظ ، إنما ورد في كتاب العظمة بلفـظ : (تفكـروا في كـل شـيء ولا تفكـروا في ذات الله تعالى ؛ فإن بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور ، وهـو فـوق ذلـك).
" الجامع الصغير ٤٥١/١ الحديـث رقـم ٣٣٤٥ .
وورد : (تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في الله فتهلكوا) رواه أبـو الشـيخ عـن أبي ذر .
وورد : (تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لاتقـدرون قـدره) رواه أبـو الشـيخ عـن ابن عبـاس .
انظر : " الجامع الصغـير ٤٥١/١ " .

قوله رضي الله عنه :-

الأَعْظَمُ

إشارة إلى أن النبيين والمرسلين كلهم حجب للخلق بالمعاني المتقدمة ، ولكن أعظمهم في ذلك وأبلغهم فيه نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ عنه أخذوه، ومنه اكتسبوه .

قوله رضي الله عنه :-

القَائِمُ

أي : القائم أتم قيام بتكاليف الرسالة ، وتوفية حقوقها ، وقد شهد له تعالى بكمال التبليغ فقال : { فتولَّ عنهم فما أنت بملوم } [١] ، وقال:{اليوم أكملت لكم دينكم} [٢] .

١: سورة الذاريات – الآية ٥٤ .

٢: سورة المائدة – الآية ٣ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة الوداع : (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وتلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب ، فلعلَّ بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه ، ثم قال : ألا هل بلَّغت ؟ ألا هل بلَّغت ؟ قلنا : نعم. قال : اللهم اشهد) [١] .

قوله رضي الله عنه :-

لَكَ

أي : لأجلك تعظيماً وإجلالاً .

١: رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة في كتاب الحج ١٩ – باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم – الحديث رقم ١٤٧، صححه ٨٨٦ – ٨٩٢ .

وانظر حجة الوداع في سيرة ابن هشام ٢١١/٤ . وطبقات ابن سعد ١٧٢/٢ . وصحيح مسلم بشرح النووي ١٧٠/٨، تاريخ الطبري ١٤٨/٣ ، عيون الأثر ٣٤٥/٢ ، البداية والنهاية ١٠٩/٥، نهاية الأرب ٣٧١/١٧ ، دلائل النبوة للبيهقي ٤٣٢/٥ – ٤٤٤ .

قوله رضي الله عنه :-

بين يديك

كناية عن شدة القرب الذي اختص به صلى الله عليه وآله وسلم .

قوله رضي الله عنه :-

اللهم ألحقني بنسبه

يحتمل أن يريد النسب الديني والمطلوب دوامه وبقاؤه على حد قوله:{يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا }[1] ، { يا أيها النبي اتق الله }[2] ، والمطلوب حصول كماله والترقي فيه .

ويحتمل النسب الطيني إذ لايقطع أحد بحصوله لنفسه فيه في نفس الأمر ، قاله العلامة العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي ولو إلا من كون شرطه الوفاة على الإسلام ، وهو غيب ، وهكذا ينبغي أن الاعتقاد في كل فضيلة وعد عليها في العقبى

١: سورة النساء – الآية ٣٦ .

٢: سورة الأحزاب – الآية ١ .

فإن شرط ذلك عند الله وهو غيب غير مقطوع به لأحد إلا من ميزه النص، على أن من تحقق قبضة الحق لايسكن لوعد ، فيتأكد على كل منتسب إليه صلى الله عليه وآله وسلم أن لايركن للحاصل في الحال بل يعتبر الأمر بتمامه وختامه .

ويحتمل أن يريدهما معاً ، وهذا أفيد ، لأن من جمع بين النسب الطيني والكمال الديني لايشق له غبار .والوجه الثاني أوجه لقوله بعد :-

وحققني بحسبه

فإن معناه سؤال كمال النسب الديني ، أي : حققني بالتخلق بأخلاقه ، واجعلني من المهتدين بهديه ، المقتفين بكتابه وسنته من أقواله وأفعاله وأحواله ، إذ **متابعته صلى الله عليه وآله وسلم موجبة للرحمة** ، قال تعالى: { ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون }[1] .

وقال : {وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون}[2] .

وموجبة للفلاح ، أي : الفوز الأبدي {فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون }[3] .

١: سورة الأعراف – الآية ١٥٦ .

٢: سورة آل عمران – الآية ١٣٢ .

٣: سورة الأعراف – الآية ١٥٧ .

وموجبة للرفع إلى أعلى الجنان :{ ومن يطع الله والرسول ....}[1] إلخ .

وموجبة للمحبة من الله :{قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله }[2] ، قال بعض السلف ادّعى قوم محبة الله فنزلت الآية .

ولهذه الوجوه حضَّ صلى الله عليه وآله وسلم على التمسك بالكتاب والسنة ، ففي حديث العرباض بن سارية : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) .

أخرجه أبو داود والترمذي [3].

وقال ابن مسعود : إن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وشر الأمور محدثاتها وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين.

وانظر شدة حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباعه صلى الله عليه وآله وسلم في كل ورد وصدر ، فقد خلعوا نعالهم لما خلع نعله ، ونزعوا خواتمهم لما نزع خاتمه ، وحسر أبو بكر وعمر رضي الله عنهما عن ركبتهما في قضية جلوسهما على البئر كما فعل عليه الصلاة والسلام ، وكاد بعضهم يقتل بعضاً من شدة الازدحام على

١: قوله تعالى : { ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا } سورة النساء – الآية٦٩ .

٢: سورة آل عمران – الآية ٣١ .

٣: رواه أبو داود في سننه الكتاب ٥ ، والترمذي في السنن الحديث رقم ٢٦٧٦ ، وابن ماجه ٤٢ ، والإمام أحمد في المسند ١٢٦/٤ ، ١٢٧ . والطبراني في المعجم ٢٤٦/١٨، ٢٤٧ ، ٢٤٨، ٢٤٩ ، ٢٥٧ . والبيهقي ١١٤/١٠ وغيرهم .

الحلاق لما رأوه صلى الله عليه وآله وسلم حين حل من عمرته في قضية الحديبية ، وكانوا يبحثون عن هيئات جلوسه ونومه وكيفية أكله وغير ذلك ليقتدوا به .

ولما سئل ابن عمر رضي الله عنهما عن كونه يصبغ بالصفرة ويلبس النعال السبتية ولا يحرم إلا في يوم التروية ، ولا يلمس من الأركان إلا اليماني؟ أجاب بأنه استند في ذلك كله إلى مارأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفعله . وأدار راحلته بموضع ، واعتل بأنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفعل ذلك .

وقال عمر رضي الله عنه للحجر لما قبّله : قد علمت أنك حجر لاتضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبّلك ما قبّلتك !!!.

وقد ثبت عن بعض السلف قال السندي : وأظنه أحمد بن حنبل ، أنه ترك أكل البطيخ ، وقال : يمنعني من أكله أنه لم يثبت عندي كيف أكله النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ولما كانت متابعته صلى الله عليه وآله وسلم هي المطلوبة من العبد كما قال تعالى:{وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا }[1] ، بل جعل تعالى طاعة الرسول طاعة له فقال : { من يطع الرسول فقد أطاع الله}[2] لأن طلب التوفيق لها والإعانة عليها من الله هو أسنى المطالب ، وأعلى المآرب ، ولذلك قال في الحكم : (خير ماتطلبه منه ماهو طالبه منك)[3] ، وهي الاستقامة ظاهراً وباطناً وهذا هو مطلب العارفين ، كما أشار إليه في الحكم بقوله : (مطلب العارفين من ربهم الصدق في

١: سورة الحشر – الآية ٧ .

٢: سورة النساء – الآية ٨٠ .

٣: الحكمة رقم ٧٤ .

العبودية والقيام بحقوق الربوبية)[1]، وهذا هو مضمون دعاء سورة الفاتحة :{ اهدنا الصراط المستقيم } ، فهو مما يوجه اختياره للتكرر في الصلوات ، وفي ركعاتها .

١: الحكمة رقم ٧٨ .

قوله رضي الله عنه :-

وَعَرِّفْنِي إِيَّاهُ مَعْرِفَةً أَسْلَمُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الْجَهْلِ وَأَكْرَعُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الْفَضْلِ

لما نابت المعرفة عن التعريف الذي هو مصدر الفعل المذكور لأن مطلوبه حصول المعرفة به صلى الله عليه وآله وسلم ، والتعريف لايستلزم المعرفة لأن ثبوت المطاوَع لايستلزم ثبوت المطاوِع ، ألا ترى أنا نقول:علَّمته فلم يتعلَّم ؛ فهذه نكتة الإنابة ، كما أن النكتة في قوله تعالى:{وتبتل إليه تبتيلا}[1] التنبيه على أن تبتله صلى الله عليه وآله وسلم سبباً لتبتل غيره إذ هو القدوة ، فكان في معنى التبتيل . وفصل الضمير في قوله : " إياه " والأرجح الاتصال نحو :{فسيكفيكهم الله }[2] تأدباً مع الحبيب لئلا يحمل ضميره في صورة التتمة فأتى بكلمة مستقلة .

وإنما سأل معرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم معرفة تامة لأنه المرآة الكبرى للتجلي ، والواسطة العظمى في التعريف للعالم العلوي والسفلي ، فمعرفته صلى الله عليه وآله وسلم موصلة إلى معرفة الله تعالى ، وعلى حسب معرفته تكون معرفة الله تعالى ، إذ هو باب الله الأعظم :-

١: سورة المزمل – الآية ٨ .

٢: سورة البقرة – الآية ١٣٧ .

وأنت باب الله أي امرىء   أتاه من غيرك لا يدخل[1]

ولهذا قدم سؤال معرفته صلى الله عليه وآله وسلم على قوله : " وزُجَّ بي في بحار الأحدية " المتضمن لطلب معرفته تعالى .

وأيضاً فإن معرفته تثمر مقام المحبوبية عند الله ؛ فإن محبة الله لعبده على حسب محبة العبد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومتابعته ، ومحبة العبد له صلى الله عليه وآله وسلم على قدر معرفته واطلاعه على جماله ونواله إذ لا سبب للمحبة إلا الحسن والإحسان ، وقد تكاملا فيه صلى الله عليه وآله وسلم ، فله كما تقدم الإحسان الذي لايقدر على مكافأته به أمته أجمع. وله كما مر أيضاً الحسن الذي بهر العقول كما قيل :-

بهرت أهل الحس والحسن فانبهروا   حتى كأنهما في الحي ما ظهروا

وصرت قطب جمال فاستمد من سناوجهك النيران الشمس والقمرُ

ولله در القائل :-

تكامل حسن الخلق فيمن أحبه

فلله كم من عقل لنا حسنه سبى

ولقد أجاد من ضمَّن هذا البيت في قصيدة .

١: وقد جاء في الحديث القدسي الجليل : (وعزتي وجلالي لو سلكوا إلى كل طريق واستفتحوا علي كل باب مافتحت لهم حتى يأتوا خلفك يامحمد) .

قال سيدي أحمد المرابي[1] : كنا يوماً مع سيدي رضوان[2] ؛ فجاء رجل شريف من مكة ؛ فأراد زيارته فأخبرناه ، وقرب الرجل منه ليسلم عليه ، فأخذ رأسه وضمه إليه، وجعل يبكي ويقول : يارب هذه رائحة مكة يارب هذا جاء من نحو الحبيب ، يا رب إني أحب هذه الرائحة الطيبة ، ثم أخذ يسأل الرجل عن تلك المعاهد والمواطن، ويشتاق إليها فقال بعض الحاضرين :-

يا قادماً من نحو رامة مرحباً

شممت عليك الطيب من ساكني قبا

١: الشيخ الصالح المطيع إلى الله تعالى والعارف به أبو العباس أحمد بن موسى بن عبد الله بن محمد المرابي الأندلسي الوراق، كان من أصحاب الشيخ سيدي رضوان ، وانتقل بعد موته لصحبة الشيخ أبي المحاسن الفاسي ، وهو في الكلام نظير سيدي عبد الله العثماني ، آية في إجادة القول والتعبير عن المراد دون تعلم العربية ، وله موشحات وأزجال تشير إلى التشوق، وبعضها في المدح ، وبعضها يتكلم على لسان شيخه سيدي رضوان وبعضها يمدحه ، وله أبيات كثيرة بعضها يوافق العربية وبعضها فيه لحن ، وبالجملة فهو من السالكين المحبين ، والجادين في سبيل الدين ، ومن طالع كلامه في الأزجال علم له قدماً في مقام الرجال ، وإشرافاً على الوصال ، انتهى .

توفي رضي الله عنه ونفعنا بمحبته سنة ١٠٣٤ من هجرة من له العز والشرف . " موسوعة أعلام المغرب ١٢٧٠/٣ " .

٢: أي سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي ، الولي الصالح المحدث ، أزهد أهل زمانه وأورعهم ، أخذ عن سقّين وغيره، توفي سنة ٩٩١ هجرية ، ودفن بمطروح الجنة خارج باب الفتوح ، وولد سنة اثنتي عشرة وتسعمائة رحمة الله عليه .

انظر : " موسوعة أعلام المغرب ٩٤٢/٢ " .

عن الجزع حدثني وكيف نسيمه

وكيف غصون البان مال بها الصبا

أيحسب سكان الحجاز بأنني

سلوت الذي قد حل في ذلك الخبا

فلا وحق بيت الله ما سلوته

ولا كان لي قلب إلى غيره صبا

تخلل مني مسلك الروح حبه

ألفت هواه والصبابة والصبا

[..] [1] حسن فيمن أحبه

وكم عقل لنا حبه سبى

رفعت عن العشاق ربوة حبه

سيظهر لي في الحشر من حبه نبا

١: مابين المعقوفتين كلمة مطموسة .

ومن هذا أن بشر بن الحارث [1] مر برقعة على وجه الأرض فرفعها ؛ فإذا فيها اسم الله ، فاشترى طيباً بدرهم وطيبها ، وجعلها في جيبه ، فرأى قائلاً في النوم يقول له : طيبت اسمنا فقد طيبنا اسمك في الدنيا والآخرة .

وقال بعض العارفين : بقدر ما يدخل القلب من التعظيم والحرمة [تشبعت] [2] الجوارح للحكمة ، وينشأ عن المعرفة مع التعظيم المحبة ، كما تقدم ، لما فيها من الاطلاع على المحاسن والكمالات .

وقد قالوا : يقطع المحب على بر الله ما لايقطعه العابد سبعين سنة .

١: أبو نصر بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي (١٥٠ - ٢٢٧ هـ) ولقبه الحافي لأن نعله انقطع ، فذهب به إلى الإسكاف يصلحه ، فقال له الإسكاف : ما أكثر كلفتكم على الناس – يقصد الصوفية – فألقى بشر النعل من يده والآخر من رجله ، وحلف لايلبس نعلاً بعدها ، فكان يرى وقد اسود أسفل قدميه من أثر التراب مما يمشي حافياً .

وأصله من مرو ، وسكن بغداد ، وصحب الفضيل بن عياض ، وسئل : ماكان بدء أمره لأن اسمه بين الناس كأنه اسم نبي؟، فقال : هذا من فضل الله ، فقد كنت ماراً في يوم من الأيام فإذا أنا بقرطاس في الطريق ، فرفعته فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم ، فمسحته وجعلته في جيبي ، وكان عندي درهمان ، ما كنت أملك غيرهما ، فذهبت إلى العطارين ، فاشتريت بهما عطراً ، وجعلت أمسح على اسم الله بالعطر ، فنمت تلك الليلة فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي : يا بشر ابن الحارث رفعت اسمنا عن الطريق وطيبته ، لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة ، ثم كان ما كان ، ويذكره الخليفة المأمون فيقول : لم يبق في بغداد أحد يستحيا منه غير بشر بن الحارث . ويذكره آخرون فيقولون : كانت لذي النون العبارة ، ولسهل التستري الإشارة ، ولبشر بن الحارث الورع . رضي الله عن الجميع وأرضاهم ونفعنا بمحبتهم في الدارين ومن قال: آمينا .

٢: ما بين المعقوفتين كلمة مطموسة تبدو كما أثبتها ، والله أعلم .

وروى أبو نعيم عن مسعر أن رجلاً قال لابن عمر : يا أبا عبد الرحمن لوددت أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال له ابن عمر : فكنت تصنع ماذا ؟، فقال : كنت والله أومن به ، وأقبِّل بين عينيه . فقال له ابن عمر : ألا أبشرك ؟ قال : بلى يا أبا عبد الرحمن . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (ما اختلط حبي بقلب عبد فأحبني إلا حرَّم الله جسده على النار) [1] .

وفي الصحيحين وغيرهما عن جمع من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (المرء مع من أحب) [2] .

وفي لفظ الطبراني في الكبير ، والضياء المقدسي عن أبي قرصافة عنه صلى الله عليه وآله وسلم : (من أحب قوماً حشره الله في زمرهم) [3] .

وفي البخاري عن أنس أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الساعة؟ فقال : وماأعددت لها ؟ قال : لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله . قال : أنت مع من أحببت ، فما فرحنا بشيء فرحنا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنت

١: رواه أبو نعيم في الحلية بسنده عن ابن عمر " انظر : كنز العمال ١/١٨٥ الحديث رقم ٩٣٩ و ١/٤٢٧ الحديث ٣٢٠٠٩ .

٢: رواه الشيخان بسندهما عن ابن مسعود ، والإمام أحمد والشيخان أيضاً ، وأبو داود والترمذي والنسائي بسندهم عن أنس رضي الله عنه . " الجامع الصغير ٢/٥٧٤ الحديث رقم ٩١٩٠ " .

٣: رواه الطبراني ، والضياء عن أبي قرصافة ، ورمز السيوطي لصحته " الجامع الصغير ٢/٤٧٨ الحديث رقم ٨٣١٧ ".

مع من أحببت) قال أنس : فأنا أحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم) [1] .

بل رأى بعضهم في النوم ملائكة يكتبون أسماء المحبين ، فقال لهم : بالله عليكم هل كتبتموني معهم ؟ قالوا : لا . قال : فبالله عليكم اكتبوني ممن يحب المحبين ، فكتبوه ، وإذا بالنداء أن الله قد غفر لمحبه ومحب محبه ، انتهى [2] .

وأما المشاهد لسره صلى الله عليه وآله وسلم فلا خبر لنا عنهم كما تقدم، والمؤلف رضي الله عنه سأل المقامات الثلاثة فاحترز عن الأول بقوله:

وَاحمِلْنِي عَلَى سَبِيلِهِ إِلَى حَضْرَتِكَ

فسأل أن يكون محمولاً لا حاملاً ، واحترز عن الثاني بقوله :-

١: رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه ، والإمام أحمد في المسند ، وابن حبان في صحيحه بسندهما عن أبي ذر .

انظر : كنز العمال ٩/١١ الحديث رقم ٢٤٦٨٦ .

٢: ورحم الله القائل :

أدعوك يارب مضطراً على ثقة ... فما وعدت به المضطر يدعوكا
حان الرحيل وما أعددت من عمل ... إلا محبة أقوام أحبوكا

حملاً محفوفاً بنصرتك

إذ حمل أصحابه مقرون بالنصرة ، لامحفوف بها من كل جانب ، وشبه سبيل السنة المحمدية بالبراق في التوصيل إلى الحضرة العلية ، ودلّ على ذلك بإثبات الحمل ، ففيه تكنية وتخييلية ، ولم يقل : بالنصرة على نفسي والشيطان ، لأن ذلك شأن أهل البدايات ، وأما أهل النهايات فيقولون : عرفنا الله فكفانا مَن دونه ، بل حذف المتعلق للتعميم ، أي : على كل شيء سواك حتى تنفعل له المكونات ، وتطيعه الأشياء ، وتكون إرادته تابعة لإرادة الله تعالى .

وشمل أيضاً : النصرة له وبه للمريدين والإخوان ، وتلك مرتبة الخلافة:{وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض }[١] ، فيصير الفقير بهم غنياً ، والخائف آمناً ، والذليل عزيزاً ، والضعيف قوياً .

وورد : (إن لله عباداً من نظر في أحدهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً)[٢] .

ولهذا قال الشيخ أبو الحسن : " واجعلنا سبب الغنى لأوليائك وبرزخاً بينهم وبين أعدائك "[٣] .

١: سورة النور – الآية ٥٥ .

٢: لم أجده فيما لدي من مصادر .

٣: في حزبه الكبير المشهور بحزب البر ، المار ذكره ، نفعنا الله به .

قوله رضي الله عنه :-

واقذف بي على الباطل فأدمغه

القذف : الرمي ، و" الباطل " : كل ما سوى الله ، (ألا كل شيء ما خلا الله باطل)[١] .حتى المقامات ، في الحكم :" ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا نادته هواتف الحقيقة : الذي تطلب أمامك ، وإن إلى ربك المنتهى"[٢]، { قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون }[٣] .

ومن كلام سيدي رضوان[٤] : وكن ممن لاتشغله المحبة عن المحبوب ، ولا الصفة عن الموصوف ، ولاالمعرفة عن المعروف ، ولاتكن كقيس ليلى فإنها لقيته يوماً في هيامه فكلمها صواحبها ، وقلن : أما ترين مابه بسببك ؟ فتعرضت له ، فلم يلتفت إليها فقالت له : أنا ليلى . فقال لها : إليك عني فقد شغلني عنك مامنكِ .

١: رواه البخاري ٥٣/٥ ، والإمام أحمد في المسند ٢٤٨/٢ ، وابن أبي شيبة في المصنف ٥٠٧/٨ .

٢: الحكمة رقم ٢٠ .

٣: سورة الأنعام – الآية ٩١ .

٤: أي الجنوي رضي الله عنه ، مرت ترجمته .

ولأبي الحسن التستري :-

فلا تلتفت في السير غيراً وكلما
سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنـــا
وكل مقام لا تقم فيه إنـــه
حجاب فجد السير واستمطر العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى
عليك فحد عنها فعن مثلها حدنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب
فلا صورة تجلى ولا طرفة تجتنـــى

ولبعضهم :-

كل من يدّعي الهوى　　　حمقه ما لـــه دوا
إنما الطب للـــذي　　　غاب حتى عن الهوى

وفي الحكم : " العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره " [1] .

وأنشدوا :-

الله قل وذر الوجود وما حـوى　　　إن كنـت مـرتاداً بلوغ كمال
فالكل دون الله إن حققتــه　　　عدم على التفصيل والإجمــال
واعلم بأنك والعوالم كلهــا　　　لولاه فـي محو وفي اضمحلال
من لاوجود لذاته من ذاتـــه　　　فـوجوده لولاه عين محال

١: الحكمة رقـم ١٠٢ .

فالعارفون فنوا ولما يشهـدوا　　　شـيئاً سوى المتكبر المتعـالِ
ورأوا سواه على الحقيقة هالك　　　في الحـال والماضي والاستقبال

ولسيدي رضوان رضي الله عنه :-

أشغلاً بشيء وقد قال قائـل　　　ألا كل شيء ماخلا الله باطل
أترغب في الدنيا وقد قال قائـل　　　ألا كل شيء ماخلا الله باطل
تضيع أياماً وهي قلائـل　　　ألا كل شيء ماخلا الله باطل
أتشغل نفساً بالهوى وهو زائل　　　ألا كل شيء ماخلا الله باطل

قوله رضي الله عنه :-

وزج بي في بحار الأحدية

الأحدية أبلغ من الوحدة لأنها لا تتحقق إلا إذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن إلا أن تكون أشد وأكمل منها ، قاله ابن عباد [1] . وشبهها الشيخ في نفسه بالماء الرواء العظيم المستبحر المتلاطم الأمواج ، ودلَّ على ذلك بإثبات البحار ، ففيه مكنية وتخييلية . لما تحقق بمشاهدة روحه صلى الله عليه وآله وسلم المنتج له ذلك من المحبة ما حمله على سؤال الرمي في بحار الأحدية التي هي محل الفناء الكامل التي تحصل معه الغيبة عنْ جميع الأغيار حتى عن الفناء إذ من شهد نفسه موحداً فهو غير موحد عند أهل هذا الشان .

قال قائلهم :-

توحيد من ينطق عن نفسه ... عارية أبطلها الواحد

وسأل الإلقاء في تلك البحار غير مبال بما قد يفضي إليه من التلف لأن " من كان في الله تلفه كان على الله خلفه ".

١: أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن مالك بن ابراهيم بن يحي بن عباد النفزي الحميري الرندي ، ولد برندة سنة ٧٣٣ هجرية ، وبها نشأ ، وتعلم بفاس وتلمسان ، ولازم في طنجة الصوفي أبا مروان بن عبد الملك ، ثم استدعي إلى فاس خطيباً لمسجد القيروان ، توفي رضي الله عنه سنة ٧٩٢هـ .

إن كان سفك دمي أقصى مرادكم ... فما غلت نظرة منكم بسفك دمي

وتقدم قول ابن وفا :" إن الذين صحبتهم ...." إلخ .

وللحلاج :-

سقمي في الحب عافيتي ... ووجودي في الهوى عدمي
وعذاب ترضون به ... في فمي أحلى من النغم
ما لضر في محبتكم ... عندنا والله من ألمِ

وهذا هو الوجود الحقيقي عند هذه الطائفة ، حتى قال إمامهم الجنيد [1] :-

وجودي أن أغيب عن الوجود ... بما يبدو عليَّ من الشهودِ

١: سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد ، أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد ، ومولده ونشأته بها ، وأصله من نهاوند ، ومذهبه يقيده بالكتاب والسنة ، فمن لم يتفقه في الدين ويحفظ القرآن ويكتب الحديث لايقتدى به ، فحفظ تصوفه من الغلاة وشبههم ، وصانه من العقائد الذميمة، فكان مقبولاً من الجميع ، وكان الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه ، والشعراء لفصاحته ، والمتكلمون لمعانيه ، وأساس مذهبه مراقبة الباطن وتصفيه القلب وتزكية النفس والتخلق بالأخلاق الحميدة ، توفي رضي الله عنه ونفعنا بمحبته سنة ٢٩٧ هجرية .

قوله رضي الله عنه :-

وانشلني من أوحال التوحيد

تأدبٌ منه في سؤال خوض بحار الأحدية واحتراز عما عرض من الاعتقادات الردية لمن لم يصحبه التأييد علم عند ركوب البحر أن لا عاصم من أمر الله إلا من رحـــم ، فاحترز عن حال من حال بينه وبين السنة المحمدية الموج فكان من المغرقين، وذلـك أن من الناس من لبس عليه الأمر فقال بالحلول والاتحاد ، ومنهم من غلبت عليه الحقيقـة فادعى الجبر ونفى الحكمة والأحكام ، ولقد أصاب من قال :-

خذُ من كلامي مايلذ جناه / وينم كالمسك العتيق شذاه
ذكر الإله الزم هديت لذكره / فبه القلوب تطيب والأفواه
واجعل حلاك تقاه إن أخا الحجا / يا صاح من كانت حلاه تقاه
ولتعمل الأفكار في ملكوته / مستغرقاً في الكشف عن معناه
ولتخلع النعلين خلع محقق / خلا عن الكونين في مسراه
ولتفن حتى عن فنائك إنه / عين البقاء عند ذاك تراه
فإذا بدا لك فا علم أنك لسته / كلا ولا أيضاً تكون سواه
شيئان ما اتحدا ولكن ها هنا / سر يضيق نطقنا عمّـــاه
أزل الحجاب حجاب قلبك ينكشف / لك سر ما قد غاب عنك سناه
إن الإله أجل ما يعرف ومن / لا يراه قد استبان عماه

فبه يراه ذوو البصائر والنهى / ماغاب عنهم لحظة مرآه
أنى يغيب وليس يوجد غيره / لكن شديد ظهوره أخفاه

ويحتمل أن يكون سأل بقوله : " وزج بي في بحار الأحدية : حال أهل الجـــذب المستدلين بالله على الأشياء ، وبقوله : " وانشلني من أوحال التوحيد "، التخلـــص عما يعرض للسالكين المستدلين بالأشياء على الله من الشبهات .

قوله رضي الله عنه :-

وأغرقني في عين بحر الوحدة

رجوع إلى سؤال البقاء بعد الفناء ليصلح للخلافة ، وتكميل غيره فإن ذلك أكمل من استمرار السكر .

وفي الحكم : " وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق ، وفني عن الأسباب بشهود مسبب الأسباب ، فهذا عبد مواجه بالحقيقة ، ظاهر عليه سناها ، سالك للطريقة قد استولى عليه مداها ، غير أنه غريق الأنوار ، مطموس الآثار ، قد غلب سكرُه على صحوه ، وجمعه على فرقه ، وفناؤه على بقائه ، وغيبته على حضوره ، وأكمل منه عبد شرب فازداد صحواً ، وغاب فازداد حضوراً ، فلاجمعه يحجبه عن فرقه ، ولافرقه يحجبه عن جمعه ، ولا فناؤه يصده عن بقائه ، ولا بقاؤه يصده عن فنائه ، يعطي كل ذي حق حقه ، ويوفي كل ذي قسط قسطه " انتهى .

وأيضاً من مزج شراب الحقيقة بماء الشريعة كان ذلك حافظاً له عن تعدي الحدود كما قيل :-

ومن فهم الإشارة فليصنها ... وإلا سوف يقتل بالسنان

كحلاج المحبة إذ تبدت ... له شمس المحبة بالتدان

فقال : أنا الحق الذي لا ... يغير ذاته مرُّ الزمان

فسأل الشيخ الإغراق في العين التي هي مدد البحر حتى يكون ممداً لمن خاض لجه.

ويحتمل أنه يريد بـ " **الزج في بحار الأحدية** " الدفع لا على سبيل الإغراق بل على سبيل الركوب والمرور ، ليعلم مافيها من الذخائر .

وبـ " **النشل من أوحال التوحيد** " : التخلص من شهود التوحيد من نفسه ، لما مرَّ من أن صاحب هذا مفروق لاستشعاره موحِّداً وموحَّداً . وبـ " **الإغراق في عين بحر الوحدة** " : جمع الجمع ، فيكون الجمع في باطنه موجوداً ، والفرق على ظاهره مشهوداً .

قوله رضي الله عنه :-

حَتَّى لاأَرَى وَلاأَسْمَعَ وَلاأَجِدَ وَلا أُحِسَّ إِلا بِهَا

هذه غاية الإغراق المذكور وهو الغيبة عن الأكوان بشهود المكون فيها كما قيل:-

ألاحظه في كل شيء رأيته   وأدعوه سراً بالمنى فيجيب
ملأت به قلبي وسمعي وناظري   وكلي وأجزائي فأين يغيب؟

وقد فسر قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن الله وتر يحب الوتر) [1] فإنه يعني القلب المنفرد بحيث لا يرى في الدارين إلا هو ،ولايعرج على غيره :-

إذا كنت من تهواه في الحسن واحداً
فكن واحداً في الحب إن كنت تهواه

وحينئذ يدوم سروره وأنسه ، ويصير في جنة معجلة .

١: رواه ابن نصر عن أبي هريرة وعن ابن عمر ، ورمز السيوطي لحسنه .
" الجامع الصغير ٢٤٣/١ الحديث رقم ١٨٠٧".

ويرحم الله ابن الغرس [1] إذ يقول:-

سبحان من خرق الحجاب لعبده   وهداه منهج قصده فرآه
سبحان من ملأ الوجود أدلةً   ليلوح ما أ خفى بما أبداه
سبحان من لو لم تلح أنواره   لم تعرف الأضداد و الأشباه
مولاي أنت الواحد الصمد الذي   في حضرة الملكوت شاهدناه
مولاي أنسك لم يدع لي وحشة   إلا محا ظلماتها بسناه
مولاي لاآوي لغيرك إنه   حرم الهدى من لم تكن مأواه
مولاي عبدك لا يخاف تعطشاً   أيخافه و الحق قد روّاه
أنت الذي خصصتنا بوجودنا   أنت الذي عرّفتنا معناه
لم أفشِ ماأودعتنيه فإنه   ما ذاق سر الحق من أفشاه
من كان يعلم أنك الفرد الذي   بهر العقول فحسبه وكفاه

١: محمد بن محمد بن محمد بن خليل أبو اليسر ، البدر ابن الغرس ، من فقهاء الحنفية ، مولده ووفاته بالقاهرة ، والغرس لقب جده خليل ، كان رضي الله عنه غاية في الذكاء ، توفي سنة ٨٩٤هجرية . " الأعلام للزركلي ٥٢/٧ " .

قوله رضي الله عنه :-

وَاجْعَلِ الحِجَابَ الأَعْظَمَ حَيَاةَ رُوحِي

أشار إلى أن العارف لاغنى له عن واسطة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن وصل إلى حضرة القدس ، وفني عن وجوده في هيبة شهوده ، وعن فنائه ، وعن كل شيء .

وقد قال الشيخ أبو العباس المرسي – وهو ممن لا نشك في قطبانيته كما شهد له الشيخ أبو الحسن وغيره بذلك – : لو احتجب عني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين .

وقد ذُكر غير واحد أن كل من حصلت له رحمة في الوجود أو خرج له قسم من رزق الدنيا والآخرة والظاهر والباطن ، فإنما خرج له ذلك على يديه وبواسطته صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو الذي يقسم الجنة بين أهلها، ولهذا عدُّوا من خصائصه أنه أعطي مفاتيح الخزائن .

قال بعض العارفين العلماء : وهي خزائن أجناس العالم ، فلايخرج من الخزائن الإلهية شيء إلا على يده صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو معنى اسمه: الخليفة ، وخليفة الله .

نعم صاحب الفناء لايشعر بواسطته وقت غيبته فيمن أفني فيه ، والمتبقي إنما هو شعوره وأما استمداده منه ، وتوجه الفتح له على يده فثابت في نفس الأمر ، فإن نبه بذلك بعد إفاقته اعترف به .

وقد ذكروا أن السالك بعد الوصول التام يستغني عن المشايخ ولا يستغني عنه صلى الله عليه وآله وسلم . وقد قيل للشيخ أبي الحسن الشاذلي: من هو شيخك يا سيدي ؟ فقال : كنت أنتسب إلى الشيخ أبي محمد عبد السلام ابن مشيش ، وأنا اليوم أعوم في عشرة أبحر ، خمسة من الآدميين : النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأبو بكر ، وعمر، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم أجمعين ، وخمسة من الروحانيين: جبريل وميكائيل ، وعزرائيل ، وإسرافيل ، والروح .

ثم يجب أن يعرف السالك الواسطة ويقصدها من حيث هي واسطة ، ولا يجعلها مقصداً فينقطع ، وإنما ضلَّت النصارى بجعلهم الوسيلة مقصداً فادَّعوا لعيسى عليه السلام الألوهية والنبوة .

قال النيسابوري : صحَّفوا في الإنجيل " عيسى نبيي وأنا ولَّدته " فحرَّفوا الأول بتقديم الباء الموحَّدة [1] ، وخففوا اللام في الثاني [2] ، فلعنة الله على الكافرين .

ولله درُّ البوصيري إذ يقول في النبي صلى الله عليه وآله وسلم :-

دع ما ادَّعته النصارى في نبيهم

واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

١: أي قالوا : عيسى بني ، بتقديم الباء على النون من البنوة .

٢: فقالوا :" ولَدته " من الولادة ، بدلاً من ولَّدته بتشديد اللام أي خلقته ، فلعنة الله على الكافرين .

ولهذا نهاهم صلى الله عليه وآله وسلم أن يسجدوا له حين قالوا له عليه السلام : أفلا نسجد لك ؟ فقال : (لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) [1] .

فنهاهم عما عساه يبلغ بهم من العبادة .

ويشاكل هذا ما حكي عن بعض المشايخ أن مريداً صدق في محبته والاقتداء به لكنه توغل في التمسك به والوقوف معه فصار ذلك منه كالحجاب ، فصعد يوماً معه على سطح فأمر بصرعه من فوق السطح فجاء يلوذ به ، فدفعه عنه ، فطرحوه، فحين كان نازلاً في الهواء انقطع رجاؤه منه ، ففتح له . وكثير يقع لهم الغلط في صحبة المشايخ فيرون النفع والضر منهم ، غافلين عن جانب الربوبية ، حتى أن بعضهم ينقطع عنهم عند ظهور عجزهم له عن قضاء ما يريده [2] .

و " ال " في " الحجاب " للعهد ، والمعهود قوله : " وحجابك الأعظم ".

أي : اجعله حاجباً لروحي عما فيه هلاكها ، فتكون حية متمتعة في معرفتك بسببه، فإن من لم يحتجب بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقع في المهالك ، وابتدع وضلَّ ، وماتت روحه . ولم يقل : اجعله ، لئلا يتوهم أن الضمير عائد إلى النبي صلى

١: حديث : (لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) .
رواه الترمذي في سننه بسنده عن أبي هريرة ، والإمام أحمد عن معاذ بن جبل ، والحاكم في المستدرك عن بريدة .
" الجامع الصغير ٢/٣٧٦ الحديث رقم ٧٤٨١" .

٢: وذلك إما لعدم اكتمال أهليتهم وتربيتهم ، أو لانطماس بصيرتهم ووقوفهم عند المحسوسات ككثير من العوام وأشباههم من طلبة العلم الذين تربوا على الكتب ، ولم يتربوا على أيدي المربين الصادقين .

الله عليه وآله وسلم من حيث ذاته ، مع أنه إنما كان حياة للأرواح من حيث إنه حجاب لها ، فالمناسب التعبير بخصوص اسمه الحجاب ، وإنما أعاد الوصف أعني : " الأعظم " ، إشارة إلى أن مطلوبه حياة تناسب عظميته ، فما أعظمها مع ما في التصريح به من تكرير المدعى في مقام الثناء ، أو أنه مثل أن يكون على قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيكون جامعاً لخصوصيات الأولياء ، فإن الأولياء كما قال الإمام الخروبي على نحو درجات الأنبياء ، فمنهم الموسوي ، والعيسوي ، والابراهيمي [1] ، وهكذا ، وكل ولي على قدم نبي اتصف بصفاته ، **والولي المحمدي هو الكامل الذي اجتمعت فيه أوصاف الأولياء** كما اجتمعت أوصاف الأنبياء ، فيمر هذا الولي على قدمه وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فلو لم يأت بالوصف لما احتمل اللفظ غيره ، ولو لم يعلم أن (ال) للعهد .

١: نسبة إلى سيدنا موسى وعيسى وابراهيم على نبينا وعليهم وعلى سائر الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأتم التسليم .

قوله رضي الله عنه :-

وَرُوحُهُ سِرَّ حَقِيقَتِي

حقيقة الإنسان : اللطيفة الربانية التي كان بها الإنسان إنساناً ، وتسمى نفســـاً في مقام الإسلام ، وقلباً في مقام الإيمان ، وروحاً في أول مرتبتي الإحسان ، وهي المراقبة، وسراً في ثانيها وهي المشاهدة ، وباطناً إن أشكل الأمر ، كذا للساحلي .

فطلب المصنف رضي الله عنه أن يصير حقيقته سراً في مقام المشاهدة بواسطة شهود روح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فتخرج عن كونها نفساً وقلباً وروحاً.

وفي الكلام حذف مضاف في موضعين ، والتقدير : واجعل شهود روحه تنقل سـر حقيقتي بأن تصير حقيقتي سراً بواسطة ذلك الشهود .

قوله رضي الله عنه :-

وَحَقِيقَتَهُ جَامِعَ عَوَالِمِي

العوالم : النفس والقلب والروح والسر ، سأل أن تكون كلها منصرفة ومتوجهـــة إلى شهود حقيقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصادقة بعوالمه الشريفة.

أي : اجعل شهود حقيقته جامعاً لعوالمي .

قوله رضي الله عنه :-

بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ الْأَوَّلِ

متعلق بحال مقدر ، أي : معيناً لي على شهوده الآن في عالم الأجساد بأن تحضـــر قلبي الشهود السابق في عالم الأرواح يوم :{ألست بربكم} حتى أستحضره وأســتعين به على دوام الشهود .

وقد تقدم أن نوره أشرف على الأرواح حينئذ وأنه دعاها إلى التوحيــد في ذلــك الوقت ،وأنه أول من أجاب بـــ{بلى} فالحق الأول الشهود السابق.

ويحتمل أن الباء للمعية ، والحق الأول : شهود الربوبية .

والمعنى : اجعل حقيقتي متوجهة إلى شهود حقيقته صلى الله عليه وآله وسلم مع عدم الغفلة عن شهود الربوبية ، والاستغراق فيها ، فيكون **احترازاً عما يغلط في شهود الواسطة فيجعلها مقصداً** كما سبق وأوليته باعتبار الذكر أو الهداية إلى معرفة الرسول ، إذ لولا تعريف الله عباده به ماعرفوه ، و {ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله}[1] .

لاهمَّ لولا أنت ماهتدينا

ويحتمل أن الباء للقسم الاستعطافي ، و(الحق الأول) الله سبحانه ، إذ هو السابق على كل شيء ، وفيه التفات من الخطاب إلى الغيبة على كل شيء.

والتحقيق : بمعنى التحقق في الوجود ، أي : أسألك بوجودك ياالله .

١: سورة الأعراف – الآية ٤٣ .

قوله رضي الله عنه :-

يا أَوَّلُ يا آخِرُ يا ظاهِرُ يا باطِنُ

استغاث في سؤال شهوده صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الأسماء الحسنى لما فيها من الدلالة على الإحاطة والقيومية ، والتنزيه .

فـ" **الأول** " : السابق على كل شيء لقدمه ، كان الله ولا شيء معه [1] .

و " **الآخر** " : الباقي الذي يستحيل عدمه ، {كل شيء هالك إلا وجهه }[2] .

و " **الظاهر** " : الواضح الربوبية بالدلائل .

و " **الباطن** " : المحتجب عن الأفهام ، الذي لايحيط به تكييف ، فما وصل إليه العقلاء حتى العارفون من ظهوره ومعرفة جلاله وجماله وإن كان كثيراً فهو بالنسبة إلى ماخفي عنهم يسير .

وانظر قول سيد العارفين وخطيب المرسلين صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)[3] ، مع أنه أفنى عمره في الثناء عليه ، وعلم كل مثن ما أثنى وما يثنى به ، وملئت التآليف بثنائه ، بل الخزائن المملوءة بالتآليف ، ومع ذلك قال ما قال ، فهو تعالى كما قيل ، فلا يحيط به عقل فيدركه ،

١: وهو الآن على ما عليه كان سبحانه وتعالى .

٢: سورة القصص – الآية ٨٨ .

٣: رواه الإمام أحمد في المسند ٥٨/٦ ، والسيد المرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٧١/٢ .

جل المهيمن عن الإدراك ، وتاهت عقول ذوي الألباب فيه وقد كلّت وضلّت بحار العقل والفكر ، وإذا كان الإنسان لايحيط بصفات ذاته ، فكيف بباريه تعالى ؟ .

ومن قصيدة الشيخ ابن غانم المقدسي [١] :-

أين منك الروح في جوهرها
أتراها هل ترى كيف تجول [٢]
أين منك القلب في قالبه
وهو بيت الرب حقاً إذ يقول
أين نور العقل والقلب إذا
غلب النوم فقل لي يا جهول
هذه الأنفاس [لا تعرفها]
لا ولا تدري متى عنك تزول [٣]

١: هكذا ورد في الأصل المخطوط منسوبة إلى المقدسي ، ولعله خطأ نسخي ، إذ هي للإمام جلال الدين السيوطي ، ذكرها في رسالته " القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه " والمطبوعة ضمن رسائل السيوطي المسماة بـ :" الحاوي للفتاوي " في الجزء الثاني منه صفحة ٤٥١ – ٤٥٥ ".

وتبدأ القصيدة بقوله :-

قل لمن يفهم عني ماأقول — قصر القول فذا شرح يطول

٢: في الحاوي ٢/٤٥٤:

أين منك الروح في جوهرها — هل تراها فترى كيف تجول

٣: في الحاوي : [هذه الأنفاس هل تحصرها] .

أنت لا تدري صفات ركبت
فيك حارت في خفاياها العقول
فإذا كانت خفاياك التي
بين جنبيك بها أنت ضلول
كيف تدري من على العرش استوى
لا تقل كيف استوى كيف النزول
إن تقل: كيف ؟ فقد مثلته
أو تقل : أين ؟ فقد رمت الحلول
هو لا أين ولا كيف له
وهو رب الكيف والكيف يزول
وهو فوق الفوق لافوق له
وهو في كل النواحي لا يزول
جلّ ذاتاً وصفات وسما
وتعالى جده عما أقول

قوله رضي الله عنه :-

اسْمَعْ نِدَائِي بِمَا سَمِعْتَ بِهِ نِدَاءَ عَبْدِكَ زَكَرِيَّا

أي : اسمعه سماع قبول وإجابة . وأراد - والله أعلم بهذا - طلب الوارث لسره حتى ينتفع به المؤمنون ، ويكونوا في ميزانه ، والمرء في ميزانه من اتبعه [1] ، فاقدر إذن قدر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ولذا خصّ زكريا عليه السلام من بين النبيين لطلبه الوارث بقوله:{فهب لي من لدنك ولياً يرثني} [2] .

١: كما ورد في حديث مسلم بسنده عن جرير : (من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة) .

وعزاه النجم لمسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة عن جرير بلفظ : (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) .

انظر : كشف الخفاء ٢/٢٥٥ الحديث ٢٥١٠ .

٢: سورة مريم - الآية ٦ .

وقوله :{ رب لاتذرني فرداً وأنت خير الوارثين} [1] .

وقد استجاب الله تعالى للشيخ بتلميذه الشيخ أبي الحسن ، فاستمرت طريقته ، وكثر أتباعه ، وعمَّ النفع به . ونقل ابن الصباغ عن الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه أنه قال : دخلت العراق واجتمعت بالشيخ الصالح أبي الفتح الواسطي ، فما رأيت مثله ، وكنت أطلب القطب ، فقال لي بعض الأولياء : تطلب القطب بالعراق وهو ببلادك ؟ ارجع إلى بلادك تجده !! . فرجعت إلى بلاد المغرب إلى أن اجتمعت بأستاذي أبي محمد عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه .

وقال الشيخ زرُّوق : كان بعض مشايخنا من أهل الورع يقول للحالف أن يحلف ولا يستثني أن طريق الشاذلية عليها كانت بواطن الصحابة رضي الله عنهم .

ومدحه الإمام البوصيري بقوله :-

إن الإمام الشاذلي طريقه في الفضل واضحة لعين المهتدي
فانقل ولو قدماً على آثاره فإذا فعلت فذاك أخذ باليدِ

وقال أيضاً فيه وفي تلميذه الشيخ أبي العباس المرسي :-

شرفاً لشاذلة ومرسية سرت لهما الرياسة من أجلِّ رئيس
ماأن نسبت إليهما شيخيهما إلا جلوتهما جلاء عروس

١: سورة الأنبياء - الآية ٨٩ .

قوله رضي الله عنه :-

وانصرني بك لك

طلب أن ينصره الله به ، أي : منه إليه ، لا على أيدي الوسائط والأسباب ، غير الواسطة العظمى [1] لتكون النصرة أتم وأكبر . وقد تقدم قوله للشيخ أبي الحسن:يا بني عوض ما تقول يا رب سخر لي خلقك، قل: يا رب كن لي . أترى إذا كان لك يفوتك شيء ؟ فما هذه الجبانة ؟ .

وأن تكون نصرته لك بالقيام بحقوقه وخدمته لا لحظوظ نفسه ، وذلك أن العارف حظوظه حقوق ، لأنه يتصرف بالنية والنية إكسير العمل ، فتقلب أعيانها ، فيأتي المباحات بمقاصد حسنة تصيرها قربات ، فيترتب عليها الأجور والمثوبات ، كأن يأكل ويشرب بنية التقوي على عبادة ربه ، وينكح بنية تكثير المسلمين ، وهكذا ...، ويكون لهم في العمل الواحد نيات كثيرة ، فيعظم ثوابهم بحسبها ، لأن : (الأعمال بالنيات ولكل امريء ما نوى) [2] .

١: وهو سيد الوجود حبيبنا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

٢: رواه البخاري ٢/١ ، والترمذي الحديث رقم ١٦٤٧ ، وأبو داود في السنن الحديث رقم ٢٢٠١ ، والنسائي في كتاب الطهارة – الباب ٥٩ ، وفي الأيمان والنذور الباب ١٩ ، وابن ماجة وغيرهم .

وقد جاء رجل لأبي بكر الشبلي [1] رحمه الله تعالى وقال : يا سيدي إني أريد الحج فأوصني بما ينفعني ، وادع الله لي . قال : اجعل رفقاءك الملائكة، وأنيسك القرآن ، وزادك اليقين ، ومقصدك الله ، وإذا طفت البيت طف بقلبك وسرك . زودك الله التقوى .

فلما حج الرجل أقبل للشبلي يتبرك به وبدعائه فقال له الشبلي : ما الذي نويت حين أحرمت ؟ ، قال : عملت ما عمل الناس وما نويت شيئاً .

قال : نويت أنك تجردت من ثياب المخالفة والعصيان وأقبلت على عبادة الرحمن؟، وأنك نزعت ثياب الدنيا ولبست ثياب الآخرة كما يفعل بالميت؟ .

قال : لا .

قال : فما أحرمت !! .

وهل نويت بطوافك أنك تطوف بعرش الرحمن وتطلب العفو والغفران ؟ قال : لا.

قال : فما طفت !! .

وهل نويت حين استلمت الحجر الأسود أنك تبايع الله وتعاهده أن لاتعصيه أبداً ؟.

١: أبو بكر الشبلي : دُلَف بن جحدر ، وقيل : ابن جعفر ، الشبلي، نسبة إلى قرية شبلية – إحدى قرى أسروشنة من بلاد ماوراء النهر ، خراساني الأصل ، بغدادي المولد والمنشأ ، جليل القدر ، مالكي المذهب ، عظيم الشأن ، صحب الجنيد وطبقته يبالغ في تعظيم الشرع المكرم ، وإذا دخل رمضان جد في الطاعات ، ويقول : هذا شهر عظّمه ربي فأنا أولى بتعظيمه، سئل عن حديث: (خير كسب المرء عمل يمينه) فقال : إذا كان الليل فخذ ماء وتهيأ للصلاة ، وصل ماشئت ، ومد يدك، وسل الله تعالى ، فذلك كسب يمينك ، توفي رضي الله عنه سنة ٣٣٤ هجرية .

انظر : طبقات السلمي ٣٣٧ ، طبقات ابن الملقن ٢٠٤ ، حلية الأولياء ٣٦٦/١٠ .

قال : لا .

قال : فما استلمت!!.

وهل نويت حين سعيت بين الصفا والمروة أنك تسعى بين صفوف يوم القيامة حافياً عرياناً ترغب الله في فكاك رقبتك من النار ؟ .

قال : لا .

قال : فما سعيت !! .

وهل نويت حين نحرت هديك أنك نحرت إبليس الشهوات بسكين المخالفات فلاتطيعه أبداً ؟ .

قال : لا .

قال : فما نحرت !! .

وهل نويت حين حلقت رأسك وجمعت شعرك بين يديك أنك جمعت ذنوبك كلها صغيرها وكبيرها ، حقيرها وجليلها ، ورميتها عنك فلا تعود لمثلها أبداً كما لايعود شعرك إلى رأسك؟ .

قال : لا .

قال : فما حلقت !!! .

وهل نويت حين رميت الجمرات أنك رميت من قلبك جميع الشهوات ؟ قال : لا.

قال : فما رميت!!! .

يا هذا .... ارجع وحُجَّ ، فإنك لم تَحُج !! ، انتهى .

ومن النصرة : نصرهم في وقت هيجان الفتن ، حتى لا تؤثر فيهم وإن كثر المؤذون لهم ، بإلقاء السكينة في قلوبهم ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم .

قال الشيخ أبو الحسن : " وانصرنا باليقين والتوكل عليك " [1].

وفي الحديث : (إن لله عباداً يغفر لهم برحمته ويحييهم في عافيته ، تمر بهم الفتن كقطع الليل المظلم لا تضرهم) [2].

[1]: في الحزب الكبير المبارك المشهور بحزب البر .

[2]: لم أجده بهذا اللفظ ، وإن كان له شواهد تقوي معناه منها قوله عليه الصلاة والسلام : (إن لله تعالى عباداً يحييهم في عافية ، ويميتهم في عافية ، ويدخلهم الجنة في عافية) رواه الطبراني في الأوسط عن أبي مسعود الأنصاري .

وروى الحكيم الترمذي عن شهر بن حوشب مرسلاً : (إن لله تعالى عباداً يضن بهم عن الأمراض والأسقام في الدنيا ، يحييهم في عافية ، ويميتهم في عافية ، ويدخلهم الجنة في عافية) .

انظر : الكنز ٤/٤٢٧ الأحاديث ١١٢٤٥ و ١١٢٤٦ و ١١٢٤٧ .

قوله رضي الله عنه :-

وأيدني بك لك

طلب رضي الله عنه قوة اليقين ، وجوهر التوحيد عند نزول المرادات[1] القهرية، وحصول الروح والرضا حتى تصير البلية عطية .

قال الأستاذ أبو علي الدقاق : جربتُ مرة [2] ، وكنت في وحشة من ذلك ، فدخلت الحمام ففتح على قلبي شيء منَ الرضا فكنت ألثم كل واحدة من تلك القروح ؛ فخرجت و لم يبق لها أثر .

فإذا شهد الإنسان أن ذلك من محبوبه تلقاه بالقبول .

ومن أمثالهم : الحجر من يد الحبيب تفاحة [3] .

وقال سيدي رضوان رضي الله عنه ــ يردد هذا البيت :-

ولو بيد الحبيب سقيت سُماً   لكان السم من يده يطيب

وفي الحِكَم : " ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأنه سبحانه هو المبتلي لك ، فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عوَّدك حسن الاختيار " [4] .

١: أي مرادات الله تعالى من عبده وفي عبده .

٢: أي أصابه داء الجَرَب المعروف .

٣: ومن أمثالهم الشعبية – أي المغاربة – : الجمرة من يد الحبيب تمرة .

٤: الحكمة رقم ١٠٤ .

وفي التنوير [1] : إنما يقويهم على حمل أقداره شهود حسن اختياره .

وقال : ولنا في هذا المعنى :-

وخفف عني ما ألاقي من العنا
علمي بأنك المبتلي لي والمقدر
وما لأمري عما قضى الله معدل
وليس له منه الذي يتخير

ومن أسباب التأييد : أن يذكرهم كثرة الثواب .

وقد جاء في هذا المعنى من الأحاديث والآثار ما لا يحصى ، ومنه : حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (إذا أراد الله بعبد خيراً أو أراد أن يعافيه ، صبَّ عليه البلاء صباً ، وثجه عليه ثجاً فإذا دعاه قالت الملائكة : صوت معروف .

فإذا دعاه ثانياً قال : يا رب ، قال الله سبحانه : لبيك عبدي وسعديك لا تسألني شيئاً إلا أعطيتك ، أو دفعت عنك ما هو شر أو ادَّخرت لك ما هو أفضل منه ، فإذا كان يوم القيامة جيء بأهل الأعمال فوفُّوا أعمالهم بالميزان ، أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ، ولا ينشر لهم ديوان ، يُصَبُّ عليهم الأجر صَبًّا ، كما كان يصب عليهم البلاء صباً ، فيود أهل العافية في

١: كتاب التنوير في إسقاط التدبير لسيدي ابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم وغيرها من الكتب الجليلة ، وهو مطبوع ومتداول .

الدنيا لو كانت أجسامهم تقرض بالمقاريض لما يرون مما يذهب به أهل البلاء من الثواب ، وذلك قوله تعالى :{ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب } [1] .

وقال بعضهم :رأيت كأني مع النبيين والصدِّيقين فأردت الكون معهم ثم قلت: اللهم أسلكني في سبيلهم مع العافية مما ابتليتهم به فإنهم أقوى ونحن أضعف منهم . فقيل لي : **قل : وماقدَّرت من شيء فأيدنا كما أيَّدهم** .

١: قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات ، من رواية بكر بن خنيس، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس أخصر منه دون قوله : فإذا كان يوم القيامة . . إلخ ، ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب بتمامه ، وأدخل بين بكر وبين الرقاشي ضرار ابن عمرو ، وهو أيضاً ضعيف .

وروى الطبراني في الكبير من حديث أنس : (إذا أحب الله عبداً صب عليه البلاء صبا ، وثجه ثجا). وروى البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلاً : (إذا أحب الله عبداً ألصق به البلاء فإن الله يريد أن يصافيه) . وروى الديلمي من حديث علي: (إذا رأيتم العبد ألم به الفقر والمرض فإن الله يريد أن يصافيه) . وروى ابن النجار في تاريخه من حديث عمر بن الخطاب : (إذا كان يوم القيامة جيء بأهل البلاء فلا ينشر لهم ديوان ، ولا ينصب لهم ميزان ، ولا يوضع لهم صراط ، ويصب عليهم الأجر صبا) .

وروى الطبراني من حديث ابن عباس : (يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب ، ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ، ولا ينشر لهم ديوان ، فيصب عليهم الأجر صباً ، حتى إن أهل العافية في الدنيا ليتمنون في الموقف إن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله لهم) .

تخريج أحاديث الإحياء ٥/٢١٧٠ الحديث رقم ٣٤٢٥ .

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه : " ولا نسألك دفع ما تريد ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد ، كما أيَّدت أنبياءك ورسلك ، وخاصة الصدِّيقين من خلقك ، إنك على كل شيء قدير" [1] .

وفي تفسير الكواشي في قوله تعالى :{ وأيَّدهم بروح منه } [2] قوَّاهم بنصره الحسي، سمي النصر روحاً لأن أمرهم يحيا به ، أو الروح الأمين أو القرآن وحججه ، أو الرحمة، أو جبريل أيدهم الله به ، انتهى .

واعلم أن المطلوب من العباد أن يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية ، والأسماء الحسنى السنية ، ولا سبيل لهم إلى معرفته إلا بتعرُّفه لهم ، وتعرفه لهم تارة يكون بملاطفات إحسانه ، وموالاة فضله وامتنانه ، وتارة يكون بما ينزل بهم من أنواع الامتحان ، ووقوع المصائب في الأموال والأبدان .

فيحرك القلوب إلى علاّم الغيوب جندان :-

جند النعم : وهو المشار إليه بقوله تعالى :{وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة } [3]. وقوله :{ وما بكم من نعمة فمن الله } [4] .

وجند النقم : وهو المشار إليه بقوله :{ وإن يمسسك الله بضر فلاكاشف له إلا هو}الآية [5] .

١: في حزبه الكبير نفعنا الله به .
٢: سورة المجادلة – الآية ٢٢ .
٣: سورة لقمان – الآية ٢٠ .
٤: سورة النحل – الآية ٥٣ .
٥: سورة الأنعام – الآية ١٧ .

{ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه }[1] .

وفي الحكم : " متى أعطاك أشهدك برَّه ، ومتى منعك أشهدك قهره ، فهو في كل ذلك متعرف إليك ، ومقبل بوجود لطفه عليك "[2] .

وقال : " إلهي قد علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك مني أن تتعرف إلي في كل شيء حتى لاأجهلك في شيء " ، انتهى[3] .

فانقلاب الأحوال واختلافها ، يوجب بتوفيق الله تعالى زيادة معرفة بالله .

وفي التنوير[4] : اعلم أن الله تعالى تعرَّف لآدم بالإيجاد فناداه[5] : (يا قدير)، ثم تعرَّف له بتخصيص الإرادة فناداه : (يا مريد) ، ثم تعرَّف له بحكمه في نهيه عن الأكل من الشجرة ، فناداه: (يا حكيم) ، ثم قضى عليه بأكلها فناداه : (يا قاهر) ، ثم لم يعاجله بالعقوبة إذ أكلها فناداه : (يا حليم) ، ثم لم يفضحه في ذلك فناداه : (ياستار)، ثم تاب عليه بعد ذلك فناداه : (يا تواب) ، ثم أشهده أن أكله من الشجرة لم يقطع عنه وده فيه ، فناداه : (يا ودود) ، ثم أنزله إلى الأرض ويسر له أسباب المعيشة فناداه : (يا لطيف) ، ثم قواه على ما اقتضاه منه فناداه : (يا معين) ، ثم أشهده سر النهي والأكل والنزول ، فناداه : (يا حكيم) ، ثم نصره على العدو الكائد له فناداه : (يا نصير) ، ثم ساعده على أعباء تكليف العبودية فناداه : (يا ظهير) ، فتكملت فيه العبوديتان عبودية التعريف ، وعبودية التكليف ، فعظمت نعمة الله عليه ، وتوفر إحسانه لديه .

١: سورة الإسراء – الآية ٦٧ .

٢: الحكمة رقم ٩٢ .

٣: في مناجاته الإليهة آخر الحكم العطائية .

٤: لابن عطاء الله السكندري أيضاً ، والمسمى بـ : التنوير في إسقاط التدبير " . وهو مطبوع ومتداول.

٥: أي نادى آدم ربه باسمه " ياقدير " ، وكذا مابعده فالضمير يعود إلى آدم .

قوله رضي الله عنه :-

وَاجمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَكْ

أي : أدم لي الجمع ، وهو استغراق العبد في نور الشهود .

ويرحم الله القائل :-

محالٌ صلاحي إن فقدتك لمحة ومن غاب عنه بدره فهو مظلم

وأصحاب هذا الاستغراق الدائم هم في نعيم مقيم ، وجنة معجلة لاتعتريهم هموم ، ولا تطرقهم أحزان ولا غموم ، وأنشدوا :-

كانت لقلبي أهواء مفرقــــــة

فاستجمعت إذ رأتك العين أهوائي

وصار يحسدني من كنت أحسده

وصرت مولى الورى إذ كنت مولائي

تركت للناس دنياهم ودينهـــمُ

شغلاً بذكرك يا ديني ودنيائي

ولذة معرفته تعالى ، ومطالعة جمال حضرته ، ألذُّ من الملك الذي هو أعلى اللــذات في الدنيا . وانظر قول سيدنا ابراهيم بن أدهم [١] الـــذي ذاق اللذتـــين ووصـــل إلى المنـــزلتين : " والله لو علم الملوك مانحن عليه لجالدونا عليه بالسيوف " !! .

وإذا كانت العلوم المكتسبة من الأوراق والتعلم يقول فيها الزمخشري [٢] :-

سهري لتحصيل العلوم ألذ لي

من وصل غانية وطيب عناق

١: ابراهيم بن أدهم ، أبو اسحق ، من أهل بلخ - بخراسان - كان رضـــي الله عنـــه مـــن أبنـــاء الملـــوك والمياسير ، خرج متصيداً، فهتف به هاتف أيقظه من غفلتـــه ، فـــترك طريقتـــه في الـــتزين ، ورجـــع إلى طريقة أهل الزهد والورع ، وخرج إلى مكة ، وصحب بهـــا ســـفيان الثـــوري ، والفضيـــل بـــن عياض ، ودخل الشام فكان يعمل فيه ويأكل من عمل يده ، وبها مـــات ســـنة ١٦١ هجريـــة .

" انظر : حلية الأولياء ٣٦٧/٧ ، طبقـــات الشـــعراني ٨١/١ ، طبقـــات الســـلمي ٢٧ ، وطبقـــات ابن الملقـــن ٥ " .

٢: هكذا ورد في الأصل المخطوط ، ولعله خطأ نســـخي ، صوابـــه أنهـــا للإمـــام الشـــافعي رضـــي الله عنه، وقد وردت في ديوانه، ونصـــها كمـــا وردت :-

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي من وصل غانية وطيب عناق

وصرير أقلامي على صفحاتها أحلى من الدوكاء و العشاق

وألذ من نقر الفتاة لدفها نقري لألقي الرمل عن أوراقي

وتمايلي طرباً لحل عويصة في الدرس أشهى من مدامة ساقي

وأبيت سهران الدجى وتبيته نوماً وتبغي بعد ذاك لحاقي

" ديوان الإمام الشافعي - تحقيق د. عبد المنعـــم خفـــاجي - صفحـــة ٩٧ " .

وتمايلي طرباً لحل عويصـــــة

أشهى لنفسي من مدامة ساقي

وألذ من نقر الفتاة لعودهـــا

نقري لنفض الرمل عن أوراقي

فكيف بالعلوم الوهبية ، والمعاني الذوقية .

وهذه اللذة - أي : لذة المعرفة - التي تضيق عنها العبارة ، وتدقُّ دونها الإشـارة ، وغاية الأمر أن يقال : { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين }[1] .

وصاحب هذه الحالة هو الذي ينشد ويقول :-

ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس ساري

والناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار

ولله در القائل :-

طلعت شمس من أحب بليلٍ

فاســـتنارت فما تلاها غروب

إن شمس النهار تغرب باللي ـــــــــ

ـــلِ وشمس القلوب ليست تغيب

١: سورة السجدة - الآيـــة ١٧ .

قوله رضي الله عنه :-

وصل

أي : أدم الحيلولة .

بيني وبين غيرك

قال في لطائف المنن[1] : اعلم أن الحق سبحانه إذا تولى ولياً صان قلبـــه مـــن الأغيار، وحرسه بدوام الأنوار ، حتى قيل : إذا كان سبحانه قـــد حـــرس السـماء بالكواكب كي لا يسترق منها السمع ، فقلب المؤمن أولى لقول الله ســبحانه فيمـا

١: كتاب لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحســن " تـأليف ســيدي تـاج الديـن ابن عطاء الله السكندري - صاحب الحكم - المتوفى ســنة ٧٠٩هجريـة ، ذكـر فيـه جملاً مـن فضائل الشيخ سيدي أبي العباس المرسي وشيخه سيدي أبي الحسن الشاذلي الـتي نقـل عنـه أو سمـع منه ، ورتبه على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة ، وهو كتـــاب مطبـــوع ومتـــداول .

انظر " كشف الظنون - حـــاجي خليفــة ٢/١٥٥٤ " .

يحكيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)[1] .

[1]: وفي لفظ زيادة " اللين الوادع " ، أي الساكن المطمئن هكذا هو في القوت والرسالة القشيرية، والمشهور :" ماوسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن " ، وقال العراقي : لم أجد له أصلاً .
قال الحافظ الزبيدي في الإتحاف : وسبقه - أي الحافظ العراقي - ابن تيمة الحافظ فقال: هو مذكور في الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعناه : وسع قلبه الإيمان بي ومحبتي ومعرفتي، وإلا فمن قال : إن الله تعالى يحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده ، انتهى.
وفي المقاصد الحسنة للسخاوي ما نصه : ورأيت بخط الزركشي سمعت بعض أهل العلم يقول : هذا باطل وهو من وضع بعض الملاحدة وأكثر مايرويه المتكلم على رؤوس العوام علي بن وفا لمقاصد يقصدها ، ويقول عند الوجد والرقص : طوفوا ببيت ربكم ، انتهى .
قال السيد المرتضى : وهذا من الزركشي تحامل على الصوفية الذين هم من خواص خلق الله تعالى، ويعني بالمتكلم المذكور القطب أبا الحسن علي بن وفاء الشاذلي قدس سره ، جد السادة الوفائية ، وناهيك به جلالة وقدراً ، قد خصه الله بالفيوضات والكشوفات ما لو فتح للزركشي عين قلبه لرأى جلية الحق وتحققت له الحقائق ، ولكنه محجوب بما تلقفه من مشايخه مجبول على ربقة التقليد ، وإن كان هو علم من ربه وماكنت أرى له أن يتكلم بما قال، كيف وقد أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد بسنده عن وهب بن منبه قال : إن الله فتح السموات لحزقيل حتى نظر إلى العرش فقال حزقيل : سبحانك ما أعظمك يارب!!، فقال الله : إن السموات والأرض ضعفن عن أن يسعنني ووسعني قلب المؤمن الوادع اللين . وإلى هذا أشار ابن تيمية بقوله : مذكور في الإسرائيليات، ويشهد لصحة معناه حديث أبي عنبة الخولاني عن الطبراني " إن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين". وهذا القدر يكفي للصوفي ولا يعترض عليه إذا عزاه لحضرة الرسالة . والإنصاف من أوصاف المؤمنين ، ولا اعتراض على قول القطب عند الوجد : طوفوا ببيت ربكم ، فإن القلب بيت الرب ، وليس يعني به هذه المضغة الصنوبرية ، بل اللطيفة النورانية ، تأمل !!!!.
ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٧/٢٣٤ .

وفي التنزيل :{أليس الله بكافٍ عبده }[1] .

ويرحم الله القائل :-

فليتك تحلو والحياة مريرة   وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر   وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين   وكل الذي فوق التراب تراب

ثم **قد يقال** : كان الأولى أن يقول : " وحل بيني وبين غيرك واجمع بين وبينك". لأن التخلية - بالمعجمة - قبل التحلية - بالمهملة - ، ولأن شرط الظفر بالمعرفة والشهود تطهير القلب من الأغيار ؛ ففي الحكم : " كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته "[2].

وفيها : " فرِّغ قلبك من الأغيار تملأه بالمعارف والأسرار ربما وردت الأنوار فوجدت القلب محشواً بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت "[3].

١: سورة الزمر - الآية ٢٦ .
٢: الحكمة رقم ١٣ .
٣: الحكمة رقم ٢٠٠ .

وقيل :-

فاطرح الكون عن عيانك وامح

نقطة الغين إن أردت تراه

ويجاب : بأن هذا خاص بطريق السلوك ، وطريقة الجذب بالعكس يفجأ القلب مجيء الأنوار فتذهب جميع الأغيار ، والمجذوب السالك أتم ، قال الشيخ عبد الرزاق العثماني[1] :-

وأكمل الرجال من دون ريب

من سلك الطريق بعد الجذب

فطلب الشيخُ الأكملَ ، وهكذا وقع له ، فقد أدركه الجذب وهو ابن سبع سنين ، فطلب دوامَ الكمال ، على أن السالك أيضاً له غيبة عن الأغيار سابقة ، وهذه مكتسبة ومتكلَّفة ، والأخرى لاحقة مرتبة على الشهود كالحيلة إذ لا مستحسن مع [التجلي غير المتجلي] ، فالتجلي ناشيء عن الغيبة عن الأغيار ومثمر لها أيضاً ، كالورد والوارد .

ويرد أيضاً : أن قوله " وزُجَّ بي في بحار الأحدية ، وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى .. إلخ " ، يغني عن هذا .

ويجاب : مع أن من آداب الدعاء تكريره كما في " الحصن " [2] ؛ فإنه لما طلب الوارث أشار إلى أن ذلك لا ينافي الجمع على الله بل يحققه ، لأنه وارث المعرفة بالله .

١: مرت ترجمته .

٢: أي كتاب الحصن الحصين للعلامة شمس الدين الجزري .

قوله رضي الله عنه :-

الله الله الله

ختم كلامه بما بدأ به من الاسم الجامع ، إشارة إلى أن البدء منه ، والرجوع إليه في كل شيء ، وقد أشير إلى ذلك بقوله تعالى :{ رب العالمين .... ملك يوم الدين } أي هو موجدهم ومخرجهم من ظلمة العدم، وإليه مصيرهم .

ومن عرف هذا حق المعرفة رجع إليه طوعاً قبل أن يرجع إليه كرهاً ، وتعلق به دون غيره ، وحينئذ يكفيه ما أهمه .

في الحكم : " ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك " [1] .

وفي بعض الآثار : يقول الله تعالى : " يا ابن آدم تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلَّمت لي فيما أريد أعطيتك ما تريد ، وإن نازعتني فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد " .

وكرر ذكره تبركاً واستلذاذاً ، وليكون التكرير أعون على استحضار بعض ما انطوى تحته من المعاني ، فإنه الاسم الجامع ، بل نقول : لو كرره العارف مدى عمره

١: الحكمة رقم ٢٥ .

وجميع أنفاسه لاستفاد في كل مرة غير ما استفاد فيما قبلها ، إذ لا نهاية لكمالاته سبحانه و تعالى .

وجعل ذكره ثلاثاً ، إشارة إلى الخروج عن العوالم الثلاثة ، عالم الأفعال، وعالم الصفات ، وعالم الذوات ، فإن مراتب الفناء ثلاثة :-

فناء في الأفعال : بدوام أن لا معزّ ولا مذلّ ولا مانع ولا معطي إلا الله.

وفناء في الصفات : برؤية أن لا عالم ولا قادر ولا مريد ولا حي إلا الله ، وهكذا.

وفناء في الذات : برؤية أن لا موجود إلا الله تعالى .

وأنشدوا :-

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى　　فكان فناؤه عين البقاء

وجرَّده عن حرف النداء لئلا يشعر بالبعد استغراقاً في الله ، وفناء فيه .

وأدخل حرف النداء في قوله : " ياأول ...إلخ " تأدباً بإظهار نفسه .

وقال الجنيد رضي الله عنه [1]: ذاكر هذا الاسم ذاهب عن نفسه متصل بربه ، كما يتلمح من قوله تعالى :{ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون}[2].

١: مرت ترجمته .

٢: سورة الأنفال – الآية ٢٤ .

وقال أبو سعيد الخراز [1]: من الناس من لو تكلمت جوارحه وأعضاؤه لقالت: الله.

وقال أبو علي الدقاق [2] رضي الله عنه : كان رجل يقول : الله الله .. دائماً ، فأصاب حجر رأسه وشجه ، فوقع دمه على الأرض وكتب : الله..الله .

وقال رجل للشبلي [3]: لم تقول : الله الله ولا تقول : لا إله إلا الله ؟ ، فقال : لا أبغي به هذا ، فقال : أريد أعلى من ذلك ، فقال : أخشى أن أموت قبل تمامها

١: أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز ، من أهل بغداد ، وصحب ذا النون المصري وسرياً السقطي ، وبشر ابن الحارث ، وكنيته الخراز لاشتغاله بالخرازة ، وكان الجنيد يقول : لو طالبنا الله بحقيقة ماكان عليه أبو سعيد الخراز لهلكنا ، فإنه أقام كذا وكذا سنة يخرز فما فاته الحق بين خرزتين!. وكان رضي الله عنه ونفعنا بمحبته من أئمة القوم وجلة مشايخهم، وأول من تكلم في علم الفناء والبقاء ، وله كتب في هذا معتبرة ، منها كتاب الصدق ، وكتاب الضياء ، وكتاب الكشف والبيان، وكتاب الحقائق وغيرها. وهي رسائل صغيرة لكنها نفيسة ترسم الطريق بدقة ووضوح.

توفي رضي الله عنه سنة ٢٧٧ هجرية .

٢: الحسن بن علي النيسابوري الشافعي ، لسان وقته وإمام عصره ، كان فارهاً في العلم ، متوسطاً في الحلم ، محمود السيرة ، مجهود السريرة ، جنيدي الطريقة ، سري الحقيقة ، قال عنه الغزالي : وكان زاهد زمانه وعالم أوانه . أخذ مذهب الشافعي عن القفال وغيره ، وبرع في الأصول ، وفي الفقه والعربية حتى شدت إليه الرحال ، ثم أخذ العمل في العلم وسلك طريق التصوف ، وأخذ عن النصراباذي وزاد عليه في الحال والمقال ، وأخذ عنه الإمام القشيري صاحب الرسالة.

توفي رضي الله عنه سنة أربعمائة وست من الهجرة .

انظر : شذرات الذهب ٥/٤٠ تحقيق الأرناؤوط.

٣: سبقت ترجمته .

فأؤخذ في وحشة النفي !! ، فقال : أريد أعلى من هذا . فقال : { قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون}[1] ، فزعق السائل ، ووقع ميتاً ، فتعلق أولياؤه بالشبلي وادَّعوا عليه بدمه ، وحملوه للخليفة ، فسأله عن دعواهم فقال الشبلي : روح حنَّت ، فدعيت ، فأجابت ، فما ذنبي ؟ فقال الخليفة : خلوه لا ذنب عليه له .

وصاح شاب في مجلس الجنيد بهذا الاسم ، فقال له الجنيد : أمسك ، وإن عدت لمثلها لم تحضر مجلسنا ، فأمسك الشاب على نفسه ، وإذا به قد سقط ميتاً .

وبقي النوري[2] رحمه الله تعالى في منزله سبعة أيام لم يأكل ، ولم يشرب ، ولم ينم ، وهو يقول : الله الله ، فأخبر الجنيد بذلك فقال : انظروا أمحفوظة عليه أوقاته ؟ فقيل له : إنه يصلي . فقال : الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان عليه سبيلاً، قوموا بنا إليه ، فإما نستفيد منه ، وإما نعوده .

فلما دخل الجنيد قال : يا أبا الحسين ما الذي دهى بك ؟ فقال : قولي الله زيدوا علي وقولوها معي ، فقال له الجنيد : حتى نرى قولك : الله الله ، أبالله أم

١: سورة الأنعام – الآية ٩١ .

٢: أبو الحسين النوري أحمد بن محمد ، بغدادي المنشأ والمولد ، خراساني الأصل ، ويعرف بابن البغوي ، كان رضي الله عنه من أجلِّ مشايخ القوم وعلمائهم ، لم يكن في وقته أحسن طريقة منه، ولا ألطف كلاماً ، مات في مسجد الونيزي جالساً ، وبقي أربعة أيام لم يعلم أحد بموته ، فلم يمكن مده على المغتسل ، فلما حملت جنازته نادى الشبلي خلفه : اضربوا على الأرض المنابر فقد رفع العلم من الأرض . توفي رضي الله عنه ونفعنا بمحبته سنة خمس وتسعين ومائتين من الهجرة .

انظر : حلية الأولياء – أبو نعيم ٢٤٩/١٠ ، تاريخ بغداد ١٣٠/٥ ، طبقات السلمي ١٦٤.

بنفسك ؟ إن كنت قائلها بالله فلست القائل ، وإن كنت قائلها بنفسك فما معنى الوله؟ فقال له: نِعْمَ المؤدب أنت يا أبا القاسم ، وسكن وله .

وهذا يرد على من يذكر هذا الاسم بِوَلَهٍ واضطراب وتلعثم في اللسان ، وإظهار الغيبة عن الحس ، وليس هو كذلك حقيقة ، بل هو مناف للأدب، فإنما ينبغي أن يذكره الذاكر بسكينة ووقار ، إلا أن يغلب على حسه .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله عز وجل خلق ملائكة على عدد الحروف وسماهم بأسماء الحروف ثم قال لهم : قدسوني وعظموني ، فإني أنا الله لا إله إلا أنا ، فتضاءلت الملائكة بين يديه ، فأول من لبى الملك الذي خلق على صورة الألف وسمي باسمه ، فلما سجد صار على هيئة الهمزة ، فقال له المولى : وعزتي وجلالي لأجعلنَّ حرف الألف أول الحروف ولأجعلنَّه أول اسمي العظيم الأعظم .

ولله درُّ القائل :-

إن كنت تسعى للسعادة فاستقم
تنل المراد ولو سما أعلى سما
ألف الكتابة وهو بعض حروفها
لما استقام على الجميع تقدما

وفي الحديث : (إذا قال العبد : الله ، شهد له كل من سمعه)[1].

وقال بعضهم : إذا قال العبد : الله ، خلق الله من قوله ملكاً مقرباً لا يزال يصعد حتى يغيب في علم الله وهو يقول : الله الله ، ويترك على موضع صعوده عموداً من

١: لم أجده بهذا اللفظ فيما لدي من مصادر ، والله أعلم .

نور قد سدَّ الأفق يغلب نوره على نور الشمس ثم لا يزال ذلك العمود يتسع حتى يملأ الكون طولاً وعرضاً فلا يمر بشيطان إلا أخنسه وأذلَّه ، وربما أحرقه ، ويقول الله تعالى: يا ملائكتي هذا عبد من عبادي ، قد أجريت على لسانه اسمي الأعظم ، فوعزَّتي وجلالي لأفيضنَّ عليه نوالي وجودي ، وأنا الله الجواد الكريم ، وإني لا أختلو لاسمي إلا من ارتضيته وأوليته على دائرة حضرتي ، فهو وليي مادام يذكرني ، انتهى .

ولبعضهم :-

أحرف أربع بها هام قلبي — وتلاشت بها همومي وفكري

ألف ألف الخلائق بالصنع — ولام على السلامة تجري

ثم لام زيادة في المعاني — ثم هاء بها أهيم وأدري

تنبيه :

نقل الحطاب عن الشيخ عز الدين بن جماعة أن ذكر اسم الجلالة مفرداً بدعة إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن السلف ، وإنما هو من فعل الجهلة ، والخير كله في الاتباع ، والشر كله في الابتداع ، والمشروع من الأذكار كله جميل فعلي أو قولي ، وسلمه الحطاب، وهو خلاف ما عليه السادات الصوفية كما تقدم بعض كلامهم ، ويشهد لهم حديث : (إذا قال العبد الله الله) كما تقدم .

وفي الصحيح : (لا تقوم الساعة حتى لايبقى على الأرض من يقول الله الله)[١] فالإنكار هو الحقيق بالإنكار .

١: هكذا ورد بهذا اللفظ ، والصحيح : (لاتقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، والترمذي في كتاب الفتن وقال : حديث حسن، والإمام أحمد في المسند .

وورد : (لاتقوم الساعة على أحد يقول : الله الله) . فهذا اسم مفرد ورد مكرراً في هذا الحديث، وقد نص أجلة العلماء وجمهورهم على جواز الذكر بالاسم المفرد (الله) :

يقول العلامة ابن عابدين في حاشيته الشهيرة عند شرح البسملة وبحثه عن لفظة (الله) : روى هشام عن محمد عن أبي حنيفة أنه – أي الله – اسم الله الأعظم ، وبه قال الطحاوي : وكثير من العلماء وأكثر العارفين حتى إنه لا ذكر عندهم لصاحب مقام فوق الذكر به ، كما في شرح التحرير لابن أمير الحاج " حاشية ابن عابدين ١/ ٥ " .

وقال الإمام الجنيد قدس سره العزيز : ذاكر هذا الاسم (الله) ذاهب عن نفسه ، متصل بربه ، قائم بأداء حقه ، ناظر إليه بقلبه ، قد أحرقت أنوار الشهود صفات بشريته " .

وقال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه : " ليكن ذكرك [الله ، الله] فإن هذا الاسم سلطان الأسماء ، وله بساط وثمرة ، فبساطه العلم ، وثمرته النور ، وليس النور مقصوداً لذاته، بل لما يقع به من الكشف والعيان ، فينبغي الإكثار من ذكره واختياره على سائر الأذكار ، لتضمنه جميع مافي [لاإله إلا الله] من العقائد والعلوم والآداب والحقائق ، إلخ .

وقال العارف بالله تعالى سيدي ابن عجيبة الحسني : " فالاسم المفرد (الله) هو سلطان الأسماء، وهو اسم الله الأعظم ، ولا يزال المريد يذكره بلسانه ، ويهتز به حتى يمتزج بلحمه ودمه ، وتسري أنواره في كلياته وجزئياته ، ... إلى أن قال: " فينتقل الذكر إلى القلب ثم إلى الروح ، ثم إلى السر، فحينئذ يخرس اللسان ويصل إلى الشهود والعيان " .

انظر : تجريد ابن عجيبة على شرح متن الأجرومية صفحة ١٥ .

فتمسك أيها المريد الصادق بذكر الاسم المفرد (الله) إذا كنت مأذوناً به من مرشد كامل ، فإنه أسرع في قلع عروق النفس من منابتها من السكين الحاد .

وقال بعضهم : ما دمت ترى في الوجود وأردت الذكر فالأولى النفي بـ "لاإلـه" فإن غبت عن الأكوان فاقتصر على الاسم حينئذ .

وقال الشيخ محيي الدين : الوقف على الهاء بالسكون ، وقطع الهمزة ، فإن فتح الهاء وأسقط الهمزة التي تليها كأنما يقول :"هلاّ " ، فلا ينتفع بذكره ، لأن هذا ليس من الأسماء .

نقلاً عن كتاب حقائق عن التصوف لسيدي عبد القادر عيسى رحمه الله رحمة الأبرار بجاه سيد الأخيار صلى الله عليه وسلم .

قوله رضي الله عنه :-

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ

الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أي : الذي أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به . أي : إن الذي حمَّلك صعوبة هذا التكليف ليثيبك عليه بثواب لايحيط به الوصف . فالتنكير للتعظيم ، أو : لرادُّك إلى معاد خاص ليس لغيرك من البشر ، فالتنكير للتنويع .

ثم يحتمل أن المثوبات التي يثيبه الله بها من التكريم والترفيع عنده مما لا يكيف .

ويحتمل أنه المقام المحمود الذي وعده به ربه في قوله :{عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً }[١] وهو مقام شفاعته العظمى . ولذلك كان سؤال ذلك يوجب نيل شفاعته؛ ففي الصحيح عن جابر وغيره عنه صلى الله عليه وآله وسلم : (من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلَّت له شفاعتي يوم القيامة)[٢] .

١: سورة الإسراء – الآية ٧٩ .

٢: أخرجه البخاري في كتاب الأذان – باب الدعاء عند النداء ١٥٩/١ ، والإمام أحمد في المسند ٣٥٤/٣ ، والنسائي ٢٧/٢ ، وأبو داود رقم ٥٢٩ ، وابن ماجة في السنن ٧٢٢ كلهم عن جابر رضي الله عنه .

وفي الصحيحين والترمذي عن أبي هريرة : (كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوة فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة فقال : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وهل تدرون بم ذلك ؟ يجمع الله [يوم القيامة]الأولين والآخرين في صعيد واحد فينظرهم الناظر ويسمعهم الداعي ، وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لايطيقون ، ولا يحتملون ، فيقول الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه ؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم ؟ فيقول بعضهم لبعض: أبوكم آدم . فيأتونه ، فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك الجنة ، ، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى مانحن فيه ومابلغنا؟ فيقول آدم عليه السلام : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت ، نفسي ....نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح عليه السلام ، فيأتون نوحاً عليه السلام ، فيقولون : أنت يانوح أول الرسل إلى الأرض ، وقد سمّاك الله عبداً شكوراً ، ألا ترى لما نحن فيه ألا ترى إلى مابلغنا ؟ ألا تشفع لنا ؟ فيقول : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب ، وإني قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي ، نفسي ...نفسي ...نفسي، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى ابراهيم ، فيأتون ابراهيم عليه السلام فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربنا ، ألا ترى مانحن فيه ؟، فيقول : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات ـــ وذكرها ـــ نفسي ..نفسي ..نفسي ، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى عليه السلام ، فيقولون : يا موسى أنت رسول الله ، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى مانحن فيه ؟

فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها نفسي ..نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى عليه السلام ، فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في المهد، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم فيقولون : يامحمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وماتأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ .

فأنطلق إلى تحت العرش فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد من قبلي ، ثم يقال لي : يا محمد ....ارفع رأسك ، سل تعط ، واشفع تشفّع ، فأرفع رأسي فأقول : أمتي يا رب أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، فيقول : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : والذي نفسي بيده إن بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى) [١] .

١: أخرجه البخاري في ٦٥ – كتاب التفسير ، ١٧ سورة الإسراء ، ٥ باب ذرية من حملنا مع نوح .

ومسلم في : ١ – كتاب الإيمان ، ٨٤ ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ، الحديث ٣٢٧ ١/١٨٤ – ١٨٦.

والبيهقي في دلائل النبوة ٥/٤٧٦-٤٧٩ .

وزاد في رواية في قصة ابراهيم – : فذكر قوله في الكوكب "هذا ربي" [١] وقوله لآلهتهم : " بل فعله كبيرهم " [٢] ، وقوله " إني سقيم " [٣] .

وأتى الشيخ – رضي الله عنه – بالآية [٤] إشعاراً بالرجوع إلى الشهود الحقيقي بعد اختياره التفسير الأول ، أو النبي صلى الله عليه وسلم إذا وعد بأمر دخل أتباعه على حسب مراتبهم ، والشهود هو المقصود عند العارفين من الثواب .

وفي الحكم : " النعيم وإن تنوعت مظاهره فإنما هو بشهوده واقترابه " [٥]

وقد ذكروا أن موت العارفين مجرد انتقال إلى النعيم المقيم .

ومما ينسب إلى الغزالي :–

قل لإخوانٍ رأوني ميتاً فبكوني ورثوني حزنا
أتخالون بأني ميتكم ليس ذاك المَيْت والله أنا

إلى أن قال :

كنت قبل اليوم ميتاً بينكم فحييت وخلعت الكفنا

١: في قوله تعالى : " فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي " سورة الأنعام – الآية ٧٦.

٢: في قوله تعالى : { بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون } سورة الأنبياء – الآية ٦٣ .

٣: سورة الصافات – الآية ٨٨ .

٤: أي قوله تعالى : { إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد } سورة القصص – الآية ٨٥.

٥: الحكمة رقم ٢١٦ .

وأنا اليوم أناجي ملكاً وأرى الحق جهاراً علنا

ثم قال :

لا ترعكم هجمة الموت فما هي إلا نقلة من ههنا
لا تظنوا الموت موتاً إنه لحياة هو غايات المنا
فاخلعوا الأجسام عن أنفسكم تنظروا الحق جهاراً علنا

وذكر أن رجلاً يسمى عبد الكريم بن حسن من بلاد المغرب ، لما قرب أجله ، وأطلعه الله عليه ، أمر صاحباً له أن يأتي بعد صلاة الظهر لمنزله ليغسله ، ويكفنه ويدفنه ، فقال له : لو كان معي آخر ! فقال له : ستجده ينتظرك هناك . فلما كان الظهر ، جاء الرجل لمنزل عبد الكريم ، فوجده قد مات ، ووجد الرجل ينتظره ، فغسلاه ، وجهزاه ، فلما فرغا من ذلك قال ذلك الرجل : لا إله إلا الله ، ثم طلبه فلم يجده !! فعلم أن ذلك الشخص روحه تصورت في صورة هيكله .

ولتوصلهم بالموت للمنى كانوا يتمنونه كما قيل :–

ولقد أصاب معبِّرٌ عن حالهم فاسمع مقالاً صادقاً مقبولا
إن الألى ماتوا على دين الهدى وجدوا المنية منزلاً معسولا

وانظر قول سيدنا بلال – رضي الله عنه – : واطرباه ، انتهى .

وقال رجل لعبد الله بن منازل [١] : رأيت في المنام أنك تموت إلى سنة ، فقال : أملت إلى أمر بعيد .

١: عبد الله بن محمد بن منازل أبو محمد النيسابوري ، من جلة مشايخ الصوفية ، صحب حمدون القصار وأكثر عنه ، وكان عالماً بعلوم القوم ، وكتب الحديث الكثير ، من كلامه رضي الله

ووجد بخط سيدي رضوان [1] بعد موته : قرب الرحيل إلى الحبيب أهلاً بـه أهـلاً وسهلاً ومرحبا . وكان ذلك بكتابة غير بينة بشدة .

وقيل : " المعاد " مكة ، ونكّر لأنها كانت في ذلك الوقت معلوماً له شأن لظـهور الإسلام برجوعه إليها يوم الفتح ، والسورة مكية فوعده وهو بمكة في أذى وغلبة مـن أهلها .

وقيل : نزلت الآية بالحج وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه ، وحـرم ابراهيـم ، فنـزل جبريل – عليه السلام – وقال له : أتشتاق إلى مكة ؟ فقـال لـه : نعـم . فأوحاها إليه .

و" فرض " على هذا بمعنى : أنزل . أي الذي اعتنى بشأنك وأهّلك بالكتاب المعجز الذي أظهره به دينك على الأديان ، لمتمم لك ذلك بقهر أعدائك ، وردك ظـافراً إلى مولدك ومولد آبائك .ويصح تفسير :" فرض " بـ " أنزل " على الوجه الأول أيضاً .

ويؤيده أيضاً قوله بعد :{وماكنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب } [2].

عنه: " أقلّ الناس معرفة بنفسه من ظن أنه يجيء من نفسه شـيء " وقـال : " عـبر بلسـانك عـن حالك ، ولا تكن بكلامك حاكياً أحـوال غـيرك " .

توفي رضي الله عنه ونفعنا بمحبته بنيسابور سـنة ٣٢٩هجريـة .

انظر : طبقات السلمي ٣٦٦ ، طبقات ابن الملقـن ٣٤٥ ، طبقـات الشـعراني ١/١٢٦ .

١: أي سيدي رضوان الجنوي ، مـرت ترجمتـه .

٢: سورة القصص – الآيـة ٨٦ .

ولما اشتاق صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة لأن بها بيت الله ، وقـرار الأنبيـاء ونزول الرحمة ، ونشأته الكريمة ، اشتاقت هي إليه أيضاً حقيقة – على الصحيـح إذ حنين الجمادات إليه صلى الله عليه وآله وسلم أمر معلوم [1].

وفي الهمزية [2] :-

ونحا المصطفى المدينة واشتا   قت إليه من مكة الأنحاء

ولسيدي رضوان رضي الله عنه :-

ولما دنت هجرة المصطفـى   وأفجع مكة منه انصـرام
فصاحت وضجت ورنّت بكا   بكى لبكاها جميع الأكـام
وقالت أتفجعني بالفـراق   فيا ليتني ذقت قبل الحمام
ألست بأم وأنت الوليـد   ألست بمهدك قبل الفطام
وفيّ ربيت وفيّ نشـأت   وفيّ أتاك رسول الكـرام
فيارب صبراً لـفقد الحبيب   تصدع قلبي ، حرمت المنـام
فؤادي تفتت من كمـد   دموعي جرت مثل صب الغمام
عليك [...] [3] ومصباح قلبي   فمن عاذري من جميع الأنـام

١: كما جاء في حنين الجذع الذي كان يخطب عنده رسول الله صلى الله عليـه وسـلم حـين جـاوزه إلى المنبر . الحديث أخرجـه البخـاري في ٦١ – كتـاب المنـاقب ٢٥ بـاب علامـات النبـوة في الإسلام ، الحديث ٣٥٨٤ ، فتح الباري ٦/٦٠١، وفي الصلاة ، وفي البيـوع ، عـن أبي نعيـم .

٢: أي همزية الإمام البوصيري رضي الله عنه والـتي أولهـا :

كيف ترقى رقيك الأنبياء   ياسماء ما طاولتها سماء

٣: مابين المعقوفتين كلمة مطموسة لم أتبينـها ، والله أعلـم .

الصبر لا ، والذي خصه بخير الحياة ورفع المقام
سأبكي عليه بطول الحيا ة وبعد الممات بكى المستهام

وتذكر حنين الجذع إليه [1] : روى غير واحد عن أنس وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يسند ظهره يوم الجمعة إلى جذع منصوب في المسجد ، فيخطب الناس ، فلما كثر الناس قال : ابنوا لي منبراً، أراد أن يسمعهم ، فبنوا له عتبتين ، فتحوَّل إلى المنبر ، فخار الجذع كما يخور الثور حتى ارتج المسجد لخواره حزناً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فنزل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المنبر فالتزمه ، فسكت ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لايزال هكذا حتى تقوم الساعة ، وأمر به فدفن .

وكان الحسن إذا حدّث بهذا الحديث بكى وقال : يا عباد الله !! الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شوقاً إليه ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه .

ولله در القائل :-

وألقي حتى في الجمادات حبه فكانت لإهداء السلام له تهدى
وفارق جذعاً كان يخطب عنده فأنّ أنين الأم إذ تجد البعدا
يحن إليه الجذع يا قوم هكذا أما نحن أولى أن نحنّ له وجدا
إذا كان جذع لم يطق بُعدَ ساعة فلبس وفاء أن نطيق له بُعدا

١: وقد مر تخريج حديثه .

وعلى هذا فأتى بالآية إشارة إلى الظفر بالتلاق والرؤية العينية التي هي أعظم النعيم وهي الزيادة في حبه . وآية :{للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} [1] ، نُكِّرت للتعظيم .

وروى مسلم حديثاً : (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى : أتريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ونجيتنا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم) [2] .

وفي رواية : ثم تلا :{ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة } .

وأكد الخبر بـ "أن" لكونه مستغرَباً في نفسه .

١: سورة يونس – الآية ٢٦ .

٢: رواه البخاري في صحيحه ١٤٤/٨ ، ومسلم في كتاب الإيمان ٢٩٧ ، والحاكم ٨٢/١ ، وابن حبان الحديث رقم ٢٦٤٧ ، وانظر كنز العمال الحديث رقم ٣٩٢٠٤ و ٣٩٣٣٢ .

ومما يجب أن يعتنى به قوله :-

رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا

هذا دعاء أهل الكهف [1] حين إيوائهم إلى الله وانقطاعهم عن بلادهم وأموالهم وعشائرهم ، لما حصل لهم من الأنس بالله ، وقد تقدم قول أبي الغرس [2] : "مولاي أنسك لم يدع لي وحشة إلا محا ظلماتها بسناه "، مولاي لا آوي لغيرك إنه حرم الهدى من لم تكن مأواه " .

وبحصول الأنس لهم به أقبلوا على خطابه والتوجه إليه ، وطلب زيادة الهداية ، والثبات عليها ، وقدم : (مِن لَّدُنكَ) على (رَحْمَةً) وإن كان أصله أن يكون وصفاً له لأن مرادهم التستر ، فقوة طلبهم متوجهة إلى كون الرحمة منه إليهم بلا واسطة بخلاف قوله تعالى :{ آتيناه رحمة من عندنا } [3] فلم يقصد هذا المعنى وعبَّر

١: في قوله تعالى : { إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا}
سورة الكهف – الآية ١٠ .

٢ : تقدمت ترجمته .

٣: في قوله تعالى : { فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما }
سورة الكهف – الآية ٦٥.

بـ " لدن " دون "عند" لما في " لدن " من الدلالة على الملاصقة المعنوية ، قاله أبو حيان في بحره . ففيها تأكيد لنفي الواسطة وتنكير " رحمةً " و "رشداً " للتعظيم .

ومعنى : "هَيِّئْ " : يسِّر ، و " مِن" بمعنى : في ، أو تجريدية ، أي : اجعل " أَمْرِنَا" غاية في الرشد حتى كأنه أصلٌ له .

والشيخ رضي الله عنه وقع بالآية على نبذ جميع الأغيار [1] ، واطراح كل ما سوى الواحد القهار ، طالباً أن تهب عليه نفحات الرحمة من ربه ، وأن يكون أمره كله رشداً وخيراً ، وأن يكون له حظٌ من حال أهل الكهف في الخفاء عن الأضداد والأغيار ، لأن ذلك اعتناء من الحق بهم ، وإعزازٌ لهم .

قال أبو عبد الله البصري : لقيت السبعة المخصوصين من الأبدال ، فقلت : علِّموني شيئاً ، قالوا : لا تحب أن تُعرَف ، ولا تحب أن يعرف أنك ممن لا يحب أن يُعرَف ، انتهى .

وكما أن تنكير "رحمة " للتعظيم قبل التوقيع ، فكذا بعده كأنه يقول : آتنا من لدنك رحمة عظيمة تعم أتباعنا ، وتنسحب على من استند إلينا وتعلق بنا ، كما انسحبت الرحمة على كلب أهل الكهف فحسب عليهم ويُذكر بذكرهم .

ولله در القائل :-

صاحب ذوي المجد تسعد من كرامتهم
واخدمهمُ صادقاً و اصدقهمُ خبرا

١: والأغيار كل ما سوى الله تعالى .

كم صحبة طوّقت من يمنـــها درراً
وصحبة ألحقت من شؤمها ضررا
وشاهدي كلب أهل الكهف مع ضعة
من أجل صحبتهم في الوحي قد ذكرا

وإنما تبعهم الكلب لأنه كان لراع انضاف إليهم، وخرج معهم .

وذكر المفسرون أنهم قالوا للراعي : اصرف هذا الكلب عنا ، فقال : لا يمكنـــني لأنني ربَّيته ! ، ويقال : جعلوا يضربونه ، فأنطقه الله فقال : لم تضربـــوني ؟ قـــالوا : تنصرف عنا . قال : كيف وقد ربّاني هذا أن لا أتركه ؟، ويقال : بنطقه لهم ربط الله على قلوبهم بأن ازدادوا يقيناً بسماعه . وأنه قال لهم : الذي أخذكم أخذني ، أي من الإيمان واليقين . قالوا : وما علامة صحته ؟ قال : أنتم تخـــافون بـــلاء يصيبكـــم في المستقبل ، وأنتم بلائي في الحال، والبلاء الذي تخافونه من الأعداء ، وبلائي منكـــم ، وأنتم الأولياء .

ولما لم ينصرف عنهم قالوا : سبيلنا أن نحمله على أعناقنا لئلا يستدل علينا بآثـــار قدمه ، فكانوا في الابتداء للكلب منايا [1]، وفي الانتهاء مطايا .

١: لما ضربوه وأرادوا أن يطردوه عنهم ، فكانوا كالمنايا ، ثم لما حملوه على أكتافـــهم حـــتى لا يظـــهر أثـــر أقدامه صاروا له مطايـــا .

وقال أبو بكر الورّاق [1] : مجالسة الصالحين ومجـــاورتهم تؤثـــر في الخلـــق وإن لم يكونوا أجناساً ، ألا ترى كيف ذكر أصحاب الكهف ، وذكـــر كلبـــهم معـــهم لمجاورته لهم؟.

وتقدم حديث : (من أحب قوماً حشره الله في زمرتهم) [2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (مولى القوم من أنفسهم) [3] ، وهـــو حديـــث صحيح .

وأخرج ابن عساكر عن الحسن بن الحسن قال : (كان حيٌ من الأنصار لهم دعوة سابقة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا مات منهم ميت جاءت سحابة من السماء فأمطرت قبره ، فمات مولى لهم ، فقال المسلمون لننظرن اليوم إلى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (مولى القوم من أنفسهم) فلما دفن جاءت ســـحابة فأمطرت قبره .

ومن هنا حسُن التعلق بالأولياء ، والتشبث بأذيالهم ـــ رضي الله عنهم .

١: هو محمد بن عمر الحكيم ، أبو بكر الوراق ، أصلـــه مـــن ترمـــذ ، وأقـــام ببلـــخ ، لقـــي أحمـــد بـــن خضرويه وغيره ، وصنـــف في الرياضـــات والمعـــاملات ، مـــن كلامـــه : " مـــن أرضـــى الجـــوارح بالشهوات غرس في قلبه شجر الندامـــــات " .
توفي رضي الله عنه ونفعنا بمحبته سنة ٢٤٠ مـــن الهجـــرة .
انظر : حلية الأولياء ٢٣٥/١٠ ، طبقات الشعراني ١٠٦/١ ، طبقـــات ابـــن الملقـــن ٣٧٤ .
٢: مر تخريجـــه .
٣: رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أنس رضي الله عنه . " الجـــامع الصغـــير ٥٦٧/٢ الحديـــث رقـــم ٩١٢٤ .

ولسيدي رضوان رضي الله عنه :-

فنحن كلاب الدار طبعاً و لم نزل   نحب مواليها ونحرس بابها
إذا طردت يوماً كلاب قبيلـــــة   فقومي كرام لاتهين كلابها

وعن بعض الصالحين : أنه رأى رجلاً بعد وفاته في النوم ، فقال له : ماذا فعـــل بك؟ ، قال : لما أدخلت القبر ، جاءتني زبانية العذاب ، فقلت : أما تعرفوني ؟ فقـــال واحد منهم : ومن أنت ؟ قلت : أنا خديم أبي يزيد البسطامي . فقـــال لأصحابـــه : دعوه حتى نسأل أبا يزيد . فأتوا أبا يزيد فقالوا : إن هذا الرجل ادعى صحبتك فقال: لا أعرفه!! وليس كما قال . فقال الرجل : سبحان الله ما أسرع ما ينسى النـــاس !!! أما تذكر يوماً كنت خارجاً من المسجد الفلاني ، وتحت إبطك ثـــوب ، وأردت أن تنتعل نعلك ، فمنعك الثوب فناولتنيه ، فأمسكته لك حتى انتعلت ؟ فقال : نعـــم . فخلوا سبيله وانصرفوا .

فأدنى انتساب لهم وأقل قرب منهم نافع .

ولله در القائل :-

يا سادتي و موالي   وخير وال وآل
مالي سواكم حصون   من حادثـــات الليالي
أنا الفقير إليكـــــم   أنا غبار النعـــــال
وكل من كان منكم   في السهل أو في الجبال
فرجله فوق رأســـي   وحبه رأس مالي
فقابلوني بفضل   وحسِّنوا سوء حالي

وغير خاف عليكم   أني من الخير خالـــــي
حاشاكم أن تضنـــوا   بمقصدي و سؤالـــــي
وفيضكم في ازدياد   وجودكم في توالـــــي

ولبعضهم :-

يا رجال الإله يارجال الإله   إن عُبَيداً لاذ من أجلكم بركن قوي
فاقبلوه بفضلكم وارعوه   واشفعوا فيه للإله العلي

وفي حديث أنس مرفوعاً : (أكرموا القُرَّاء فإن لهم يوم القيامة دولة . قالوا: ومـــا دولتهم يا رسول الله ؟ قال : ينادي مناد من بطنان العرش : يا جبريل قرِّب أحبـــائي. فيقول : يا رب ومن أحباؤك ؟ فيقول : قُرَّاء أمة محمد صلى الله عليه وآله وســـــلم. قال: فيجمعهم في صعيد واحد ، فيطلع المولى سبحانه عليهم يقول : ادخلوا الجنة بغير حساب عليكم ، فيقولون : إلهنا ومن أحبنا فيك ومن برّنا لك وأكرمنـــا لأجلـــك ، فيقول الله تعالى : دوروا في الجمع فمن أحبكم فيّ وبرّكم لي وأكرمكم لأجلي ولـــو بلقمة أو بشربة فأدخلوه معكم في الجنة) [١].

١ : لم أجده فيما لدي من مصـــادر ، والله أعلـــم .

قوله رضي الله عنه :-

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

أي : إن الله مع ماهو عليه من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال ، وملائكته الذين هم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، يصلون على النبي . قال البيضاوي : يعتنون بإظهار شرفه ، وتعظيم شأنه .

و(**النبي**) : علم بالغلبة على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو بالهمز – أي : نبيء – من النبأ ، أي : الخبر ، لأنه مُخبَرٌ أو مُخبِر عن الله بصيغة الفاعل أو المفعول ، فهو بمعنى منبيء أو منبأ . وبتشديد الياء – أي : نبيّ – من النبوة ، أي: الرفعة ، لأن النبي مرفوع الرتبة على غيره من الخلق .

(**ياأيها الذين آمنوا**) : خطاب لجميع الأمة إلى يوم الدين ، وعمومه بالشرع لا اللغة .

(**صلّوا عليه**) : عظموه ، بالدعاء له بالصلاة من الله تعالى ، بدليل أنه: (لما نزلت الآية قالوا : كيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد) كذا عند ابن أبي حاتم .

ووقع في الصحيحين بلفظ : (كما صليت على ابراهيم إنك حميد مجيد)[١] وحمل على أن لفظ (آل) مقحم .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو السبب في وجود هذا العالم وواسطة العقد له ، وعروس مملكته ومرتبة التمام ، ومسك الختام ، أشاد تعالى ذكره في العالم العلوي عند الملائكة ، وفي العالم السفلي ليمتليء الكون من ذكره حتى يكون كله خادماً له كما مقتضى كونه الرئيس ، وكونه هادي الخلق كافة .

وكذلك أيضاً رفع الله اسمه ، وكتبه في العرش وغيره : روى ابن عساكر عن كعب الأحبار " أن الله أنزل على آدم عصياً بعدد الأنبياء والمرسلين ، ثم أقبل على ابنه شيث فقال : أي بني أنت خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى ، وكلما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد فإني رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الروح والطين، ثم إني طفت في السموات فلم أر في السموات موضعاً إلا رأيت اسم محمد مكتوباً عليه ، ولقد رأيت اسم محمد مكتوباً على نحور الحور العين ، وعلى ورق قصب آجام الجنة ، وعلى ورق شجرة طوبى، وعلى ورق سدرة المنتهى ، وعلى

١: عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد ابن عبادة – رضي الله عنه – فقال له بشير بن سعد – رضي الله عنه – : قد أمرنا الله أن نصلي عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : " قولوا: اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم ، والسلام كما علمتم " .

رواه مسلم في صحيحه ٤٠٥ ، وأبو داود في سننه الحديث ٩٨٠ ، والترمذي ٣٢٢٠ ، والنسائي ٣/٤٥ ، وابن حبان ١٩٥٨ ، ومالك ١/١٦٥ ، والشافعي ١/٩٠ ، والإمام أحمد في المسند ٤/١١٨، و ٥/٢٧٣ من حديث أبي مسعود .

أطراف الحجب ، وبين أعين الملائكة ، فأكثر ذكره فإن الملائكة تذكره في كل ساعاتها :-

بدا مجده من قبل نشأة آدم

فأسماؤه في العرش من قبل تكتب

وروى الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (لما عرجت إلى السماء مامررت بسماء إلا وجدت اسمي فيها مكتوباً "محمد رسول الله " وأبصر من خلفي) .

ووجد على حجارة قديمة مكتوب : محمد تقي مصلح ، ذكره في الشفاء[1].

و[وجد]على حجر بالخط العبراني " باسمك اللهم ، جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وكتبه موسى بن عمران.

ذكره ابن ظفر عن معمر عن الزهري .

وشوهد – كما في الشفاء – في بعض بلاد خراسان مولود وله على أحد جنبيه: لا إله إلا الله ، وعلى الآخر : محمد رسول الله .

وببلاد الهند ورد أحمر مكتوب عليه بالأبيض : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وعن علي بن عبد الله الهاشمي أنه وجد ببعض قرى الهند وردة كبيرة طيبة الرائحة، سوداء ، عليها بخط أبيض : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق . قال : فشككت في ذلك وقلت : إنه معمول! فعمدت إلى واحدة لم تفتح

١: وقد عقد القاضي عياض رحمه الله في كتابه " الشفاء " فصلاً خاصاً في أسمائه صلى الله عليه وسلم ، وذكر منها المصلح والحاشر والعاقب والماحي وغيرها من الأسماء فراجعه ثمة .

فكان فيها مثل ذلك ، وفي البلد منه كثير ، وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة لا يعرفون الله تعالى .

وفي روض الرياحين لليافعي عن بعضهم : أنه وجد ببلاد الهند شجرة تحمل ثمراً كاللوز له قشر إذا كسر خرج منه ورقة خضراء مكوية مكتوب فيها بالحمرة :" **لا إله إلا الله محمد رسول الله** "، والناس يتبركون بها ، قال: فحدثت بذلك أبا يعقوب الصياد فقال : لا أستعظم هذا ، كنت أصطاد على نهر ، فاصطدت سمكة على جنبها الأيمن : لا إله إلا الله ، وعلى الأيسر : محمد رسول الله ، فقذفتها في الماء احتراماً لها.

وفي شرح البردة لابن مرزوق عن بعضهم : أنه أتى بسمكة في أحد شحمتي أذنيها : لا إله إلا الله ، وفي الآخر : محمد رسول الله .

وعن ابن جماعة : أنه وجد سنة سبع أو تسع وثمانمائة حبة عنب فيها بخط بارع أسود : محمد .

وفي كتاب " النطق المفهوم " [1] عن بعضهم : أنه رأى في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب فيه بالحمرة والبياض في الخضرة في السطر الأول: لا إله إلا الله ، الثاني : محمد رسول الله . الثالث : إن الدين عند الله الإسلام .

(**وسلِّموا**) قال البيضاوي : قولوا : " السلام عليك "، وانقادوا لأوامره.

(**تسليماً**) أي : صلوا عليه صلاة ، وسلموا عليه تسليماً .

١: كتاب " النطق المفهوم " لأبي الفرج ابن الجوزي ، وهو من أغرب تصانيفه رحمه الله تعالى ، وأوله : " الحمد لله مستحق الحمد في جميع الحالات بلا ارتياب " ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون – ٢/١٩٥٩ " .

ثم بعد تلاوة الآية قال – على سبيل الامتثال والإجابة – :

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ

آل الرجل : من يؤول أمرهم إليه بنسب أو دين . وهذا الثاني ينبغي أن يراد هنا.
ويؤيده ما أخرجه الطبراني في الأوسط ، وابن مردويه عن أنس: (سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن آل محمد ؟ قال : كل تقي).
ذكره السيوطي [1].

وَصَحبِهِ

هو اسم جمع صاحب بمعنى الصحابي ، وهو : من اجتمع مؤمناً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن لم يره ، وإن لم يرو عنه ، وإن لم تطل صحبته له ، بشرط عدم

١: في الحديث الذي رواه الطبراني في الأوسط ، بسنده عن أنس رضي الله عنه : " آل محمد كل تقي ".
الجامع الصغير – السيوطي ١/٥ الحديث رقم ١٥ .

الارتداد بعده [1].

وعطفه على الأول الشامل لبعضهم لتشمل الصلاة باقيهم

وَسَلِّمْ تَسلِيماً

١: وقال الإمام النووي – رضي الله عنه – في تهذيب الأسماء واللغات : " اختلف في الصحابي على مذهبين ؛ الصحيح الذي قاله المحدثون والمحققون من غيرهم :" أنه كل مسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ساعة " وبهذا صرح البخاري في صحيحه ، والباقون ، وسواء جالسه أم لا ، والثاني واختاره جماعة من أهل الأصول وأكثرهم أنه : من طالبت صحبته له صلى الله عليه وسلم ومجالسته على سبيل التبع . قال الإمام القاضي أبو بكر الباقلاني : لاخلاف بين أهل اللغة أن الصحابي مشتق من الصحبة جار على كل من صحب غيره قليلاً أو كثيراً ، يقال : صحبه شهراً يوماً ساعة ، وهذا يوجب في حكم اللغة اجراء هذا على من صحب النبي صلى الله عليه وسلم ولو ساعة ، وهذا هو الأصل، ومع هذا فقد تقرر للأئمة عرف في أنهم لايستعملونه إلا فيمن كثرت صحبته واتصل لقاؤه ، ولا يجري ذلك على من لقي المرء ساعة ومشى معه خطىً ، وسمع منه حديثاً ، فوجب أن لا يجري في الاستعمال إلا على من هذا حاله، هذا كلام القاضي المجمع على إمامته مطلقاً ؛ وفيه تقدير للمذهبين، ورد لحكاية السمعاني عن أهل اللغة حيث قال : الصحابي من حيث اللغة والظاهر يقع على من طالت صحبته ومجالسته على طريق التبع والأخذ ، قال : وهذا طريق الأصوليين.
وأما قول الفقهاء وأصحاب الشافعي وأصحاب أبي حنيفة فمجاز مستفيض للموافقة بينهم ، وشدة ارتباط بعضهم ببعض ، كالصاحب ، ويجمع صاحب على صحب ، كراكب وركب، وصحاب كجائع وجياع ، وصحبة ، كـ : فاره وفرهة ، وصحبان كشاب وشبان ، والأصحاب جمع صحب كفرخ وأفراخ ، والصحابة الأصحاب وجمع الأصحاب أصاحيب .
انظر : تهذيب الأسماء واللغات ـ الإمام النووي ١٧٢/٣ .

سُبْحَانَ رَبِّكَ

أي : تنــزيهاً له عما لا يليق به من النقائص .

رَبِّ الْعِزَّةِ

الموصوف بالغلبة والقهر .

عَمَّا يَصِفُونَ

من النقص ، كقولهم الملائكة بنات الله ، كما حكاه عنهم سابقاً بقوله:{فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون }[1] إلخ .

ولما ذكر في هذه السورة[2] جماعة من الأنبياء مع التسليم عليهم ختمت بالتســـليم على جميع المرسلين عموماً فلذا قال :

وَسَلَامٌ

أي سلامة وفخر وشرف .

عَلَى الْمُرْسَلِينَ

المبلغين للشرائع ، الواصفين له تعالى بما هو أهله .

١: سورة الصافات – الآيـــة ١٤٩ .

٢: أي سورة الصافات . وفيها ذكـــر مـــن الأنبيـــاء والمرســـلين " نـــوح ، وابراهيـــم ، واسمـــاعيل ، واسحق ، وموســـى ، وهـــارون ، وإليـــاس ، ولـــوط ، ويونـــس " وختـــم الله الســـورة بقولـــه : {سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرســـلين والحمـــد لله رب العـــالمين } .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

أي : كل ثناء جميل يستحقه على الحقيقة .

رَبِّ الْعَالَمِينَ

مالكهم وخالقهم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم : (لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس).

أخرجه مسلم والترمذي [1] .

وروى الترمذي أيضاً أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : (التسبيح نصف [الإيمان] [2] والحمد لله تملأ الميزان ، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص

1: رواه مسلم والترمذي بسندهما عن أبي هريرة رضي الله عنه . " الجامع الصغير ٢/٣٤٢ الحديث رقم ٧٢٠٤ .

2: هكذا وردت في الأصل المخطوط ، وفي الترمذي [نصف الميزان] ، الجامع الصغير ١/٤٥٨ الحديث رقم ٣٤٠٣ .

إليه) [1] .

وعن **أبي هريرة** رضي الله عنه ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم : (كلمتان خفيفتان **على اللسان** ، **ثقيلتان** في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن " سبحان الله وبحمده سبحان **الله العظيم)** أخرجه الشيخان والترمذي [2] .

1: رواه الترمذي بسنده عن ابن عمرو ، ورمز السيوطي لصحته " المرجع السابق نفسه " .

2: رواه الشيخان ، والإمام أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه بسندهم عن أبي هريرة رضي الله عنه . " الجامع الصغير – ٣/٢٤٥ الحديث رقم ٦٣٧٦ " .

انتهى بحمد الله وحسن عونه ، وتوفيقه الجميل ، وبمنه وكرمه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

وآخر دعوانا

أن الحمد لله رب العالمين .[1]

---

[1]: كمل بحمد الله تعالى وفضله وحسن عونه وتوفيقه العمل على خدمة هذا الكتاب الشريف عن نسخة مخطوطة في قسم المخطوطات ومصوراتها لدى دار الكتب الوطنية في المجمع الثقافي ، وذلك في صباح يوم الأحد الحادي عشر من جمادى الأولى لسنة عشرين وأربعمائة وألف من هجرة من له العز والشرف ، الموافق ١٩ اكتوبر (تشرين أول) لسنة ١٩٩٩م. في مدينة أبوظبي المحمية بحماية الله ، عاصمة دولة الإمارات العربية .

سائلاً المولى الكريم بجاه نبيه العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، وهدية لجناب رسوله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ، ومجد وعظم ، ووالى عليه وأنعم ، ونستغفر الله تعالى من كل عمل يخالف شرعه ، ونبرأ مما زل به القلم ، والخاطر واللسان ، والجنان، ونسأله القبول بجاه سيدنا الرسول ، وأن يجعله نوراً لنا في قبورنا وفي حشرنا ونشرنا ، وعلى الصراط حتى نلقى نبينا وهو راض عنا ، وغفر الله لعبد قال آمينا .

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك مما لا نعلمه ، ونصلي ونسلم على نبيك وحبيبك المصطفى سيد الوجود صاحب الكرم والجود صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون .

قاله بفمه وكتبه بقلمه

بسام محمد بارود

عفا الله عنه

مباحث الكتاب

العنوان	الصفحة